



سوانح

المعقود الدرية

في تاريخ البلاد النجدية

سنة من كتاب خزائن التواريخ النجدية

مجلد ٤ جزء ٧

تأليف

مقبل بن عبد العزيز الذكر النجدي

جمع وترتيب

سماعة

الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام

رحمه الله

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وهو رب العرش العظيم

(١) وفي سنة ١٠٥٩هـ: تولي الشيخ الإمام العالم، محمد بن أحمد بن إسماعيل في بلد أشيقر، وهو من البكر من سبيع رحمه الله تعالى، أخذ الفقه عن عدة مشايخ، من أجليم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف، العالم المعروف في أشيقر. وأخذ عنه جماعة منهم أحمد بن محمد القصير، والشيخ أحمد بن محمد بن بشار، والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان وغيرهم.

وفي سنة ١٠٩٧هـ: ظفر الشريف أحمد بن زيد بن محسن إلى نجد، ونزل بلد عنيزة المقلية المحلة المعروفة بعنيزة، وفعل بأهلها من القبح والفساد ما لا يفعله غيره.

وفي سنة ١١١٠هـ: سطر آل بو غنام والبكر على فوزان بن سطر^٢ حميدان بن حسن، الملقب ابن معمر، من الفضل الجراح أهل عنيزة من سبيع، سطر عليه في المليحة واستنقذوا منه منزلتهم

وفي سنة ١١١٥هـ: قتل الأمير فوزان بن حميدان بن حسن، الملقب

(١) سوابق للمؤلف.

ابن معمر، من الفضل الجراح من سبيع، واستولوا الجناح على عنيزة
كلية. وآل جناح من الجبور من بني خالد.

وفي سنة ١١١٦هـ: في ١١ ذي القعدة غرقة عنيزة، وتسمى غرقة
السليمي - وهو رجل أصمى غرق في بيته. وفي هذه السنة هدم قصر
عنيزة، هدموه الجناح أهل بلد الجناح من بني خالد.

وفي سنة ١١٤٢هـ: هدمت الجادة المحلة المعروفة في عنيزة.

وفي سنة ١١٥٣هـ: قتل حمود الدريسي رفاقه آل بر عليان في
مسجد بريدة، قتل منهم ثمانية رجال. وفي السنة التي بعدها قتل حمود
الدريسي المذكور وآل أبو عليان من العناقرة من بني سعد بن زيد مناة ابن
تميم.

وفي سنة ١١٥٥هـ: قتل حسن بن مشعاب أمير بلد عنيزة، وجلوا
الجراح، واستولوا آل جناح من بني خالد هم والشخنة المعروفون من
المشاعيب من آل جراح من سبيع على عنيزة كلية، والشخنة منزليهم
الجادة المعروفة في عنيزة. وفي هذه السنة غرس نخل الجادة في عنيزة.

وفي سنة ١١٥٦هـ: سطا رشيد بن محمد بن حسن في العليحة
وملكها.

وفي سنة ١١٦٠هـ: ركدة عنيزة وغرس فيها أملاك الخنثة وأملاك
آل زامل وآل أبا الخيل، والطميمي في المسيرية، والبيضاء، وذلك في مدة
عشر سنين، وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد الله بن أحمد بن عضيبي
الناصرى التميمي، ودفن في مقبرة الضبط في عنيزة، رحمه الله تعالى،
ومات بعده تلميذه الشيخ علي بن زامل بشهرين رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١١٧٤هـ: قتل رشيد بن محمد بن حسن رئيس بلد عنيزة
من المشاعيب من آل جراح من سبيع، هو وفراج رئيس الجناح من بني
خالد، ورشيد هذا هو ابن عم فوزان بن حميدان بن حسن، المقتول سنة-
١١١٥هـ، كما تقدم، قتلوهما عيال الأعرج من آل أبو غنام هم
وآل زامل، قتلوهما في مجلس عنيزة، وسبب ذلك أن أهل عنيزة
وآل جناح كانت بينهم حروب وفتن كثيرة يطول ذكرها، فلما استولى
رشيد المذكور على عنيزة وتولى فراج على الجناح انفقوا، رشيد
ورؤساء بلده، وفراج، ورؤساء بلده، واصطلحوا على وضع الحرب
بينهم، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة، حتى امتد أهل عنيزة وأهل
الجناح في الفلاحة وغرسوا نخلاً كثيراً، وكثرت أموالهم ثم إن الشيطان
وأعدائه حرّسوا على أهل عنيزة وأهل الجناح، فاتفق رجال من عشيرة
رشيد ورجال من عشيرة فراج على قتليهما فقتلوهما، فثارت الفتن بين
التريثيين بعد ذلك.

وفي سنة ١١٩٢هـ: في ٢٢ ذي القعدة جاء عنيزة سيل عظيم، أغرق
البلد ومضى بعض منازلها، فخرج أهل عنيزة وابتنوا بيوت الشعر وسكنوها
حتى عمروا منازلهم.

وفي سنة ١١٩٥هـ: سطروا آل بو غنام وآل جناح في العقيلية
المعروفة في عنيزة، واستولوا عليها.

وفي سنة ١٢٠١هـ: هدم الجناح المعروف في عنيزة، هدمه
عبد الله بن رشيد بن محمد بن حسن أمراء عنيزة.

وفي سنة ١٢٢٥هـ: في ذي الحجة توفي الشيخ العالم العلامة

محمد بن ناصر بن عثمان بن معتمر، وكانت وفاته في مكة المشرفة
رحمه الله تعالى، والعامرة من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

وفي سنة ١٢٢٧هـ: بني مسجد الجوز في عنيزة ومحلته.

وفي سنة ١٢٥٧هـ: الواقعة المشهورة بين أهل القصيم ومن معهم
من عنزة، وبين عبد الله بن علي بن رشيد في بقاء، صارت الهزيمة على
أهل القصيم وقتل في هذه الواقعة يحيى بن سليمان بن زامل أمير بلد عنيزة
وأخوه محمد.

وفي سنة ١٢٥٨هـ: قتل محمد العلي بن عرفج قتلته صالح المرشد
من بني عمه في دم بينهم.

وفي سنة ١٢٦١هـ: أغار عبيد بن رشيد على غنم أهل عنيزة ففزعوا
عليه فجعل بيته وبينهم قتال، قتل فيه الأمير عبد الله بن سليمان بن زامل
وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعبي، ومجور الخيني، وصار بعد الأمير
عبد الله المذكور في عنيزة أخاه إبراهيم بن سليمان. وفيها في ذي الحجة
توفي الشيخ عبد الرحمن المحمد قاضي في عنيزة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٢٦٢هـ: توفي الشيخ قرناس في بلد الرمة، رحمه الله
تعالى، وفاته في رجب من السنة المذكورة.

وفي سنة ١٢٦٣هـ: عمرت بلد الفيضة من بلدان السر، بناها
فاهد بن نوفل، وبطي الصانع، وإبراهيم بن عبيد. ثم انتقل التوافلة إليها
من الريشة القرية المعروفة من قرى السر وسكنوها، وهم رؤسائها اليوم،
وهم من بني حسين، وفي هذه السنة تزخ آل حميدي ابن فيصل ابن وطبان
الدويش حاج القصيم على الذات وأخذ منهم أموالاً كثيرة.

وفي سنة ١٢٧٠هـ: قام أهل عنيزة على جلوي بن تركي، وكان قد جعله أخوه الإمام فيصل بن تركي أميراً في عنيزة، فأخرجوه من القصر فخرج إلى بريدة، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، فلما كان في ذي الحجة منها تجهر عبد الله بن فيصل بغزو الرياض، والخرج، والجروب، والمحمل، فلما كان منتصف ذي الحجة أغار على الوادي، فخرج أهل عنيزة لقتاله، فحصل بينهم قتال شديد، فقتل سعد بن محمد بن سويلم أمير ثادق، فرحل عبد الله ونزل العوشية، ثم رحل منها ونزل روضة الربيعي. ثم إن عبد الله آل يحيى ركب إلى الإمام فيصل في الرياض، فوقع الصلح بينهم، فكتب الإمام فيصل إلى ابنه عبد الله فأمره أن يرجع إلى الرياض، وكان إذ ذلك في بريدة، فقتل راجعاً إلى الرياض ومعه عمه جلوي، وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفي سنة ١٢٧٣هـ: نوح ابن مهلب رئيس الرساما من مطير حاج أهل عنيزة ومن معهم من أهل القصيم على الذات، وطلب أشياء منهم يدعي أن له عليهم حقاً فامتنعوا من إعطائه، فأخذهم ولم يحج منهم أحد تلك السنة.

وفي سنة ١٢٧٥هـ: قتل ناصر بن عبد الرحمن السحيمي في الهلالية، قتله عبد الله اليحيى السليم وزامل العبد الله السليم. وسبب ذلك أن ناصر بن عبد الرحمن المذكور في إمارته في عنيزة قام هو وأخوه مطلق الضيرير على إبراهيم السليم فقتلوه ذلك سنة ١٢٦٥هـ.

وفي سنة ١٢٧٥هـ: أصر الإمام فيصل بن تركي على عبد العزيز المحمد أمير بلد بريدة أن تقدم عليه في الرياض، فقدم عليه ومعه ابنه

علي وعبد الله، فأمرهم بالمقام عنده. وجعل في بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن عدوان أميراً، وهو من آل أبو عليان.

وفي سنة ١٢٧٦هـ: في صفر قتل عبد الله بن عدوان أمير بريدة، قتله جماعة من بني عمه آل أبو عليان وهم: عبد الله الغانم، وأخوه محمد، وحسن العبد المحسن المحمد، وأخوه عبد الله. فلما بلغ الإمام فيصل بن تركي الخبر جعل في بريدة محمد الغانم أميراً، فلما كان في جمادى الأولى من السنة المذكورة أطلق الإمام فيصل عبد العزيز المحمد من الحبس واستعمله أميراً في بريدة وعزل محمد الغانم عن إمارة بريدة، وأمر الإمام فيصل على عبد الله بن عبد العزيز المحمد أن يقيم عنده في الرياض، وفي رمضان من هذه السنة أخذ عبد الله الفيصل العجمان على الصباحية، وقتل منهم نحو سبعمائة رجلاً، وأخذ منهم من الأموال ما لا يحصى.

وفي سنة ١٢٧٧هـ: أخذ عبد الله بن فيصل العجمان قريباً من الجبراء، وقتل منهم خلقاً كثيراً في البحر خلعتي كثيرة، وهذه الواقعة يسمونها أهل نجد الطبعة، لأن العجمان انهزموا إلى البحر جازر فمد عليهم فيللك منهم خلق كثير وذلك في ١٥ من رمضان من السنة المذكورة، ثم قفل عبد الله بن فيصل، لما وصل إلى الدهناء بلغه، أن ابن سفيان ومن معه من بوادي ابن عبد الله على المتسف، فأغار عليهم وأخذهم وقتل حمدي بن سفيان، ثم قصد بريدة وكان أميرها عبد العزيز المحمد قد نقض العهد، فلما بلغه الخبر خرج من بريدة منهزماً هو وأولاده حجيلان، وتركي، وعلي، وأناس من خدامه، فأرسل عبد الله بن فيصل خلفهم سرية مع أخيه محمد بن فيصل، فلحقوهم بالشقيقة

وقتلوهم، وذلك في شوال من السنة المذكورة، وأقام عبد الله بن فيصل في بريدة، وكتب إلى أبيه الإمام فيصل يخبره بمقتل عبد العزيز الحمد وأولاده، ويطلبه أن يجعل في بريدة، أمير على نظره فأرسل الإمام فيصل عبد الرحمن بن إبراهيم، وجعله أميرًا في بريدة، وهدم عبد الله الفيصل بيوت عبد العزيز المحمد وأولادهم وأعوانهم.

ثم ارتحل عبد الله من بريدة وأخذ الرّوسان من عتية على الدوادمي، ثم قفل إلى الرياض وأذن لأهل النواحي أن يرجعوا لأوطانهم. وكان عبد الله العبد العزيز المحمد قد أمر عليه الإمام فيصل بالمقام عنده في الرياض لكن أذن لأبيه عبد العزيز المحمد بالمسير إلى بريدة ويكون فيها أميرًا كما تقدم. فخرج مع عبد الله الفيصل في هذه الفترة وعليه عيون مخافة أن يهرب. فلما كانوا بالقرب من الرياض هرب واختفى في غار هناك، فوجدوه فقبضوا عليه وأرسلوه إلى القطيف، فمات هناك.

وفي سنة ١٢٧٨هـ: وقع الحرب بين الإمام فيصل وبين أهل عنيزة، وأرسل سرية مع صالح بن شلهوب وأمره بالتقدم على عبد الرحمن البراهيم في بريدة، فقدم عليه، ثم أمر على غزو الرشم وسدير أن يسيرا إلى بريدة واستعمل عليهم أميرًا عبد الله بن دغيش، فأروا إلى بريدة، واجتمع عند عبد الرحمن البراهيم خلائق كثيرة، وكثرت الغارات على أهل عنيزة، ثم أنه حصل وقعة بين ابن إبراهيم وبين أهل عنيزة في رواق، وصارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه، وقتل منهم نحو عشرين رجلاً، منهم: عبد الله بن دغيش.

وفي سنة ١٢٧٩هـ: أمر الإمام فيصل على ابنه محمد أن يسير بغزو

أهل الرياض والجنوب إلى بريدة، وسير بمن في بريدة من غزو أهل
الوشم وسدير لقتال أهل عنيزة. فلما وصل إلى بريدة أمر على من فيها من
أهل الوشم وسدير أن يسيروا معه إلى عنيزة، فساروا، فلما وصل الوادي
خرج عليه أهل عنيزة وحصل بينهم قتال، فرجع أهل عنيزة إلى البلد.

ثم نزل محمد الفيصل بقطاع الوادي من الشمال فلما كان في
١٥ جمادى آخر من السنة المذكورة خرج إليه أهل عنيزة فحصل بينهم
وقعة شديدة، فانهزم أصحاب محمد بن فيصل، ووصل أهل عنيزة إلى
خيام محمد، فأمر الله تعالى السماء بالمطر، وكان غالب سلاحهم الفيل
فبطل عمل البندق من المطر، فكثر عليهم محمد وأصحابه فانهزم أهل
عنيزة وقتل منهم قتلاً كثيراً، ويسمونها وقعة المطر وفي شعبان من هذه
السنة أمر الإمام فيصل على ابنه عبد الله أن يسير بنفسه عزماً من الرياض
والجنوب إلى قتال أهل عنيزة، فسار بهم عبد الله واجتمع بأخيه محمد بن
فيصل ومن معه، وحاصروا عنيزة، ثم أنه وقع الصلح بين أهل عنيزة وبين
الإمام فيصل، وقتل عبد الله بن فيصل هو وأخوه محمد إلى الرياض،
ورجع أهل النواحي إلى أوطانهم.

وفي سنة ١٢٨١هـ: في آخر ليلة تسع الحجة توفي الشيخ إبراهيم بن
حمد بن محمد بن عيسى، قاضي بلدان الوشم توفي في بلدة شقراء
رحمه الله، كان له معرفة في الفقه، أخذ العلم عن الشيخ العالم
عبد الرحمن بن حسن والعالم عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين.

وفي سنة ١٢٨٢هـ: في ٢١ رجب توفي الإمام فيصل بن تركي بن
عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن

موسى بن ربيعة بن مانع الريدي رحمه الله تعالى في بلد الرياض، والمردة
من بني حنيفة. ⑤

① بنى هنيعة

② ٥٢٥٢

وفي سنة ١٢٨٥هـ: في ربيع أول توفي الشيخ عبد الرحمن بن
محمد بن مانع بالأحساء رحمه الله. وفي رمضان من هذه السنة الوقعة
المعروفة بين سعود بن فيصل وبين أخيه محمد بن فيصل في حوادث
صارت الهزيمة على محمد ومن معه، وقتل منهم عدد كثير، واستولى
سعود بن فيصل على الأحساء والقطيف وقبض سعود على أخيه محمد
رحبته بالقطيف.

وفي سنة ١٢٨٨هـ: الوقعة المعروفة في البره بين الإمام عبد الله
ابن فيصل وبين أخيه سعود بن فيصل، صار الهزيمة على عبد الله، وقتل
من الفريقين قتلى كثيرة.

وفي سنة ١٢٨٩هـ، حصل بين أهل شقراء وبين أهل أنيفية، قتال
في وسط بلد أنيفية، قتل فيها من أهل أنيفية عبد الله ابن الأمير سعد بن
عبد الكريم بن زامل، وعبد الله بن عبد العزيز العبد الله بن زامل،
وآل زامل أهل أنيفية المذكورين من عائد.

وفي سنة ١٢٩٠هـ: في ربيع آخر، سار سعود بن فيصل من بلد
الرياض ومعه غزو أهل نجد، ومعه المعجمان والدوشان مطير، وبرية،
ومعه الدواسر وسبيع، والسهول، فأغار على الروقة من عتبية، على
طلال، ورئيسهم إذ ذاك مسلطاً وفي ربيع آخر من هذه السنة توفي الشيخ
عثمان بن عبد الله بن بشر في جلاجل، وهو صاحب عنوان المعجد في
تاريخ نجد وهو من بني زيد.

وفي سنة ١٢٩١هـ: توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهيسي التميمي، كانت وفاته في بلد عنيزة رحمه الله وفي ١٨ من ذي الحجة توفي سعود بن فيصل في بلد الرياض.

وفي سنة ١٢٩٢هـ: قتل مهنا الصالح في بريدة قتل وهو خارج لصلاة الجمعة، قتلوه آل أبو عليان رؤساء بلد بريدة في الماضي، وهم من بني سعد بن زيد مناة تميم، وأما آل أبا الخيل فيهم من عنزة اجتمع لقتله أحد عشر رجلاً وقصدوا قصر مهنا المعروف فتحصنوا فقام عليهم آل أبا الخيل وأهل بريدة وحاصروهم في القصر، فحصل بينهم رمي بالبنادق، فأخذ علي محمد الصالح أبا الخيل حزمة حطب وقصد بها باب القصر وأخذ معه ناراً يريد أن يحرق باب القصر فضربوه برصاصة فوقع ميتاً، ثم ضربوا حسن العودة آل أبا الخيل برصاصة فوقع ميتاً ثم إن أبا الخيل وأهل بريدة حفرُوا حفراً تحت المتصورة الذي فيها آل بو عليان المذكورين، فوطئوا فيه باروداً وأغلقوا فيه النار فثار البارود، فسقطت المتصورة بمن فيها فمات بعضهم تحت اليدم وبعضهم أمسكوه فقتلوه.

ولم يسلم منهم إلا إبراهيم بن غام^١، وزيد الحائل، وتولى إمارة بريدة حسن المهنا الصالح.

وفي سنة ١٢٩٥هـ: أخذوا أهل عنيزة آل عاصم من فحطان وقتلوا رئيسهم حزام بن حشر.

وفي سنة ١٣٠٠هـ: شرعوا في حفر قلابان البدائع التابعة إلى عنيزة

وحفر في^(١) ذلك الموضع القليب المسماة العميرية .

وفي سنة ١٢٠١هـ : الرقعة المعروفة بين محمد بن رشيد وبين الإمام عبد الله الفيصل في أم العصافير، وصارت الهزيمة على عبد الله الفيصل في هذه الرقعة، وقتل في هذه الرقعة قتلاً كثيرة منهم : عبد العزيز بن الشيخ عبد الله أبا بطين وعقاب بن حميد من عتية .

وفي سنة ١٢٠٢هـ : توفي الشيخ علي بن محمد قاضي بلد عنيزة رحمه الله تعالى في ٥ رمضان .

وفي سنة ١٢٠٥هـ : قتلوا عيال سعود بن فيصل وهم : محمد بن عبد الله وسعد قتلهم سالم بن علي السبيان، وكان عبد العزيز بن سعود قد ركب قبل ذلك لابن رشيد في الجبل فلما بلغ ابن رشيد قتل عيال سعود حبس عبد العزيز عنده في الرياض .

وفي سنة ١٢٠٧هـ : توفي فيصل في الرياض .

وفي سنة ١٢٠٨هـ : في ١٣ جمادى الأولى رقعة المليدا بين ابن رشيد وأهل النصيم كانت الهزيمة على أهل النصيم، وقتل منهم قتلاً كثيرة، منهم : زامل العبد الله السليم أمير عنيزة، وابنه علي، واستولى عليها وربط حسن المهنا وأرسله إلى حائل فحبس هناك إلى أن مات .

وفي سنة ١٢١١هـ : توفي الإمام محمد بن فيصل في الرياض .

(١) أول من حفر في البدائع سليمان الصالح بن [. . .] ، حفر القليب المعروفة الرمث بالعميرية .

وفي سنة ١٢١٠هـ : توفي عبد العزيز الزامل السليم في مكة
رحمه الله تعالى .

وفي سنة ١٢١٢هـ : قتل محمد الصباح وأخوه جراح ، قتلتهما أخوهما
مبارك بن صباح ، واستقل بولاية الكويت .

وفي سنة ١٢١٥هـ : توفي محمد بن رشيد في حائل ، توفي في
٣ رجب واستولى الإمارة بعده ابن أخيه عبد العزيز بن متعب بن رشيد في
حائل ، (وفي آخر رمضان سار الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل من
الزرنوقة ماء من مياه الأحسا وتوجه إلى الرياض ومظا على عجلان بن
محمد نائب ابن رشيد ومن معه في قصر الرياض ، وقتل عجلان المذكور ،
وقتل معه اثنا عشر من أصحابه ، وأخرج الباقين وتوجهوا إلى حائل ،
وذلك صبيحة الأربعاء رابع شوال ، واستولى عبد العزيز بن سعود على
الرياض .) ①

وفي سنة ١٢٢٠هـ : في ذي القعدة قام أهل شقراء على عبد الله
الصويغ ومن معه من خدام ابن رشيد وأخرجوهم من البلد ، فتوجهوا إلى
المجمعة . فلما علم بذلك مشاري بن عبد العزيز العنقري أمير ثرمداء
أرسل خلفهم من ردهم وأمرهم بالقدوم عليه في ثرمداء فرجعوا إلى
ثرمداء ، وكان ذلك سبباً لهلاكهم وهلاك أهل شقراء طلبوا من الإمام سرية
تكون عندهم فأرسل إليهم مساعد بن عبد المحسن ، ومنه عدة رجال
مبطأة من بعض أهلها فقتلوا الصويغ وأصحابه ، وهم ثلاث عشر رجلاً
وقبضوا على مشاري العنقري فحبسوه هناك إلى أن مات في حبه ذلك
وأقام ابن سويلم ومن معه في شقراء .

وفي سنة ١٢٢١هـ: [...] خرج ابن رشيد لمحاربة أهل شقراء، فنزل على قصور شقراء المعروفة وذلك في يوم الصفر أقام هناك ثلاث أيام لم يدرك منهم شيئاً، فقفل راجعاً إلى بريدة. وفي هذه السنة قدم على الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن من سدير آل سليم وآل بالخيّل ومن معهم من أهل القصيم من الكويت، فسار الإمام من سدير إلى الزلفي سرية مع عثمان المحمد إلى الزلفي فدخلوه، وقتل الأمير محمد بن راشد السلطان، واستولوا على [...] من السنة المذكورة ولما علم بذلك أهل عنيزة طلبوا سرية من ابن رشيد تكون عندهم، فأرسل إليهم فبيد السببان سبعون رجلاً وكان ابن رشيد إذ ذاك في بريدة. ثم كتب أهل عنيزة إلى الإمام وإلى السليم أن لا تقدموا علينا والأفتحون مستعدون لحربكم. فلما وصلت خطوطهم إلى الإمام وإلى السليم ارتحل الإمام من الزلفي وذلك في السنة المذكورة، وأمر من معه من أهل عنيزة وأهل بريدة أن يقيموا في شقراء، وتوجه إلى الرياض (ابن رشيد من بريدة، وتوجه إلى بواذر على حسين بن جراد، ومعه نحو مائتين رجلاً أن حرب في أرض القصيم) وأبو علي ماجد بن حمود العبيد بن رشيد ومعه رجلاً أن [...] ثم رجه من جراب إلى السماوة، وأخذ يكاتب الدولة ويطلب منهم النصرة فأعطوه سنة ٢٧٠٠هـ) واجتمع معه خلائق كثيرة من بادية شمر وغيرهم، وأخذ يجهز المسير بتلك الجنود إلى نجد، وكان عليه برادي حرب وبني عبد الله، فتوجه بهم إلى السر وكان الإمام عبد العزيز قد بلغه ذلك خرج واستنجد عتية وأهل النصيم الذي في شقراء، وخرج معه عدة رجال من أهل شقراء، وتوجه إلى السر فلما نزل ابن جراد فيضة السر صبحه الإمام بتلك الجنود فقتله وأكثر من معه، ولم يسلم منهم إلا القليل، واحتوى

الإمام عن جراد وأخذ ما معه من الركاب والأمتعة والسلاح والفرس، ذلك في ٢٨ القعدة من السنة المذكورة، ثم نقل الإمام إلى الرياض وأمر على أهل القصيم أن يقيموا في شقراء، وكان إذ ذاك ماجد: أن حمود على البر^١ يريد أن يلحق ابن جراد، فلما بلغه مقتل ابن جراد ارتحل من البريك ونزل الملقاء التخل المعروف خارج عنيزة وصارت الرسل تردد بينه وبين ابن رشيد، وهو إذ ذاك فيضة أرض السماوة يستحثه ويقول أدرك بلدان القصيم قبل أن تؤخذ من بين أيدينا.

وفي سنة ١٢٢٢هـ: في ٥ محرم ليلة الأربعاء وصل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، ومعه أهل القصيم، وخلائق كثيرة من البادية والحاضرة إلى عنيزة ونزلوا في الجهمية، وكان الخير قد جاء أهل عنيزة بأن الإمام قد توجه إليهم بمن معه من الجنود فارتحل ماجد بن حمود العبيد ومن معه من الملقاء ونزل باب الساقية، وخرج أهل عنيزة بسلاحهم خارج البلد فدخل السليم ومن معهم من أصحابهم البلد بمواظات من بعض أهلها، وقتلوا عدة رجال منهم فيد السببان واستولوا على البلد، وأغار الإمام بخيله على ماجد بن حمود ومن معه، فانهزم ماجد وقتل من أصحابه عدة رجال منهم أخوه عبيد بن حمود، وتولى إمارة عنيزة عبد العزيز بن عبد الله السليم.

ولما كان بعد الوقعة بيومين ذهب آل أبا الخيل وأتباعهم إلى بريدة فدخلوها، وتولى إمارة بريدة صالح الحسن بن مهنا أبا الخيل، فتحصن عبد الرحمن بن ضبعان ومن معه من أهل الجبل في القصر وامتنعوا فتوجه الإمام ومن معه من الجنود من عنيزة إلى بريدة، وحاصروهم واستمر الحصار إلى سلخ ربيع الأول من السنة المذكورة ثم إنهم طلبوا الصلح

والأمان فأعطاهم الإمام الأمان، فخرجوا وتوجهوا إلى الجبل، وانتفىخ خروجهم في اليوم الذي وصل فيه ابن رشيد ومن معه من العساكر والرياح إلى قصيباء فقدم عليه ابن ضبعان ومن معه في قصيباء، ثم ارتحل ابن رشيد من قصيباء ونزل الشحيحات فلما بلغ الإمام ذلك ارتحل من بريدة ونزل البكيرية، فحصل بينهم وقعة شديدة وقتل من الفريقين خلق كثير فصارت الهزيمة على ابن رشيد وعلى الإمام ووصل الإمام إلى المذنب فبلغه هزيمة ابن رشيد، واستلحقوه أهل عنيزة، فرجع من المذنب إلى عنيزة وأما ابن رشيد فأثناء الخبر بهزيمة ابن سعود فرجع إلى البكيرية.

وكانت هذه الوقعة بعد الظهر من يوم الخميس في ٢٩ ربيع آخر من السنة المذكورة، وقتل في هذه الوقعة ماجد بن حمود العبيد، ورمضان باشا. ومن العساكر نحو خمسمائة رجل. ثم إن الإمام خرج من عنيزة ومعه أهل النصيم البادية والحاضرة، وتوجه إلى البكيرية، وكان ابن رشيد إذ ذاك محاصرًا بلد الخبراء، فلما نزل الإمام البكيرية بمن معه ونزل الزين، فلما كان في يوم ٨ رجب من السنة المذكورة حصل بينهم وقعة شديدة، وصارت الهزيمة على ابن رشيد وأتباعه، وغنم منهم الإمام أموالاً كثيرة، ثم إن الإمام رجع إلى الرياض وأذن لأهل النصيم بالرجوع إلى بلدانهم.

وفي سنة ١٢٢٤هـ: في ١٧ صفر الوقعة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الفيصل وبين عبد العزيز بن متعب بن رشيد في روضة مهنا قتل فيها عبد العزيز بن متعب بن رشيد المذكور وعدة رجال من أهل الجبل، منهم عبد الرحمن بن ضبعان وفي ذي القعدة من هذه السنة توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم قاضي بلدة بريدة رحمه الله تعالى.

وفي سنة ١٢٢١هـ: في ٢٨ جماد أول استولى الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل على الأحساء والقطيف وأخرج عسكر الترك الذي في الكوت، وفي خزام وفي صاهود، والمغير، والقطيف، وأعطاهم الأمان، وجهازهم إلى البصرة، وبذل العدل والإحسان للرمية، وأقام فيه عدة أيام، وجعل فيه أميراً عبد الله بن جلوي. ثم قفل إلى الرياض.

وفي سنة ١٢٢٢هـ: في سابع ربيع أول الرقعة المشهورة بين الإمام عبد العزيز^(١) الرحمن الفيصل وبين ابن رشيد في جراب، صارت الهزيمة على الإمام، وتوجه الإمام بعدها إلى بريدة وأقام بها، وقتل في هذه الواقعة عدة رجال، منهم: صالح الزامل السليم، ومحمد بن شريده.

وفي هذه السنة وقعت جراب بين ابن رشيد وبين الإمام فتوجه الإمام إلى الحساء، وكان في نفسه شيء على العجمان لأمر بدرت منهم، فحصل بينه وبينهم وقعة قتل فيها أخوه سعد بن عبد الرحمن بن فيصل، وذلك في شعبان من السنة المذكورة، ولما كان في آخر رمضان من هذه السنة نقض ابن رشيد العيد وأغار على شوايا أهل القصيم على الدويحرة، وأخذ منهم إيلاً، ونزل الطرفية، وأخذ يكاتب أهل القصيم فلم يلتفتوا له، وحصل بينه وبينهم قتال فهزموه، وقتلوا منه عدة رجال وركاباً، فلما أعياه أمرهم ارتحل من الطرفية، وقفل راجعاً إلى حائل، والإمام عبد العزيز إذ ذاك في الحساء ولم يزل مشغراً في حربهم^(٢) إلى أن مرقهم الله شذراً مذراً وأجلاهم الإمام من الأحساء، فتوجهوا إلى جهة الشمال مخذولون، وصلى الله على نبيتنا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين.

إمارة عبد العزيز بن متعب الرشيد

تولى الإمارة بعد وفاة محمد وأرسل إلى أمراء همه في البلدان وأمرهم على أعمالهم، وأمرهم أن يأخذوا له البيعة على من قبلهم فبايعوا ولم يختلف عليه أحد. وكانت ولايته مفتاح المصائب والنكبات والفتن والقلاقل والحروب، وكان طاعمه نحس على نفسه وعلى أهل نجد عمومًا، فقد كان غشومًا ظالمًا وجبارًا لا تعرف الرحمة إلى قلبه سيلاً فكان في خلقه وأخلاقه وسياسته على النقيض من عمه على خط مستقيم. تولى الإمارة وحالة نجد أشبه ما تكون في حالتها وقت وفاة الإمام فيصل آمنة مطمئة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، هادئة ساكنة حاضرتها وباديتها كل منصرف إلى عمله من تجارة أو زراعة أو صناعة، فما كاد يترجع على كرسي الإمارة حتى أخذ سوء سياسته يفتح على نفسه أبواب الشر والفتنة.

سنة ١٣١٦ هـ وسنة ١٣١٧ هـ

في هذه السنتين لم يحصل حوادث توجب الذكر إلا غزوات على البوادي ليس من كبيرها فائدة.

وفي هذه السنة قلت الأمطار وضعفت المواشي وحصل قحط غلت أسعار الأطعمة وكثر الجرب بالإبل وهو داء يكثر في سني الجفاف وقلة الأمطار وغالبًا يصاحب ضعف المواشي، وفي هذه السنة توفي عبد الله الناصر البتلي في ١٧ رمضان، وأحمد عبد الرحمن الكبير ٢٠ رمضان وعائد محمد التميمي ٢٣ شوال سنة ١٣١٨ هـ.

وفي هذه السنة تمكن أولاد آل أبا الخيل المسجونين عند ابن رشيد

من الهرب، وكان حسن المهنة قد توفي وهو بالحبس وعمل الأولاد
الأسباب ونقبوا جدار السجن وخرجوا، فأطلبهم ابن رشيد فلم يجد
لهم أثرًا منهم فركتوا في بعض الجبال حتى خف الطلب فوصلوا إلى
الكويت.

وفي شهر صفر من هذه السنة وصل يوسف بن إبراهيم إلى حاييل
قاصدًا ابن رشيد يستجده على ابن صباح خصوصًا بعد أن فشلت مساعيه
لدى التركي، وقاسم ابن ثاني أمير قطر فرأى ابن رشيد أن القرصة سانحة
له في ابن صباح خصوصًا بعد أن قدم عليه ابن مهنا الذي شرد من
الحبس. أما ابن صباح فقد اضطرب لما علم أن ابن رشيد استقبل
يوسف بن إبراهيم وأنه يوشك أن يساعده، فكتب إلى ابن رشيد يبين له
أعمال يوسف وأنه لا يريد إلا تكدير العلاقات بيننا وبينكم ويرجوه أن ينقاه
لأنه لا يسكن عن حركاته وإفساده.

فجاوبه ابن رشيد أن أعدائي عندك وتحت حمايتك فمئذ نحو عشر
سنين لم أفي من طرفهم ولا طلبت منك أن تنقاهم، فلما وصل عندي هذا
الرجل تطلب مني أن أنقاه، نعم إذا لقيت من عندك من جلوية أهل نجد
وأخرجتهم من بلادك، فأنا أخرج هذا الرجل من عندي.

علم ابن صباح أن ابن رشيد مصمم على مساعدة ابن إبراهيم فأراد
أن يعمل ليضطر ابن رشيد إلى الصلح، فجهز جيشًا من أهل الكويت يقوده
حمود الصباح والتحق به بوادي الكويت وبعض بوادي نجد، فأغار على
شمر وأخذهم على الرخمية الماء المعروف، ثم جهز جيشًا يقوده
عبد الرحمن الفيصل ومعه أمراء القصيم آل سليم وآل مهنا فأغاروا على

قحطان وأخذوهم على روضة سدير، وقد بدا له بعد خروج عبد الرحمن
الفصل ومن معه أن يكتب لابن رشيد فكتب له يقول طلبت مني أن أنفي
من عندي من الجلوبة وتنفي أنت ابن إبراهيم فقد رجحت رأيك وفضلت
صحبتهم ونفيت من عندي وأخرجتهم من الكويت وأمرتهم أن لا يعودوا
إليها وفعلًا نفذ هذا الأمر وكانت حقيقة فكتب إلى عبد الرحمن الفصل
يقول إني اتفقت وابن رشيد فلا ترجعوا إلى الكويت ولا تقربوا حولها،
وصل إليهم الكتاب بعد إغارتهم على قحطان، فضاقت عليهم الأرض
لا يعلمون أي جهة يسلكون فبلدان نجد وبراديبها كلها تحت أمر ابن رشيد
فانقضى رأيهم أن يمتثلوا مع العجمان إلى أن يدبروا أمرهم فرجعوا
معتمدين على ذلك بعد أن أغلق عنهم ابن صباح أبواب الكويت فبينما هم
في طريقهم إذا برسول آخر من ابن صباح يستدعيهم للرجوع إلى الكويت،
ويستحثهم على ذلك لأن ابن رشيد بلغه وقعة عبد الرحمن الفصل على
قحطان، فغضب ابن رشيد غضبًا شديدًا، وقال: إن ابن صباح يئزأ بي،
فكتب إلى مبارك كتابًا شديد اللبحة يقول فيه: بينما أنت تراجعني بالصلح
وتقول إنك أخرجت من عندك من الجلوبة وإذا أنت من الجهة الثانية
تجهزهم بمعدات الحرب وتأمرهم أن يغيروا على وعايانا. نعم ثبت لدينا
إنك أخرجتهم ولكن بعد أن جهزتهم فلم يبق بعد هذا العمل محل
للمراجعة، وليس بيني وبينك إلا السيف.

هذا الكتاب هو الذي دعى مباركًا لاستدعاء عبد الرحمن الفصل،
إذ علم أن ليس سبيل للصلح بعد هذا التهديد من ابن رشيد. رجع
عبد الرحمن الفصل ومن معه إلى الكويت، وأخذ ابن صباح يكاتب
القبائل التي حوله، ويستدعيهم، وأخذ يجهز ويجهز من الكويت، وجعل

موضع معسكره بالجهرى خوفاً من مهاجمة ابن رشيد للكويت وحماية لقبائله.

أما ابن رشيد فقد خرج من حائل بشهر ربيع الثاني فبلغه أن ابن صباح بجند وأن معسكره على الجهرى، فأقبل قاصداً الهجوم على ابن صباح، فلما وصل الحسن موضع في الباطن قريب من الحضر نزل فيه واستدعى شمر فترلوا عنده، وكتب إلى أمراء البلدان يأمرهم بإرسال غزورهم، فأقام بموضعه إلى أن تكامل عنده جنوده، وأخذ ينتظر الفرصة بابن صباح، وكانت سبور ابن رشيد عند ابن صباح تعلمه بالمعلومات عن جميع حركاته، فلما أجمعت قوات ابن صباح بالجهرى عزم على أن يغزو أحد القبائل الموالية لابن رشيد فجاء الخبر ابن رشيد عن حركة ابن صباح فظن أنه يريد، فاستعد ولكن باليوم التالي جاءه الخبر أن ابن صباح أرخص للقبائل يرجعون إلى أهلهم، وذلك لأن ابن صباح تكفى عن عزمه ولكنه استأنف العزم واسترجع القبائل، وسار من الجهرى قاصداً شمر ورؤساء جيشه حمود الصباح وعبد الرحمن الفيصل، أما ابن رشيد لما تحقق أن ابن صباح أرخص لغزو سار قاصداً سعدون لسابق عداوة بينهما ولحلفه مع ابن صباح.

أما جيش الكويت فقد أغار على عرب ابن رشيد الذين غزوا معه ولم يلقوا مقاومة إلا أنهم قبل هجومهم رأوا نيران قد أوقدها ابن رشيد ليهتدي بها من تخلف عنه من قومه فسألوا عنها فبلغهم أنها نيران ابن رشيد فاستخفوا واستكفوا بما وصل إليهم من الحلال خوفاً أن يدركهم ابن رشيد، فرجعوا سراعاً وبلغوا الجهرى، أما ابن رشيد فلم يعلم بما جرى وسار بقصده وأغار على سعدون وأخذه، ورجع. وكان سعدون قد

استصرخ ابن صباح لما علم أن ابن رشيد يقصده فبادر ابن صباح لنجدة سعدون، ولكن بعد قرات الوقت، رجع ابن رشيد بعدما أخذه سعدون ونزل رجم الهيازع، وأرسل إلى أمراءه في بلدان نجد يأمرهم بإرسال زيادة غزو فجاوزه وهو بمنزله. أما ابن صباح فقد كتب إلى سعدون يستنجده على هدوءهما المشترك فأجابه ولى دعوته، ثم استفر القباثل وأخذ بعد العدة للغزوة الكبرى، فانضمت إليه مطير بأجمعها وقسم كبير من العجمان وآل مرة وجاء سعدون ومعه قوة غير قليلة، فاجتمع عند مبارك جيش كبير لا يقل عدده عن عشرة آلاف، زحف هذا الجيش الجرار في شهر شوال من هذه السنة يثوده مبارك بن صباح بنفسه ومعه عبد الرحمن الفيصل وابنيه عبد العزيز ومحمد وأمراء القيصم، آل سليم، وآل مهنا، وعندما وصل خبري الدويش (خبري القيصم) جاءه رؤساء البوادي يستأذنون بتخلف أهلهم وأموالهم التي كانت معهم بحجة بعد المسافة المقصودة، وعدم وجود مراعي لإبليهم في البلاد التي هم فارين عليها.

وأما الجيش والخيال تمشي مع البريق فأذن لهم فتخلف نصف المقاومة بحجة المحافظة على الأموال والعائلات، وكان ابن صباح يرى أنه لا حاجة به إليهم لما معه من العدد والعدد، فرحل وما زال يتنقل من موضع إلى موضع إلى أن نزل الشوكي وهو ماء غير بعيد عن الرياض، فأقام عليه أياماً فاستأذنه عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل أن يسير بقسم من هذا الجيش إلى الرياض، فأذن له فأخذ معه ألف ذلول من البادية مقليل من الحضر، فزحف عبد العزيز إلى الرياض واستولى عليها إلا القصر، فإن الأمير من قبل ابن رشيد عبد الرحمن بن ضبعان قد تحصن فيه هو والسدير التي معه، وحاصرها عبد العزيز مدة أيام ولم يدرك نتيجة

فابتدأ يحضر نقى على القصر لينسفه على من فيه، ويأمر العمل، فلما كاد
يتبهي فاجأه خبر هزيمة ابن صباح أمام قوات ابن رشيد فانسحب ولم يتم
عمله.

أما ابن صباح فقد وصل من الشوكى وقصد القصيم فلما قاربه
استأذن آل سليم وآل مهنا ابن صباح بالمسير إلى بلدانهم فأذن لهم،
فساروا معهم ورحل بعدهم ابن صباح ونزل قريب بلد بريدة، فدخل
آل سليم عنيزة وآل مهنا بريدة بدون مقاومة، وقرر أمراء ابن رشيد سعد
لمحاريبي أمير بريدة وصالح يحيى الصالح أمير عنيزة ورحب أهل
القصيم بأمرائهم، ثم إن ابن صباح استدعى الأمراء وأعيان جماعتهم
الموالين والمخالفين فخطب فيهم، وقال: إني لم آتي فاتحاً ولا مطمع لي
ببلادكم، وإنما جئت مساعدة لحكامكم وأمراءكم لإرجاعهم إلى أوطانهم
التي أخذها منهم هذا الظالم وشتت شملهم، وصادر أموالهم وأملاكهم،
وبعد قضاء مهنتي سأرجع إلى بلادتي تاركاً شأنكم لكم ولحكامكم
وأمرائكم.

① سعد المحاريبي

فشكروهم على عمله فطلب منهم أن يبايعوا أمراءهم على السمع
والطاعة، فبايعوهم على ذلك فرجعت الوفود إلى بلدانهم ثم أذعن أهل
القصيم أن يغزو مع أمراءهم ليسيروا معه إلى مطاردة ابن رشيد فمرقه عليه
غزو بريدة وتوابعها من القصيم، وجاءه قسم من قبيلة عتيبة فانضم إلى ابن
صباح فأخذ في منزله نحو عشرة أيام يتجيز للمسير إلى ابن رشيد.

أما ابن رشيد فقد انسحب بأول الأمر وترك الميدان لخصمه، بينما
يلى شعثه، لأنه لا يريد أن يتأزل مثل هذا الجيش اللجب قبل أن يستكمل

استعداداه، وثانيًا أراد أن يجر خصمه إلى قلب البلاد ويبعده عن بلاده،
ولأن المطاولة في الأمر تفيده وتضر بخصمه، لأن أكثر جنود ابن صباح
بوادي ولا صبر لهم بالابتعاد عن أهلهم وأموالهم، فأرسل يستجيش شمر
وحرب وهتيم، فأقبل إليه منهم خلق كثير، وإن قد بلغه استيلاء أهل
القصيم على بلدانهم، ورحل إليه أمراء الذين هو بدا منبأ، فأقبل قاصدًا
ابن صباح، فلما قارب القصيم شديد ابن صباح ونزل النبقية قرية من قرى
بريدة فما راعهم إلا ابن رشيد ينزل قبالتهم في الطرفية وهي قرية من قرى
بريدة أيضًا، وكان الوقت ظهرًا ولم يظن ابن صباح أن ابن رشيد سيهاجمه
بذلك اليوم، ولكن ابن رشيد أخلف ظنه فإنه لم ينزل إلا وقد عبى جيشه
وقرن الإبل وجعلها صفًا واحدًا تتقدم الجنود، وساقها عليهم ومشت
الجنود من خلفها وكانت جنود ابن صباح مشتة هنا وهناك، ولم يستعد
استخفافًا بابن رشيد فداهمهم وهم على هذه الحال فتلاحقوا على غير
تعبئة والتحم القتال إلى آخر نهار ذلك اليوم ٢٦ القعدة، فأنهزم ابن صباح
وجنوده، فالتحق بنفسه ومعه عبد الرحمن الفيصل وشرذمة قليلة، وخرج
آل مهنا من بريدة وتبعوه، وكان غزو عنيزة قد خرج بتلك اليوم ورجعوا
من عرض الطريق لما بلغهم الخبر، وبقي آل سليم تلك الليلة في عنيزة
يحاولون جماعتهم على الحرب والامتناع في بلدهم فخذلوهم، فدخلوا
صباح اليوم الثاني والتحقوا بابن صباح وأدركوه قبل أن يصل الكويت،
وأرسل عبد الرحمن الفيصل لابنه عبد العزيز في الرياض يخبره بالأمر
ويأمره بالاقبال إليه، فخرج من الرياض وقد كاد أن يستولي على النصار
فلم يسمعه إلا أن يفك الحصار، وينهزم بمن يتعد من قومه إلى الكويت.

أما فلول جيش ابن صباح فقد تفرقوا بالبلدان القريبة منهم واختفوا

بها، ولكن ابن رشيد أرسل السرايا تتبع فلول المنهزمين فمن وجدوا قتلوه حتى وصلوا الزلفى، ثم رجعوا وأخذوا يتبعون الذين في البلدان فأخرجوهم من البيوت والمساجد وقتلوهم، بقوا على ذلك نحو ثلاثة أشهر وقد اشتهر بيوت في عنيزة آوت إليها عدد غير قليل من هؤلاء النساء، وأخذوا يقومون بحاجاتهم، فلما أمنوا الطلب جهزوهم بما يحتاجون إليه وأرسلوهم إلى أوطانهم.

أما عدد القتلى فقد اختلف فيه، ولكن القول المتوسط الخالي من المبالغة ألف ومائتين من الطرفين منهم ثمانمائة من جند ابن صباح، والباقي من قوم ابن رشيد، المشهور من قوم ابن صباح حمود الصباح، وعبد الله المنصور أخي سعدون وابنه حمود. ومن قوم ابن رشيد سالم بن حمود العبيد الرشيد وأخاه.

وبعد هذه الواقعة تجلت نفسية بن رشيد فبدلاً من أن يستميل وعيته بالعقل أخذهم بالشدة العنيفة، رحل من موضعه ونزل بريدة ونكل بأهلها تنكيلاً شديداً قاسياً، فقد أخذ من ^①الديري أحد تجار بريدة خمسين ألف ريال وقتله، وأخذ من سليمان الشبلي أحد تجار عنيزة عشرة آلاف ريال، وفرض على عموم بلدات القصيم ضرائب فادحة، ونزع السلاح من أهلها وعمل غير ذلك أعمال بغاية القوة والشدة، وهذا مثال قليل من الواقع. ثم أرسل سالماً ابن السبهان إلى الرياض ونواحيها، وعمل بهم مثل عمله بالقصيم وأعظم، فلما بلغ ما أراد من التنكيل وشفى ما بنفسه من الانتقام من أهل نجد عمومًا، رحل ونزل البطانيات ثم رجع ودخل بلاده في أول سنة ١٣١٩هـ وكان يوسف بن إبراهيم مع كاظم باشا قبل الواقعة بأيام قليلة، وكان كاظم باشا قد خرج لمواجهة ابن رشيد.

الديري

حوادث سنة ١٣١٩هـ

رجع يوسف إلى العراق بعد أن بلغه كاظم باشا عفو الدولة عنه التهمة التي ألغاها عليه ابن صباح. فاستأنف عمله مع الدولة ضد ابن صباح، وأخذ يشهد عزم مناصيب الدولة واغتتم أولاد محمد الصباح الفرصة بعد خذلان عمهم فرفعوا شكواهم إلى الأستانة التي أخذت تصني إلى دعواهم وتعطف عليهم، وقد رأت الفرصة سانحة بعد خذلان مبارك أمام ابن رشيد فأخذت تمهد الأمور لاحتلال الكويت، فأصدرت أمراً إلى المشير في بغداد أن يجهز جيشاً لا يقل عن عشرة طواير يكون على أتم الأهبة والاستعداد، فجهز ذلك بقيادة محمد باشا الاغستاني، ولكن المشير أراد أن يستير برأي والي ولاية البصرة محسن باشا، فذهب إلى البصرة وقابل محسن باشا فأظهر له هذا عدم الارتياح من هذا التدبير خوفاً من أن يضطر ابن صباح إلى الالتجاء للدولة الانكليزية، ورأى محسن باشا مفاوضة مبارك قبل الإقدام على إجراء عمل ضدد، فاستحسن المشير رأيه وكلفه بمقابلة مبارك ومفاوضاته وإقناعه بوجوب انقياده لأمر الدولة العثمانية.

ذهب محسن باشا إلى الكويت واجتمع بمبارك وأقنعه بوجوب الذهاب معه إلى الفار ومخابرة الدولة فذهبا إلى الفار، وعمل مبارك بنصيحة محسن باشا، لأنه يثق به ورفع إلى الدولة خضوعه وانقياده. عملت الدولة هذا العمل خوفاً من تدخل الانكليز، ولم تعلم أن مبارك قد اتفق ورئيس الخليج في معاهدة سرية تخوليم حق الحماية بعد أن أرسل مبارك التلغراف للحكومة العثمانية عدلت عن إرسال العسكر الذي قد أعدته ولكنها طلبت تحقيق ما يدعيه [...] مبارك من التبعية للدولة

① نسخة

فأرسلت تلغرافاً من ربيع الثاني سنة ١٣١٩ هـ من باشكاتب العاين إلى مشير بغداد يقول: «بلغوا الشيخ مبارك أنه بموجب المعاهدة الدولية إذا وجد في إحدى المواضع سنجف^① (عثماني أو مركز عسكري أو مأمور للحكومة فلا لجميع الدول تدخل فيلزم بأي صورة مئسة تبلغون مباركاً باشا الأمر».

ولكن مبارك تغافل عن هذا وينال إن حكومة الانكليز. نصحت للحكومة العثمانية أن لا تفتح باباً من الشر لا يستطيع إقفاله فعدلت عن رأيها لما تعلمه من مطامع الانكليز.

وفي شهر ربيع الثاني خرج ابن رشيد من بلاده وهو يقصد الزحف إلى أطراف الكويت، فلما قارب حدود الكويت، وهم باليجرم على مخيم ابن صباح بالجيري بلغه التجاء مبارك للانكليز وأنهم أمدوه بمركب حربي أقام في مياه الكويت، فعزل ابن رشيد عن عزمه ورجع ونزل حفر الباطن، وشرع يفارص الترك بشأن مبارك الصباح، ويطلب منها نجدة تساعده على احتلال الكويت وتداركت رسله وشكاوته ضد مبارك وساعده على ذلك يوسف بن إبراهيم، فقطعت الحكومة عليه ولم تقرب ولم تبعه فدافعه بالأمل.

أما مبارك الصباح فقد كان جيشه مستعداً في الجيري فاغتنم الفرصة وأغار على قبيلة سالم بن طوالة من شمر بأطراف الخبيبة وأخذهم ورجع إلى الجيري، وذلك بشهر جمادى الأول، فلما بلغ ابن رشيد خبر ابن صباح سار من انحفر وتعد أطراف الكويت، وأغار على الصبيحة الماء المعروف قرب الكويت، وكان أهلها قد انتذروا به وهجر فتابع مسيرة جهة

الكويت، فلما وصل (داره) صادفته قافلة كبيرة من مطير خارجة من الكويت وحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه كاتب ابن رشيد الخاص (جار الله ابن يوسف بن عتيق) ولكنه بالأخير تناب عليهم، واستولى على جميع ما معهم، ورجع إلى الحضر وهكذا الرعايا دائماً تكون هي الضحايا لمطامع الحكام، فابن صباح أخذ ابن طرالة انتقاماً من ابن رشيد وهذا أخذ مطير انتقاماً من ابن صباح والنقص على رعايا الطرفين فلا ابن رشيد عوض على ابن طرالة ما أخذ منه بسبعين ولا ابن صباح عوض مطير لكونهم أخذوا بجنابته. وفي شهر رجب سار ابن صباح وأغار على الظفير وأخذهم ورجع إلى الجبيري.

وهنا حدث جرى قبل الحوادث التي سردناها وهو أهمها لأنه محور لما سيحدث بعد هذا من الحوادث الجسام، أخرناه لأننا كرهنا قطبنا ذلك أنه في ربيع الثاني من هذه السنة بالوقت الذي خرج فيه ابن رشيد من بلاده خرج رجلاً آخر من الكويت ولكنه كان مجبوراً بتلك الوقت فلم يكن لخروجه أهمية، ذلك هو عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل فإنه بعد وقعة الطرفية لم يشأ الركوب والخمول وتازعته نفسه أن يقدف بنفسه في لجة هذا المحيط المضطرب فأما أن يدرك ما تفوق إليه نفسه أو يموت، ولكن أبوه دافعه ومنعه فامتثل، لكن النفس الجياشة لا تترك إلى الخمول فقد أعاد الكرّ على أبيه بصورة جازمة فرافقه أبوه على ذلك وأبلغ مباركاً بما عزم عليه، فشجعه على ذلك وأمدّه بثلاثين بندقيّة وأربعين ذلولاً ومائتي ريال فقط. وشيء من الزاد فساروا معه من إخوته وأبناء عمه وأتباعهم أوبعون رجلاً فقصده المعجمان فتردد رؤساءهم بقبوله ولكن كثير من عامتهم انضموا إليه، وكذلك انضم إليه جماعة من آل مرة وبيع ^١ واليهول فتكون عنده

١ سبيع

جيش لا يقل عن ألفي ذلولاً ومن الخيل نحو أربعماية نمشي من عوبنة
 كنهـر المعروفة بالمعطف طفه بني خالد وبعد خمسة أيام ورد حفر القس^①
 والماء المعروف بأطراف العارض على حافة الدهناء من الغرب، وصدر
 منه وورد الشمسين ماء معروف ثم صدر منه وجعل العرض عن يمينه وورد
 الحفاير، ومنها أرسل كشافته ورجعوا يخبرونه بمنازل القبيلة التي هو
 قاصد ولما أصبح عبيء جموعه وأغار على عتية وأخذهم على الرفائع
 ورجع بيومهم، وقصد قحطان وأغار عليهم وأخذهم قريب من التيه جنوباً،
 ورجع ونزل قريب من الحسا وأقام أربعة أيام والقوم يجلبون غنائمهم
 ويبيعونها في الأحساء ويمتارون منه ويأخذون ما ينقصهم من اللوازم
 والحكومة التركية تعلم ذلك، ولم تحاول منعهم لأنها لا ترغب فتح أبواب
 قد تؤدي إلى مشاكل بينهم وبين البادية، ولا يتيسر وبين ابن سعود.

وبعد هذه الغزوات الموفقة انضم إليه كثير من البادية الذين يميلون
 إلى الكسب من هذا الطريق فاجتمع لديه قوة لا يستبان بها وبما أن جميع
 بوادي نجد تابعة لابن رشيد فقد أخذ يشن عليهم الغارات ليضمهم إلى
 جانبه، وهي الوسيلة الوحيدة لإذعان البادية، ومن حيث ليس عنده قوة
 لمقابلة ابن رشيد وجهاً لوجه أخذ يشن الغارة على أتباعه من البوادي
 ليكسب نفوذاً في البادية وليستميلهم لجانبه، فكل من انضم إليه من قبيلة
 زادت في قوته ونقصت من قوات خصمه، وهذه هي المرحلة الأولى
 لطريقة الفتح في نجد، ثم زحف من موضعه وسار قاصداً ما يليه من بوادي
 ابن رشيد فعلم وهو بطريقه أن أقرب من يليه بُرّيه من مطير ومعهم
 آل عاصم من قحطان فجند السير نحوهم، وأغار عليهم في ثَجْدَل موقع
 شمالي بريدة وأخذ منهم حلالاً كثيراً إبل وغنم، ورجع ونزل الحسين

مجمع الغنائم وعزل خمسة منها، ثم سار من موضعه وقصد الجنوب وأغار على الدراسر وملأ يديه من الغنائم ورجع إلى الحساء، وأقام قريب منه، فجلبوا غنائمهم وباعوها واشتروا ما يحتاجون إليه ثم القى وسار جنوباً وأقام على حفاف الربع الخالي.

كل هذه الوقعات جرت وابن رشيد قابض في موضعه على حفر الباطن ينتظر مساعدة الدولة ويعمل نفسه بالآمال، فلما طال عليه الأمر ورأى أن ابن صباح يغير في الشمال وابن سعود يغير من الجنوب وهو لا يحرك ساكناً رأى أن يخبر الحكومة التركية بنفسه فرحل من موضعه ونزل قرب بلد الزبير وخبر الحكومة بشأن ابن صباح وابن سعود وحركاتهما على رعاياه وطلب منهما منعه من الإيثار من بلدانها أو تسمح له أن يجعل في المراكز معتمدين من رجاله يراقبون منعيه فأجابته إلى ذلك. وجعل في بغداد والسماعة والزبير... معتمدين من قبله وأرسل سعد الحازمي معتمداً من قبله في الأحساء لأجل مقاومة نفوذ ابن سعود وتثييط ياديه النقرة عن مساعدته، وحمل حكومة الحساء على منع طوارف ابن سعود عن التموين من الأحساء يقصد بذلك حصره في الصحراء وجعلت الحكومة التركية مراكز عسكرية في سفوان والغبيشية والخميسية وفي بويان دام قصر^① وذلك موجب طلب ابن رشيد إلا المركزين الآخرين، فقد وضعتهما الحكومة بحجة من حدود العراق، وكان صاحب الكويت يدعيهما فاحتج على حكومة التركي في احتلالهما وعلى وضعها مركز في سفوان الذي يعتبرها من حدود الكويت، فلم تضع الحكومة لاحتجازه وأحمله واستعان برئيس الوكلاء السياسي في الخليج فتعامت عنه.

أما بقية المراكز فقد صارت السلطة فيها لرجال ابن رشيد، ولكن

① دام قصر

هذه التداير جاءت متأخرة، وصل سعدًا الحازمي شهر رمضان إلى البحرين ونزل بضيافة مقبل الذكير، وسار إلى قطر لمواجهة أميرها الشيخ قاسم بن ثاني ليسلم له كتب من ابن رشيد يطلب منه منع ابن سعود عن التموين من بلاده، ورجع إلى البحرين ليسير منها إلى مقر عمله في الأحساء، حيث لم يستطع السفر إليها من قطر لعدم وجود الآنية، فعاكاد يصل إلى البحرين حتى فاجأه خبر استيلاء ابن سعود على الرياض، فأسقط في يده وبينما هو يتجهز للسفر إلى الأحساء إذ بلغه أن بعض أهل الرياض وأهل الخرج المقيمين في البحرين جهزوا لهم سفينة يريدون أن يتعقبوه في البحر ويقتلوه حينما يعتمد عن حدود البحرين، فاضطرب، وكان الأمر حقيقة فاستعد بالسلاح وأخذ معه زيادة جند للمحاققة، فتوجه إلى العتير ومنها إلى الأحساء.

فتح الرياض

ذكرنا أن ابن سعود أقام على حفاف رمال الربع الخالي طيلة أيام شهر رمضان وبلغه ترتيبات ابن رشيد بأنه يريد أن يحصره في الصحراء، صمم على أن يشق لنفسه طريقًا، فمشى من بيرين في أواخر شهر رمضان فلما كان بمستصف الطريق أخبر جنوده بأنه يقصد الرياض، فمن أراد أن يمضي معه أو يرجع عنه فهو بالخيار فرجع جميع من كان معه من البادية إلا عشرون رجلًا ولم يبق معه إلا الذين خرجوا معه من الكويت وعشرون رجلًا غيرهم، فوصلوا في ٤ شوال إلى حدود الرياض ونزلوا في الساعة الثانية من الليل جبل يبعد عن الرياض ساعتين فترك عند الجيش عشرين من قومه وتقدم بالأربعين الآخرين وفيهم أخوه محمد وعبد الله بن جلوي،

فلما وصل النخيل التي خارج السور أقام أخاه محمدًا ومعه ثلاثون رجلًا كاحتياطي ومشى بالعشرة الباقيين إلى غرضه ولم يتمكن من الدخول إلى السور الخارجي إلا من بيت محاذ له وهو لفلاح يتجر بالبقر، قرع عبد العزيز الباب ففتح له صاحب البيت وقبض عليه وتهدهده إذا هو تكلم، فعرفه أهل البيت فركنوا إلى السكوت فأغلق عليهم الباب ثم تسلق الجدار إلى البيت الذي يليه عند الحصن، فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد وإذا هما امرأة عجلان الأمير وأختها امرأة أخيه فأبفظهما فاستوتا جالستين دون أن يراهما شيء من الخوف فعرفته زوجة عجلان، وسألته من يريد قال: أريد زوجك قالت إنه بالقصر قال: متى يخرج قالت: إنه لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس فاكتفى بهذه المعلومة، وأقبل عليهما واستدعى رجاله، فاجتمعوا في بيت عجلان وكانت الساعة قد بلغت الثامنة ليلاً فاستراحوا وعند طلوع الفجر أخذوا يدبرون طريقة الهجوم على الحصن الداخلي، فلما طلعت الشمس فتح ذاك الحصن، فأخرج بعض العبيد الخيل إلى الشمس فلما رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج عاديًا فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلًا فقط واتفق أن الأمير عجلان بن محمد كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم إلى بيته، فلما رأى عبد العزيز وبيده السيف سلت عراء الدهش والرعب، فتكص ورجاله على أعقابهم، وهم يريدون الرجوع إلى القصر ولكن بعدما خرج عجلان أغلق باب القصر، ولم يبق إلا الخوخة (الباب الصغير فيها) وبين كان ورجاله يدخلون مع خوخة الباب أطلق عبد العزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله ثم أدركه وقد صار نصفه داخل الباب، فأمسكه وسحبه إلى الخارج فتصارع الإثنين برهة فرفس عبد العزيز على كبده رفسة قوية فأغمي عليه

وأفلت منه، وبينما هو يحاول الدخول ثانية من تلك الخوخة أدركه
عبد الله بن جلوى فضربه بالسيف فردّه الباب وبقي أثر السيف بالباب
فأفلت منه، فأطلق عليه ابن جلوى مدسه وأصابه فدخل عليه وقتله،
وكان عبد العزيز قد أخافه وكان رجال عجلان الذين قد دخلوا الحصن
[...]. رمدوا إلى أحد الأبراج المشرقة على السوق وأخذوا يطلقون النار
من المصاليات على رجال ابن سعود فقتلوا اثنين وصوبوا أربعة فتراجع قوم
ابن سعود إلّا عبد الله بن جلوى فإنه دخل وراء عجلان فنادى عبد العزيز
برجاله واستنفرهم فامتنعوا أثر عبد الله بن جلوى فهجموا على الحصن
هجمة رجل واحد فقتلوا أكثر من فيه، وكان بعضهم قد تحصن في أحد
جوانب القصر وأرادوا المدافعة إلّا أن عبد العزيز دعاهم بالأمان فسلموا،
واستولى على القصر يوم الرابع من شوال أو بالأحرى استولى على الرياض
فجاءه أهل البلاد مستبشرين فبايعوه على السمع والطاعة، بل على
الموت، ذلك لأن ابن رشيد قد هيا الأمور لابن سعود بأعماله فزرع بذور
الخنزير في قلوب أهل نجد عمروًا فلا عجب إذا استقبلوا ابن سعود هذا
الاستقبال، فلما طهر ابن سعود البلاد من العدو أخذ يباشر بناء السور
الخارجي فأحكمه وحصنه فتم بناءه لمدة لا تزيد عن الشهر، وإلى هذا
يشير العروني بقصيدة طويلة منها:

| | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| وادلج عليها بالمير وبالسوري | لما غدت مثل الحنسى ارقابها |
| وصله على العارض بليل داس | ولا حد من اوياش الأمير دري بها |
| عجلان بامر بالرياض وينتهي | طير العشا وكر المحرار اربابها |
| مقبوش رأسه بديرة فيصل | وطيور شلوى خما حسب بحابها |
| خمسين شغوم نديهم ضاري | حدر الدجى ذيب الظلام سرايبها |

دخل بليل واستكن بخفية
 قام الفريز فك يابه وانتشر
 طلع والي عبد العزيز بعينه
 وانكف الى قصره شيخ هارب
 وضمه خمى الوفدات قبل ادخوله
 يعيش ابو تركي شظاء بصارم
 يتلونه المقرن واخر محمد
 عند ابو تركي ما يفاخت رايه
 هنادى بضرب بيا روس العدا
 سبن ما فهم بعد لمالم
 كله لعيني نجد هي واطرافها
 إلا ينهب ضعوفها وتجارها
 الى وري الجدران تاخذ العدى
 يا نجد طيبي وابشري جاك الفرج
 ان ساعف المعبود دور الليلة

لما جلت شمس النهار حجابها
 صمى البصر والنفس محى كتابها
 مثل ارنب شافت خيال عقابها
 رادبح يبي الفتحة يخش يبابها
 تعيش بمننا جوده مخابها
 من ناش بدوروجه يحل ذهابها
 شندرة هقيل باليمين اقضا بيتا
 هو وآل مفرن كلمته يمضى بها
 مثل امس عند المعضلات صطابها
 قبل ارتفاع الشمس جذ ارقابها
 يوم ان كان الجبل ماشا بها
 من سنها جنابها نها بها
 وهو آخذ ما كان داخل بابها
 باسباب ابو تركي عريب انسابها
 خيله تركز في سماح حرابها

رجوع ابن رشيد إلى بلاده

وكان ابن رشيد لم يزل في منزله على الحفر فبلغه استيلاء ابن سعود
 على الرياض فجمع كبار قومه ورؤساء شمر فأخبرهم بأمر ابن سعود
 واستشارهم فيما يجب عمله وكانوا قد سثموا طول الإقامة، وخشوا أن
 يجرهم إلى الرياض، فأشاروا عليه أن يرجع إلى بلاده، ويستعد استعداداً
 لحصار الرياض، فرجع ودخل بلاده.

أما ابن سعود فقد أخذ يعزز مركزه وقد وصله نجدة من ابن صباح مع أخيه سعد من الرياض وقصد الخرج واستولى عليها، ثم سار إلى الحوطة والحريق والأفلاج.

فاستولى عليهن وإذا قلنا استولى معناه أنه فتح هذه الأماكن بقوة جنده بل إنهم هم الذين أدوا له السمع والطاعة عن حب وإخلاص لميلهم إليه ومحبتهم لهذا البيت وإخلاصهم لهم قديماً وحديثاً. وهذا الميل والمحبة هما اللتان ساعدتا عبد العزيز، على فتح نجد، لأنه إذا توجه لبلد فليس له فيها خصم إلا أمير بن رشيد ورجاله القليلين فيخذلونه أهل البلد ويساعدون عبد العزيز بتسهيل مهمته للقضاء على خصمه كراهة منهم لابن الرشيد وعماله وأعمالهم ومحبة آل سعود.

وكان صالح ابن حسن آل مينا قد سار إلى الشام بعد حوادث الطروقة وكان فيها جالية كبيرة من أهل القصيم، فأخذ يستجدهم لمساعدته وأرسل لهم محمد العبد الله العوني الشاعر المعروف قصيدة حماسية يستغفر بها جماعته أهل بريدة وأهل القصيم عموماً، فأخذتهم الحمية والشهامة فأقبل منهم نحو مائتين وخمسين من أهل بريدة مع صالح الحسن، ونحو خمسين من أهل عنيزة كبيرهم على الصقيري وأخاء عايد، فوصلوا الكريث في شعبان ١٣١٩هـ، والتحقوا بجيش ابن صباح الذين بالجهر تبع أمراءهم آل مينا وصالح العلي آل سليم، وحذه قصيدة العوني نقتطف منها ما يناسب الموضوع:

مطلعها:

خلج تجذ القلب بأنلا عوالها تكسر بصيرات يحطم سلالها

إلى أن قال:

وابكى على دار ديننا بربعها
ومن شرق لهين الأراضم تحدها
دار بنجد جنة كان قبل ذا
وصفه من الخضرات بيضا عتيقة
حصودها ينفض إلى مرّ حولها
هن امنّا وأحلو مطعوم درها
بدور بنا ما مثلها يكرم الظنا
تلقى علينا الجوخ والشمال فوقنا
ولا احد جزع من صفة يوم سلبت
قلت الا راويلاه وأخيلة الربى
يا طاوش من فوق سراقه الوطى

إلى أن قال:

أوصيك بامرّال بالير والسدى
إلى سرتها عشر وخمس مغرب
الى جيت سوق العصر بأتك غلمه
يقولون لك يا صح عطنا علومك
كل بلدات القصيم وغيرها
حذا داركم من عفتكم تندب الثرى
لعوبها الاجناب لا رحم حكيم
شيانم تضرب على غير موجب

واحدرك نوم الليل عينك ينالها
مرواحك العيدان منها منالها
تخضع بزنبات البرسيم نعالها
بلدان نجد عتيقاوش جوالها
عن الخوف زامرا دون جاله رجالها
تبكى على الماضين واعتزنا لها
والبيض بالبلدان شت لحالها
من عقب كبر الجاه تتف سبالها

أولاد على اليوم ذا وقت نفعمكم
أولاد على فالليالي قصيره
أولاد على اليوم ما هوب باكر
لا تتبعون الهوى والفجر والعسا
جود اورجا يا ناس ما هيب عندكم
وذى قتالة ما معظمه كودنادر
تري مركب الاخطار هو مصعد العلى
تري بالسيوف المال والعزو البقا
لا وحم ابد نفس نتاجر بمالها
ولا اللغنى غمدا الثنا من نوالها
قوموا بعزم الليث ماضي فعالها
أوربما اوليت يشعب سوالها
هذيل ما لحقوا هل القول جالها
أولاد على من بكم قال انا لها
ولا يدرك المقصود غير احتمالها
والجنة الخضراء بخضرة ظلالها

ثم أخذ يمدح سعدون ويستغزه في بقية هذه القصيدة فقال:

أقسمت بالكروسي وبالنور والعمد
فلا جابت الخضرات سعدون أو مش
من مثل ابو ثامر الى ضيضب الفتر
له هذه ما قيل ابا زيد هدها
على سابق تعطى على ما يريدنا
وأشهد بسكان المطر من اخیالها
مثله على وجه الرطى من رجالها
والخيل زاد من البلترا جفالها
ولا غتر المشيور ما قيل نالها
بينم ضحافين القبائل المينالها

ثم أخذ يستغز آل شبيب لعدم أخذهم يثار عبد الله المنصور الذي
قتل في كون العريف:

أبا الحق انا بعض الشبيب ملامه
قل كيف عبد الله تعدون وابنه^(١)
خلني مساعير العريف تزودهم
وهم يؤرخون الحب مالي كارههم
ونكرم على مشين الملامه مبالها
ملحق قصيرات السبايا طوالها
والضيعة العرما تنادي عبالها
وبلاء يا عين تزايد اجمالها

(١) بن عبد الله المنصور هو حمود الذي قتل بجا من الرقعة مع أبيه .

ثم استأنف مدح سعدون المنصور:

لولا أبو تامر يبرد بفعله فرضى سنة المشغوم ميتم طفلها --
سنة مهليل عن كليب خليعه فرضها أبو تامر وجدده شمالها
ذبح بعبد الله شيوخ كثيرة مصابيح ظلما بالدجى ينهي لها
ومن عتبهما ما يد وسبعين لجة نفسه وعنه ما قضى عشر مالها
وان عاش أبو تامر وساعف له الهوى كم خفرة ترمى الغطى من اهبالها
يتكن فصايرها فرقا حليلها ويتكن مشافيقه وترسى دلالها

ثم أرسل قصيدة يستغذيها وله فالح السعدون ويعيب عليه استقالة
بالزراعة وانصرافه عن عادة آباءه وأجداده، فلم يحصل بتأثير من ذلك،
لأن آل متفق لم يشتركوا في حوادث نجد بعد وقعة الصريف إلا ما كان ما
شابههم مباشرة كبعض الحوادث التي ستنبأ عليها فيما يأتي، فيقف
موقف الصديق أحياناً وتارة موقف الخصم حينما تقضي مصلحة.

وفي هذه السنة وقع اختلاف بين المعجمان وآل مرة في الرقعة
بالأحساء، فوقع بينهم قتال قتل فيه من الطرفين رجالاً، وكان عبد الله بن
يحيى الذكير يومئذ بالأحساء يشتري إبل فخرج باليوم الذي حصلت فيه
الرقعة، ومعه مائتان وخمسون ريالاً لأجل مشرى إبل كالعادة، وكان معه
رفيق من آل مرة من أعيال أولاد أبا لتفوس، فلما نار القتال بين المعجمان
وآل مرة قال أزين الديرة وراح به من طريق جنوبي [...] بين النخيل
والبلد خوفاً عليه يزعمه، فلما توسط في الطريق واختبأ عن أعين الناس
قتله المري وأخذ الدراهم التي معه، وبقي ليومه ما يعلم عنه أحد،
وباليوم الثاني وجدوه مقتولاً، فذهب دمه هدراً لأن حكومة التركي عاجزة

① المري

عن تأديب المجرم سيما إذا كان من البدو. وكان ذلك في شهر [. . .] سنة ١٣١٩هـ.

دخلت هذه السنة وابن رشيد في بلاده وابن سعود في الرياض، فلما تحققت ابن سعود أن ابن رشيد في بلاده وليس عنده حركة قريبة خرج غازيًا وأغار على قحطان وأخذهم، وبعد شهر واحد أعاد الكرة على قحطان وغزاهم وأخذهم. وهم على حلبان ماء معروف بعالية نجد. ثم خرج أخوه محمد ومعه أهل الرياض وبنوادي النقرة ابن وبلان وابن جمعة من المعجمان وابن نقاد أن من آل مرة وقصد قبائل مجتمعة بالشعري القرية المعروفة بعالية نجد وهم ابن بصيص رئيس بُرَيْه من مطير، وفبصل ابن حشر رئيس آل عاصم من قحطان، وابن حميد رئيس برقاً من عتية، وأغار عليهم وأخذ منهم حلال، وانكفى إلى الرياض. وكان ابن سبهان ومعه غزو أهل القصيم وأهل الوشم وسدير قريب منهم وأراد أن يمدهم فصار بمن معه يقصدهم ولكنهم فاتوه.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة خرج ابن رشيد من حائل عاصمة ملكه وقد آلى على نفسه أن لا يرجع إليها حتى يخرج ابن سعود من الرياض أو يقتل دون ذلك، وشاء ربك أن لا يخرج ابن سعود من الرياض وأن لا يرجع ابن رشيد إلى حائل فبر بيعته، وجاهد جهاد الأبطال طيلة أربع سنوات قتل في أثناءها.

خرج من حائل ومعه أهل حائل وقراها وشعر وأهل القصيم وأهل الوشم وسدير وأهل المحمل والشعيب ونزل رغبة القرية المعروفة في المحمل، فأرسل عبد العزيز بن سعود إلى أبيه في الكويت يخبره بقدوم

ابن رشيد ويستحقه على المجيء، وأرسل أخاه محمدًا ليصحب والدهما، وكان ابن صباح قد أمر على معسكره الذين في الجهري بالنزول فرسل محمد بن عبد الرحمن وهم على وشك المسير، فانضم إليهم من حف من هذا الجيش من الجهري، وبعد ثمان ليال أغار على شمر وهم على تبة الماء المعروفة قرب الأسياح، وأخذوهم وقتلوا واجعين إلى الكويت، فبلغ ابن رشيد خبرهم وكان يومئذ على الحسي فرحل على أثرهم لبحول دونهم ودون الكويت، ولكنهم فاتوه، فرجع إلى منزله، وبعد رجوع غزو ابن صباح خرج عبد الرحمن الفيصل من الكويت ومعه ابنه محمدًا في مائة وسبعين ذلولاً، فخرج عبد العزيز لاستقبالهم مسافة ثلاثة أيام عن الرياض، فدخلوا الرياض وابن رشيد في منزله على رغبة، وكان قد نفي المرض في جنده، فبلنت الوقيات فيهم نحو الخمسين يومًا، أخبرني بذلك عبد العزيز بن دعلج، وكان في معسكر ابن رشيد يومئذ مع غزو أهل بلده، ثم رحل من رغبة ونزل الحسي والمرض لم يزل يفتك في جنده، إلا أنه تقاصر قليلًا، فكانت الوقيات يومًا نحو عشرين، أقام بموضعه نحو شهرين زال المرض في أثنائها. فأرسل سالمًا السببان، ومعه أهل القصيم وبادية قحطان وأمره أن ينزل فرمى ضرما لعتيبة ليمتاروا من الرشم وسدير والقصيم، وكتب إلى معتمده بالأحساء سعد الحازمي بأن يستنفض قبيلتي العجمان وآل مرة، وطلب من حكومة التركي هناك موازرتة، ولكن ابن سعود سبقه إلى مثل ذلك، فأرسل أخاه محمدًا وابن عمه عبد الله بن جلوي إلى الجنوب يستنفضان آل مرة والدواسر، فشلت محاولات الحازمي وفازت مساعي ابن سعود. رحل ابن رشيد من الحسي ونزل حفر العتش ماء بين على حافة الدحناء من الغرب شمال الرياض ثلاث رحلات،

فلما بلغ ابن سعود نزول ابن رشيد بهذا المنزل خرج من الرياض، وقصد حائر سبيع جنوبي الرياض، فرحل ابن رشيد ونزل ^(١) نبيان الماء المعروف شمالي الرياض، وكان لابن سعود سرية في الدلم قاعدة الخرج بقيادة أحمد السديري، فأمره ابن سعود أن يتأهب للزحف معه إلى الرياض فيما لو هجم عليها ابن رشيد، أما إذا تجنبها ومشى إلى الخرج فأهل الرياض يتعقبونه من خلفه، وكان عبد العزيز بن سعود ينتظر هجوم ابن رشيد بعد أن نزل منزله الأخير، ولكن لا يعلم على أي جهة يكون هجومه، فخرج يؤلب من حوله. ترك عبد الله ابن جلوي بمن كان معه من الجنود، وأمرهم أن يقيموا في عليه - وهو جبل حصين بين الحريق والحوطة - ثم أرسل أخاه سعدًا إلى الحريق يستنجد أهلها، وراح هو إلى الحوطة للغاية نفسها.

أما ابن رشيد فقد رحل من نبيان ونزل أطراف الرياض، وأغار على ما كان خارج البلاد، وأتلف بعض ثمار النخيل، ثم هجم على البلد، ولكنهم صدوه فرحل منها وقصد الخرج وهاجم الدلم قاعدة الخرج، فامتنعوا عليه، فبادر ابن سعود وجميع جيوشه من أهل الحوطة والحريق فانضم إليهم الجند الذين في عليه مع عبد الله بن جلوي فكان مجموعهم نحو ألف وخمسمائة مقاتل، اجتمعوا في مادان ماء يبعد عن الدلم قدر عشر ساعات وأسروا في ليلتهم فوصلوا الدلم فدخلوها.

وقعة الدلم

قبل انبثاق الفجر ولم يشمر بهم ابن رشيد وكان نازلًا في تعجان قرية

تبعده عن الدلم نحو ساعتين شمالاً، فأرسل سرية تهاجم الدلم فخرجت لها
 خيل ابن سعود فتصادم الفريقان وحصل بينهما قتال شديد، فانهزمت سرية
 ابن رشيد وخيله فعلم بعدئذ أن ابن سعود في الدلم يظنه لم يرجع من
 الحوطة، وفي اليوم التالي خرج ابن رشيد إلى النخيل كمادته، فأحسن ابن
 سعود بذلك فسار بقسم من جيشه، فكانت الرقعة الأولى التي قابل فيها
 ابن سعود ابن رشيد وجهاً لوجه فكانت الرقعة شديدة، تحمس فيها كل من
 الطرفين استمرت ستة ساعات إلى غروب الشمس، ولم تسفر عن نتيجة،
 وقد أسر ابن سعود جماعة من قوم ابن رشيد من أهل لبدة، ولكنهم تمكنوا
 من الفرار ليلاً.

وكان في اليرم التالي مناوشة خفيفة طارد فيها ابن سعود ابن رشيد
 فتقهقر إلى معسكره وكادت تفقد الذخيرة التي مع ابن سعود وجنوده
 فأرسل إلى الحوطة يطلب قسماً منياً، ولكن ابن رشيد عندما جاء الليل
 أشغل نيرانه ليحزم أنه في منزله، وسرى في ليلة وسار شمالاً فنزل
 المسلمية التي تبعد نصف نهار على الدلم ولم يتمكن ابن سعود أن يتعقبه
 لقلة الجيش والخيل عنده، ثم رحل ابن رشيد من السلمية وسار قاصداً
 القصيم ونزل في أطراف بريدة.

① السلمية

غزو ابن سعود عتية

بعدما رجع ابن رشيد إلى القصيم كان بعض عتية الموالين لابن
 رشيد نازلين بين سدير والوشم، فخرج عبد العزيز بن سعود ومعه أهل
 الرياض ونواحيها وبعض القبائل، وسار قاصداً عتية، فأغار عليهم
 وأخذهم، وهم نازلين في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق.

غزو ابن رشيد وعريب دار

ثم سار ونزل حفر الباطن، ثم سار منه قاصداً بوادي الكويت، فأغار على عريب دار قرب الكويت، وأخذ الحلة والغنم وسلمت الإبل، ثم رجع ونزل العزبية والرحيل، ومنها شد ونزل رقة الباطن، فتخوف ابن صباح من قرب ابن رشيد، وكان سلطان الدويش قد مال إلى ابن رشيد، فكتب ابن صباح إلى عبد العزيز بن سعود يستنجده فلبى طلبه، وأقبل معه من الجيش ما ينوف على خمسة آلاف مقاتل على أقل تقدير.

فتأمل في قدرة الله سبحانه فقد صار منجداً من كان بالأمس مستنجداً، وقد خرج قبل سنة واحدة بأربعين جندياً وحصل الكويت، وقد كان ابن صباح قد جهز ابنه جابراً فاتحد جيشهما وسارا قاصدين ابن رشيد، وكان ابن رشيد قد بلغه مسير ابن سعود إلى ابن صباح فأراد أن يخالفه على عربانه فرحل من موضعه، وسار جنوباً، فبلغ ابن سعود وابن صباح خبر ابن رشيد وأنه ارتحل من موضعه ولم يعلما إلى أي جبة تعد وكان سلطان الدويش رئيس مطير قريب منهم، فأغاروا عليه في موضع يسمى (جوثين) بالعمان، فحصل بينهم قتال شديد أبلى فيه مطير بلاء حمناً، ولكنهم في النهاية غلبوا على أمرهم فأخذهم القوم وحصل منهم حلال كثير وقتل من الطرفين عدد غير قليل لأن مطير بتلك الوقعة استسلموا وقاوموا مقاومة عنيفة، وكان حلالهم يومئذ بين أيديهم فدافعوا عنه مدافعة شديدة، ولكنه القوة التي هاجمتهم تفوقهم عدد وعدة، فتغلبوا عليهم وقتل يومئذ عماش الدويش وابنه، وكانت هذه الوقعة في أواخر شهر شوال.

أما ابن رشيد فقد قلنا إنه رحل من الباطن قاصداً الجنوب، وأغار
 على سبيع والسهول وأخذهم وكانوا في الدهناء ثم رجع ونزل حفر القش^①
 ورحل منه عادياً على عتية الموالين لابن سعود فصباحهم على البطانيات،
 وأخذ منهم بعض الحلال، وإليك تفصيل ذلك من كتاب ابن رشيد نفسه،
 وإن كان لا يدل على الحقيقة التامة والكتاب مؤرخ ٢٠ القعدة سنة
 ١٣٢٠ هـ، يقول فيه بعد الاسم والسلام:

نخبركم أننا ثورنا على بركات الله من فوق حفر الباطن، وصار دربنا
 على الطوال وخلينا حسين ابن جراد وغزوة، وقيامنا فوق القرعا عنده شمر
 ومطير بأهلهم، وصار معدناً مع الصمان على عريان الجنوب.

تابع كتاب ابن رشيد مؤرخ ٢٠ القعدة سنة ١٣٢٠ هـ.

ويسرهم أن الله أخذ على أيدينا سبيع أبو اثنين وابن يحفل والسهول
 أجمعين، ومعهم أخلاط آل شامر وغيرهم وصباحناهم بالدهناء من توالي
 حفر القش أخذهم الله نحمد الله ونشكره، وردنا حفر القش ومنه عدينا
 على عريان عتية (الموالين لبني سعود) وكنا عليهم بأطراف البطانيات
 وأخذهم الله وهم عريان واجد بن عثيل. وابن جامع والعصمة، ومعهم
 أخلاط من عتية كثير والجميع رزقنا الله بعلالهم جاء منهم كسب واجد
 خيل وطرش ودبش وحلة ولا صار بول اكوان إلا الخير لله المحمد^②
 ومنافعنا غزوات كثير شمر كلهم ومطير علوي وبريه وقحطان، وبعض
 الظفير وكلنا رزقه الله من حلال العدو ولا والله نقصوا لا برجال ولا
 بفرس، ووافقنا غزو لعتية الرغالة^③ مع المهدي^④ أهل ثلاثين ذلولاً،
 وأخذهم الله وقضى الله عليهم يا الله العافية، هذا صفة ما أجر الله أرجوا أن

① القش

② الله المحمد

③ الرغالة

④ المهدي

الله يعزنا وإياكم بالطاعة، ولا يذلنا بالمعصية ويخذل كل عدو اجينا
اخباركم ^(١) بذلك لأن الذي يسرنا يسركم والسلام (مهر).

هذا كتاب ابن رشيد أما ما ذكر من كثر التهمة فلا تخلوا من المبالغة
وهذه عادة اعتدنا سماعها في كتب الأمراء والحكام وأكثر ما تكون المبالغة
حين يكون الفشل.

وبما أن هذه الوقائع جرت لوقتتنا وتحت سمعنا وبصرنا فلم
نعمد عليها في نقلنا إلا في تعيين الزمان والمكان، ويندر أن يكون وقعة
إلا وعندنا فيها كتب من ابن سعود أو من ابن رشيد أو منهما معاً،
وستطلع على مثال منه ذلك في وقائع سبأتي ذكرها، نعود إلى سياق
الكلام.

بعدما رجع ابن سعود من غزوته مع ابن صباح بلغه أن ابن سيهان
ومعه قحطان نازلين بأطراف الغاط، فخرج من الرياض، وقصدهم
فانتذروا به ورحلوا من موضعهم ورجعوا إلى القصيم، فلم يشأ ابن سعود
أن يرجع، فقسم جيشه قسمين سار هو على رأس قسم وأخوه محمد على
القسم الثاني، فكانت وجهتهما مطير.

فأما عبد العزيز فقد أغار على ابن بصيص والقرية وابن عشوان من
بريه، وأخذهم ونزل المنحة بالصمان، وأرسل مائتي بعير للكويت للميرة
عليها.

وأما محمد بن عبد الرحمن فقد أغار على ابن شخير من علوى
وأخذه، وسار قاصداً سلطان الدويش فانتذر به وحج وزين الكويت وطاح
على ابن صباح، وطلب منه أن يصلحه مع ابن سعود فأصلحه.

ملاحظة

فإننا إن تذكر أنه بعدما أغار ابن رشيد على هريب دار، ونزل وتبة الباطن قرب خليج الشمالي، جاءه رسول من حكومة التركي يحمل أمراً رسمياً تحذره فيه من التعرض إلى ابن صباح وطوارف الكويت، فعلم غاية التركي ويش من مساعدتها له، فأرسل ماجد بن حمود العبيد إلى الأسلم وعبد من شمر يستنفرهم، وأرسل طلال بن نايف الرشيد يستنفر شمر الجزيرة قصده أن يعيد الكرة على الرياض، لعله يجد فيها قرصة أما ماجد فقد وجد الأسلم وعبد مشتبكين في حرب مع عنزة، وهم على الأجلال والشبكة، واعتذروا بما هم فيه. وأما طلال فلم يكن حظه أحسن من حظ ماجد، فرجعا دون فائدة.

حوادث خارجية

في شهر جمادى الأولى من هذه السنة، خرج مبارك بن عذبي الصباح بن الزبير^① ومعه شرذمة بدر وحضر، وأغار على غنم لأهل الصبية، وأخذها وظهر جابر المبارك الصباح ومعه غزو من الكويت والعكر الذي في الجهر من أهل نجد، وطلبوا مبارك العذبي وانتذر بهم ودخل الزبير ونزل جابر بوادي النسا، وأغاروا خيله على أطراف بلد الزبير على أمل أن يظهر منهم أحد من النبلاء، فلم يظهر أحد ورجع إلى الكويت.

① من الزبير

حركات يوسف بن إبراهيم وأولاد محمد الصباح

كانت حركة ابن عذبي بسعي يوسف بن إبراهيم وكان نجاحها نشطة على العمل فجهز من الدورة سفيتين فيها نحو مائة وخمسون رجلاً

يرثسهم أحد أولاد محمد الصباح وولد جراح وساروا قاصدين الهجوم
 على الكويت، وقبل أن يخرجوا من الشط علم فيهم جابر الصباح أخيه
 الصباح مبارك وكان يومئذ في الفاو فرجع تلغرافاً إلى أحد البوارج
 الإنكليزية المقيمة في البصرة، يخبره بالأمر فسارت البارجة إلى
 الكويت، وكان جابر قد رفع الأمر إلى أبيه مبارك، فطلب رئيس البارجة
 من مبارك أن يرسل معه من يعرف هذه السفن، فأرسل معه
 عبد الله بن إبراهيم السمكة أحد التواخذه المشهورين فصادف السفن
 المذكورة عند خروجها من الشط فأحسوا بالأمر، فهربوا فطاردتهم
 البارجة وأدركتهم بعد أن دخلوا الشط، وكاد يقبض عليهم، ولكنهم
 تمكنوا من الالتجاء إلى شاطئ القصب، فنزل ثلة من رجال البارجة
 الإنكليزية في أحد زوارق البارجة ليتمكنوا من القبض على من في السفن
 قبل فرارهم، فلما قاربوا الشاطئ عاجلهم أدل السفن بإطلاق الرصاص
 عليهم فقتلوا ضابطاً إنكليزياً وجندياً واحداً، وانهزم أهل السفن وتركوها
 خالية فقبضوا على السفن ودخل بها البصرة، وخاطب والي البصرة فأنكر
 علمه بتجهيزها، وكذلك يوسف بن إبراهيم أنكر علمه بذلك، ولكن
 مباركاً اهتم لهذا الأمر وحاول أن يثبت الجريمة على يوسف وخاير رئيس
 الخليج، وأرسل شهود الاثبات إلى البصرة في شهر رجب، وأحرق
 الانكليز السفن المقبوض عليها، أما الحكومة التركية فقد علمت بسيرها
 وأن هذه الحركة من صنع يوسف بن إبراهيم، وأنه لا يركن إلى السكون،
 فأصدرت أمراً إلى ولاية البصرة، بأن إقامة يوسف بن إبراهيم بهذه
 الأطراف غير مرغوب فيه، وأنها تستحسن له سكنى الحجاز. فبلغته
 الولاية أمر الحكومة، فكتب إلى ابن رشيد يخبره، فأرسل له سرية فخرج

منها في ٢٨ رمضان من الزبير، وقصد ابن رشيد في الباطن ومعه أولاد الصباح الصغار ومبارك ^(١) الغربي، وأقام عند ابن رشيد.

① العنزي

ثورة أهل شقرا وإخراجهم منصوب ابن رشيد

وفي شهر الحج من هذه السنة كان في بلد شقرا كثيرها من البلدان حزبان مضادان فحزب يميل إلى آل السعود، وحزب يميل إلى آل الرشيد، ولكن أعمال ابن رشيد بعد وقعة الصريف وجوده وعسفه وحدث الكلمة رجمت القلوب نصاروا كتلة واحدة، وقد صدق القائل بأن هذه الرقعة كان الظافر فيها مغلوباً لأنها فريدة في نتائجها وعواملها، بل كانت هي السبب الأقوى لسقوط إمارة ابن رشيد وتقلص نفوذه. وقد رأينا مبادئ هذا الانقلاب حينما استولى ابن سعود على الرياض أطاعت له البلاد الجنوبية كلها دون أن يوجه إليهم جندي واحد، بل قدموا طاعتهم بطوعهم ورضاهم عنه حب وإخلاص. وكانت أعمال أمراء ابن رشيد في البلدان قد زاد الخرق اتساعاً، ومن هؤلاء الأمراء عبد الله الصويغ الأمير في شقرا من قبل ابن رشيد، فقد اشتدت وطأته على أهل البلد، وضيق عليهم الخناق، وأخذ يحاسبهم عن أقوالهم، فيزعم أن هذا يذم ابن رشيد وهذا يمدح ابن سعود حتى شمت نفوسهم من هذه السخافات، فاجتمع رؤساءهم وأعيانهم تذاكروا، ما وصلة إليه الحالة وأنهم لا صبر ليم على ذلك، فقر رأبهم إجماعاً على إخراج أمير ابن رشيد وخدامه من البلد، فلما أصبحوا استعدوا وأرسلوا للأمير من يبلغه أن الجماعة قرروا خروجك من البلد، فأما أن تخرج وتحقق الدماء، وإلا فنحن مضطرون لاستعمال القوة ضدك، وبما أن ليس لديه قوة يدافع بها فقد خرج ورجاله وساروا إلى

المجتمعة، وبلغ الخبر إلى مشاري بن عبد العزيز العنقري أمير ثوماء، فأرسل رسولاً إلى الصوينغ يأمره بالرجوع إلى ثوماء، فرفع إليه وأقام عنده.

أما أهل شقرا فقد أرسلوا إلى ابن سمود يخبرونه أنهم أخرجوا أمير ابن رشيد الذي عندهم، ويطلبون منه أن يرسل سرية تكون عندهم فأرسل الإمام عبد الرحمن مساعد بن عبد المحسن بن سويلم ومعه قوة فهاجم ثوماء ودخلها بمواطاة من بعض أهلها، فقتل الصوينغ ومن معه من خدام ابن رشيد، وهم ثلاثة عشر وقبض على مشاري العنقري وأرسله إلى الرياض فحبسه هناك، ومات في سجنه. ودخل ابن سويلم شقراء وأقام فيها.

وبعد هذه الحوادث انضم أهل الوشم والمحمل والشعيب إلى ابن سمود، ودخلوا تحت الطاعة، ولم يبق تحت نفوذ ابن رشيد إلا أهل سدبر الذين كانوا تحت نفوذ ابن عسكر أمير المجتمعة.

بلغ ابن رشيد ثورة أهل شقراء وإخراجهم منصوبه، وانضمام أهل الوشم إليه فزحف من القصيم قاصداً الهجوم على الرياض لعله يجد فيها فرصة لنياب عبد العزيز بن سمود عنها، لأنه لم يرجع بعد في غزوته على مطير التي تقدم ذكرها، فنزل على قصور شقراء في العاشر من شهر صفر وحاصرها ثلاثة عشر يوماً، فلم يدرك نتيجة، فراسلهم وأوعدهم وتوعدهم، فلم يدرك منهم مطلوبه، وكان قد أرسل أميراً ومعه قوة، فأغار على فريق من سبيع وأخذ منهم خيل ورجع إلى ابن رشيد، ثم رحل ابن رشيد قاصداً الرياض فعدل عنها، وأغار على الدواسر والقبابنة والقرينة وكان قد بلغهم خبره فاجتمعوا وزبنوا حلالهم، ولما أغار عليهم صدوه

ولم يدرك منهم إلا شيء قليل (على الرمحبة)، ثم أراد مهاجمة الرياض على غرة فصار من الرمحبة، ونزل الجنادرية وصار الساعة اثنين من الليل أسرى من الجنادرية ليس معه الأخيل وجيش كان يريد مهاجمة فريق بادية وترك حملته مع سالم السبهان على الجنادرية وقبل الفجر بساعة ونزل في أبو مرزوق ضلع على مسيرة ساعة من الرياض، وكان قد أرسل قبل مسيره نخيل تكشف حالة البلاد، ولكن النذير قد سبقهم ونبه أهل الرياض، فلما وصل الرياض وجدهم مستعدين فخرجوا ونازلهم خارج السور فصدروا، ثم انفتح ونزل نخيل تبعد عن البلد قدر ساعة، وأقامة فيها ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة إلا أنه قطع بعض النخيل وخدم بعض الآبار، ثم رحل إلى الرشم من طريق الحائر وضرمي ونزل ثرمداء وبني فيينا قصرًا وجعل فيه قوة أميرهم حمد بن إبراهيم بن عسكر ووضع فيه طعام وذخيرة وزودهم بما يلزمهم^(١)، ورجع إلى القصيم، وأرسل قوة مع ماجد بن حمود العبيد وقوة مع حسين ابن جراد.

أما ما جد فقد أغار على عتية في عالية نجد وأخذهم فيم حلال أما حسين بن جراد فقد أغار على عتية أيضًا وهزموه ورجعوا إلى بريدة، واليك ما يقوله ابن رشيد في هذه الحوادث.

كتاب ابن رشيد مؤرخ ٢٧ صفر

قال بعد الاسم والمقدمة:

صار منا عدة أكران على أهل الفساد من برادي نجد والحاضرة

(١) الملاحظة: لما رغب^{لرغبة} ابن رشيد قصر ثرمداء، جعل في دوضة^{سمير} نذير سرية ورحل ونزل ماء شمالي الأسر طاوية.
الأرطاوية

بعدا كوننا الذي عرفناكم عنها، روحنا سرية مع جزاع ابن عجل ويبرق معه
 حضر وبوادي عتية على شيوخهم ابن ربيعات وابن حميد وقحطان وأخذ
 الله على أيديهم عربان بأطراف الرياض وبعد ذلك غزيت شمر وحرب
 وقحطان وعتية وأخذ الله على أيدينا الدواسر والقبانية والقريظة ناس واجد
 طالعوا سبورنا قبل الكون بيوم، واجتمعوا حسبوا أنها غزوة بدو وصبحناهم
 وقطعهم الله حالكون وخذ الحلال وذبحوا الرجال صار عليهم الكون فوق
 الرعية وعتبة غزيت على بيات الرياض، توجبتنا له عشنا بالجنادرية روضة
 تبعد عن الديرة ستة ساعات، ورفت الخيل نجد^(١) البلاد هي متنبية أم
 لا وحيث الخيل تخبرنا أن ما عندهم خير وعند الساعة اثنتين من الليل
 سريت من الجنادرية بسلة خيل وجيش وخليت (الفود)^(٢) عند سالم
 السببان يصبح بالمراح ومشينا إلى أن جا قبل الفجر بساعة نوخنا (بابو
 مخروفي)، وسرنا خيل ورجل وجعلت من القوم ثلاث عدوات لكل باب
 عدوه معهم سلاحهم وما يحتاجون ويوم أننا قربنا الديرة رياحهم مستحسين
 بنا عند مناخنا ومنعت القوم عن قرب البلاد لأجل أن أكثر أهل الديرة طالع
 البلاد بفلاحيهم ومنازلهم وأمرت القوم يوم أننا صبحنا إغارة عليهم وجميع
 ما ظاهر السر انعدم الرجال ذبحوا والحال وخذ أقمت بالرياض عدة أيام
 هدمنا به منازل وقلبان وأذهبت الثمرة وشربنا ووطينا الحائر رضى
 وليا^(٣) الوشم جاري به حوادث.

وصلنا ثرمداء وبيتنا بها قصر وحطينا به رتبة أميرهم حمد إبراهيم بن

(١) تحير: أي تستكن خبرهم.

(٢) الفود: الرحلة.

(٣) وليا بمعنى إذا وليا معنا (وإذا أن).

عسكر وأهل الوشم حالهم من حاله كذلك ومليام. ذكرت لماجد يغزى
ركان على عتية التوفيق، وأخذهم الله وعقبتهم حسين بن جراد وكان
عليهم وأخذهم. الله يعزنا بالطاعة ولا يذلنا بالمعاصي أحييت أخباركم،
لأن الذي يسرنا يسركم هذا ما لزم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

هذا نص كتاب ابن ريد بلفظه ومعناه لم نغير فيه شيء بل كتبناه على
أصله.

ابن سعود

أما ابن سعود فبعد مغزاه على مطير سار إلى الكويت، وبلغه أن ابن
رشيد قصد الرياض فيم أن يرجع إليها ولكن جاءه رسول من والده يخبره
بهجوم ابن رشيد على الرياض وطرده عنها، فاطمأن باله واهتم في نقل
عائلته التي لم تزل في الكويت، فعاد بيها ولم يكذبصل العاصمة حتى
بلغه أن ابن رشيد رجع عن الوشم ونزل شمالي الارطاوية، خرج
عبد العزيز من الرياض ونزل شغراء، وأرسل عبد الله بن جلوي لمهاجمة
سرية ابن رشيد التي في ثرمداء فبذل الأمان لأهل البلد فأبوا القتال فقاتلهم
وهزمهم وتحصنت السرية في القصر الذي بني ابن رشيد حديثاً فحاصرها
وبدا يضم عليهم فلما أحسوا به تقبوا الجدار وانهمزوا منه ليلاً فاستولى
عبد الله على ما فيه من طعام وذخيرة فلما تم استيلاءه على البلد والقصر
أرسل عبد العزيز سرية مع أحمد السديري لمهاجمة سرية ابن رشيد في
روضة سدير فهاجمتها وهزمتها، واستولى السدير على الروضة، ثم مشى
سرايا ابن سعود على بقية بلدات سدير، فسلمت له ما عدى المجمع،
فقد دافعت دفاعاً شديداً، فتركها ابن سعود لخرصة أخرى، وقنع بما

① السديري

أدرك، فترك سريتين أحدهما في روضة سدبر، والثانية في جلاجل، وأتر
أحمد السديري في شقرا، ورجع ابن سعود إلى الرياض بشهر ربيع الأول.

وكان ابن رشيد قد رحل من موضعه ونزل بريدة لأنه خشي على
القصيم لما رأى سرعة تقدم ابن سعود وفي شهر جمادى الأولى خرج ابن
رشيد غازيًا من بريدة فأغار على عتية الموالين لابن سعود فأخذهم وهم
على المخامر بعالية نجد ثم رجع وجعل طريقه على سدبر وحاصر قرية
التقويم، فأمر ابن سعود أحمد السديري وأهل الوشم أن ينجدوا أهل
سدبر، وخرج هو أيضًا من الرياض منجداً لهم، ولكن ابن رشيد كان قد
رجع عن التقويم، ونزل بريدة، وسار ابن سعود ونزل جلاجل فأقام فيها
عشرين يومًا.

خروج أمراء القصيم من الكويت وانضمامهم إلى سعود

وكتب ابن سعود إلى آل سليم وآل مهنا أمراء القصيم الذين لم يزانوا
مع جيش ابن صباح المرابط في الجبيري، يأمرهم بالفدوم إليه بمن عندهم
من أهل نجد، فقدموا ومعهم أربعمئة مقاتل من أهل القصيم، وكان ابن
سعود قد عزم على غزو القصيم، فأخذ يعد العدة واستلحق غزوات
الجنوب والوشم وسدبر والمحمل والشعيب وبعض البوادي، فاجتمع لديه
خلق كثير حضر وبوادي، وكانت السنة شهباء والأرض مجدية من قلة
الأمطار، والبعير ضعيف والأطعمة غالية، بل يكاد يكون بحكم المعدوم.
وليس هذا الوقت بالمناسب لجر مثل هذا الجيش اللهب، علاوة على
ذلك أن هذا الجيش الكثيف لا يوجد فيه أكثر من أربعمئة ذلول لا تكفي
تكفي لحمل أمتعتهم، وبقية الجند يحشون على أرجلهم، ولكن رغمًا عن

هذه الموانع فقد زحف ابن سعود بهذا الجيش في القصيم ونزل المجمع
وحاصرها دون نتيجة، واتفق وأهلها على التسليم إذا هو استولى على
القصيم، فأرسل من موضعه سرية يرأسها عثمان المحمد (عثيمين) إلى
الزلفى، فدخله وقتل أميره محمد بن راشد السلطان، واستولى على البلد،
ثم رحل ابن سعود إلى الزلفى ونزله.

ابن رشيد يستشير أهل القصيم

وكان ابن رشيد قد نزل بريدة بعد رجوعه من سدير، ورأى أن ابن
سعود قد خالفه واستولى على الرشم وسدير وجميع بلدان الجنوب، ولم
يبق بيده إلا القصيم والمجمعة من سدير، فباله سرعة تقدم ابن سعود،
فعلم أنه ليس بإمكانه الاحتفاظ بما بقي في يده، واعتزم استنجد بحكومة
الترك ولكن يخشى أنه إذا أبعد عن القصيم يستولي عليه ابن سعود، لما
يعلم من ميلهم إليه، ولا يقدر على تنفيذ ما اعتزم عليه قبل أن يطمئن بآله
على القصيم، إذ أن بقاء نفوذه ورجحان كفته على ابن سعود ببقاء القصيم
تحت سيطرته، فاحتار في أمره فاستدعى عبد الله العبد الرحمن البسام،
وكان يتيمن برأيه وهو رجل القصيم دهاء وحكمة وروابطه قديمة مع
آل الرشيد، وله ميل إليهم، فقدم عليه في بريدة فأبدى له ما اعتزم عليه من
استنجد بالحكومة التركية، وأنه لم يمنعه من ذلك إلا تخوفه على القصيم
من ابن سعود فيما لو ابتعد عنه، وأنا محتار في هذا الأمر، وأحببت أخذ
رأيك، فما هو الرأي الذي تراه لي.

قال عبد الله: الذي أرى أن تحتفظ بالبلدان بالسرايا اجعل في قصر
بريدة أربعمائة رجل واجعل عليهم إحدى رجالك الذين تعتمد عليهم،

وجهبهم بما يحتاجون من طعام وذخيرة، وأما عنيزة قيين قصر الصفار،
ويجعل فيه قوة ثلاثمائة أو أربعمائة رجل بقيادة فهد السبهان أو غيره ممن
تقف به، وتجعل عندهم الكفاية من الطعام والذخيرة، وبث السرايا بينك
وبين ابن سعود، يكونوا رداً دون القصيم وابن سعود، فإذا رتب هذا
الترتيب فأنت وما تريد، وبغير هذا العمل لا يمكن أن تأمن جانب ابن
سعود وأهل القصيم، قال ابن رشيد: ما رأيت هو الصواب ولكن لا يمكن
تنفيذ هذا إلا في استعمال الشدة ولا ودنا نوحشهم خوفاً من تفاقم الأمور
ومجاراتهم بالوقت الحاضر أو فني وقصدنا مراجعها، ونعرض عليهم الأمر
لعل أنهم يوافقون على ذلك.

وهذه هي المرة الأولى التي أخذ يعرف فيها للرأي العام حقه،
فكتب إلى وجباء أهل عنيزة وأمرأهم يستدعيهم، فأتوا إليه وفي اليوم
التالي جمعهم، وقال: من المحتمل أني أترجه إلى الشمال، وأخشى أن
ابن سعود والسليم يتفانمون الفرصة بابتعادي عنهم ويفترونهم والبلد مثلما
تعمسون سورها بتهدم ونبي منكم المساعدة في بنيانه لأجل يساعدكم
على صد العدو، ونبي نجعل عندكم مربة مساعدة لكم والعم عبد الله
يشير علينا في بنيان قصر الصفا، وأن نجعل فيه قوة قدر أربعمائة رجل،
لأجل راحة الجميع عن المفسدين في داخل البلاد وخارجها ولا نحب
نمضي هذا الأمر دون مراجعتكم فما هو رأيكم بذلك. قالوا: إن كان
الأمير يرى ذلك صالح يرى تنفيذه فنحن سامعون ومطيعون، ولا عندنا
معارضة، وإن كان القصد مراجعتنا وأخذ رأينا فنحن نبدي ما عندنا،
قال نعم وأنا ما جمعتكم إلا لأخذ رأيكم. قالوا: نحن ما نرى في ذلك
صلاح لنا ولا للأمير، لأن بنيان السور يقتضي له عمل كبير ونفقة باهظة

ترهق الناس في تكاليفها، وأما السرايا في وسط البلد فلا بد يحصل منها مضايقة لأهل البلد، وربما يحصل تقربات توغر خواطر الناس ويحدث ما لا نحمد عقبا، خصوصاً مثل هذا الوقت، فالمسألة بين وجهين وللأمير علو الرأي في اختيار أحدهما. قال: وما هو هذان الوجهان. قالوا: إما أن الأمير في شك من إخلاص أهل البلاد وطاعتهم، فلو أن يعمل من التدبير ما تقتضيه ومصلحته. وإما أن يكون واثقاً من إخلاصهم وطاعتهم فيكل إليهم أمر الدفاع عن أنفسهم. فلم يستحسن أن يجابهم بعدم الثقة فيهم، بل قال: إني أثق فيكم الثقة الثابتة وأكل إليكم أمر الدفاع عن البلاد ولا أعتقد إلا أنتم خاصة لنا دون غيرنا، ولكن رغبة بزيادة تأكيد ذلك، أحب أن تباعروني من جديد، فبائعوه على السمع والطاعة، وأنهم سلم لمن سالم، وحرب لمن حارب، ثم أذن لهم في الرجوع، ثم رحل من بريدة، ونزل البطانيات. وكان ابن سعود يومئذ في سدير ولما كان في أواخر شعبان، ونزل ابن سعود الزلفي كما ذكرنا أننا أراد أن يجس نبض أهل القصيم ليعلم قبولهم واستعدادهم، فاستدعى ابن سليم فسأله رأيه في جماعة أهل عنيزة، فقال: إني واثق منهم، ولكن أخشى أن يغلبوا على أمرهم.

مكاتبة ابن سعود لأهل عنيزة فيعيد السبها إلى عنيزة

كتب ابن سعود إلى جماعة أهل عنيزة وكتب آل سليم كتاب إلى عبد الله العبد الرحمن وجماعة أهل عنيزة يخبرونهم عن دخولهم الزلفي، وأنهم سيستخدمون إلى القصيم ويرجون منهم المساعدة لتخليصكم من حكم ابن رشيد وجوره الذي أرهاقكم بأعماله، ونأمل أن تكونوا عند ظنتنا فيكم. وصلت الكتب إلى عبد الله العبد الرحمن فجمع أعيان أهل عنيزة، وعرض عليهم كتب ابن سعود والسليم، وقال: وش ترون في هذا الأمر

قالوا: الرأي مشترك، ونحب أن نستير برأيك أولاً، قال: الذي أنا أرى أن هذه فتنة سيعم ضررها، فلا تحب أن نتمجلها ونحن الآن في عافية من الطرفين والخلاف هو بين الحكام، فهذا ابن سعود بالزلفى وابن رشيد قريب منه، فنحن في أرقابنا بيعة لابن رشيد، لا يمكن أن نحلها بدون نقض منه، فإذا كان ابن سعود راغب في التقسيم فما عليه إلا أن يقضي على ابن رشيد وإذا تغلب عليه فنحن سامعين ومطيعين، فوافقوا على ذلك، وكتبوا إلى ابن سعود والسليم جواب كتبهما يقولون: إن بأرقابنا بيعة لابن رشيد ولا يمكن أن نحلها ما دام هو موجوداً ولم يأتي منه ما يتقضها، وهذا ابن رشيد قريب منهم إذا قضيتوا عليه فنحن بالسمع والطاعة. أما الآن فلا تقدمون إلينا.

لما وصلت كتب أهل عنيزة إلى ابن سعود وعرف مضمونها رحل من الزلفى ودخل الرياض، أما أهل التقسيم فقد نزلوا بلد شقراء بلغ ابن رشيد كتب ابن سعود إلى أهل عنيزة وجوابهم له، أرسل ليم فميد السبهان ومعه سبعون رجلاً فنزل فميد في بيت ونزل جنده في القصر داخل الديرة، وأقبل ابن رشيد ونزل بريدة وأقام فيها شهر رمضان، وفي أول شوال خرج ابن رشيد من بريدة، ونزل جراب الماء المعروف، واعتزم المحدار لتنفيذ خطته التي أوضحنا فيما سبق، وجد من الحوادث ما جعله يزعم رأي عبد الله العبد الرحمن في ضبط البلدان بالسرايا، فأرسل حسين ابن جراد ومعه نحو مائتين وخمسين رجلاً وأمره أن يتزل في السر بين الوشم والتقسيم وأمر بعض بوادي حرب أن ينضموا إليه، نزل ابن جراد فيضة السر إحدى قرى ليحول دون تقدم ابن سعود إلى التقسيم، وأرسل ماجد ابن حمود العييد ومعه سرية عددها نحو خمسمائة مقاتل، فنزل الشقية^①

وأمد عبد الرحمن شعبان في زيادة قوة، ونزل قصر مهنا في بريدة لما
رتب أمور القصيم رحل من جراب، وقصد السماوة، ومعه شمر وحربد
لأجل التمرين، وأخذ يخبر الحكومة التركية، ويستجدها فأقام هناك قدر
خمسة أشهر فلتركه في موضعه ليتم عمله ونعود إلى سياق الكلام لتتميم
الحوادث التي جرت أثناء غيابه.

الهجوم على سرية ابن جراد

وقته ٢٨ القعدة

فلما علم ابن سعود بارتحال ابن رشيد إلى العراق خرج من الرياض
في ١٢ القعدة ونزل الرسم فانضم إليه من فيها من أمراء القصيم، وأرسل
طلائع تستكشف له، فنزل ابن جراد فرجعت الطلائع تخبره أنه مقبم في
قبضة السر فترك حملة بالجريف فأسرى تلك الليلة وصبح ابن جراد في
منزله فقتله وانهزم قومه فاستولى ابن سعود على جميع بهائمهم ومخيماتهم
بما فيه، ثم رجع إلى الرياض، وأهل القصيم نزلوا شقراء، وفي هذه
الوقعة يقول علي الصغير:

يا ذهب عيّد من قفار حبين من كف شغوم ذبح عجلات
فبالى شبع من الغفار الذين فاقبل على ماجد وابن سبيات

أما فأول قدم ابن جراد فقد جنبوا بلدان القصيم وقصدوا ماجد بن
حمود العبيد، وكان يومئذ نازلاً الشقيقة فأخبروه بالأمر فتخوف أن يكون
هو الهدف الثاني فرحل من موضعه ونزل الغزلية ماء يبعد عن عنيزة ساعة
واحدة جنوباً ثم رحل منه ونزل الملقى وهو نخل لعبد الله العبد الرحمن
البسام يبعد عن الديرة قدر نصف ساعة شمالاً وحصل معه رهب ودخل

① فيمنه السر

② عجالات
أمير الرياض

③ ابن سبيات

الديرة واجتمع بفبيد السبهان وعبد الله العبد الرحمن البسام وأبدي لهما تخوفه من هجوم ابن سعود والسبب عدم ثقته بأهل البلاد لأنه رأى منهم ما يؤخذ ظنه، وقال: لا يمكنني الإقامة في بلد هذه الحالة، وسار نخل إلى بريدة وانضم السرية التي فيها جيش ليشمكن من المحافظة على القصيم، أما اجتماع القوة في عنيزة وترك بريدة خالية وهي مفتاح القصيم ما هو صلاح، فإذا كنا هناك نكون أقدر على الدفاع، فإن قدم ابن سعود على مهاجمة القصيم، فإن كان وجهه على بريدة كفييناكم إياه وإن كان وجهه على عنيزة نمدكم، فقال عبد الله: هذا رأي ما يوافق، فالأمير قد جعل في بريدة قوة كافية ولاهم في حاجة إلى زيادة والأمير لم يرسلك إلى بريدة بل أرسلك محافظاً لعنيزة، فإذا وقع أمر وأنت ببريدة فما هو عذرك عند الأمير، وساعده فبيد السبهان على هذا الرأي، فاقنع ظاهراً بصواب رأي عبد الله، ولكن أعاد الكرة في طلب بناء السور، أجابه عبد الله أن السور يحتاج إلى تكاليف باهظة، ولا نحب تشويش الناس، ولكن إذا كان لا بد من هذا الأمر فاجمع وجهاء أهل البلاد وراجعهم، فإن وافقوا فهو المطلوب وإلا تركه أولى، لأن الوقت يتنضي ذلك^(١).

أقام ماجد بموضعه وهو على أشد الحذر، وكان يرسل في كل يوم طلائع ويجعلهم قسمين أحدهما من الجنوب، والثاني من الشرق يتحسرون الأخبار عن ابن سعود لتلايدهمهم على غرة هذا من جهة.

ومن جهة ثانية كان يرسل الرسول إلى ابن رشيد يخبره بحوادث القصيم، ويستحثه على سرعة المجيء، ويقول: أدرك بلدان القصيم قبل

(١) فراجع الجماعة ولم يوافقوا ولم يأت أن يكرههم.

أن تؤخذ من أيدينا، ولكن ابن رشيد أصم أذنه عن إجابته، لأن حكومة التركي قد أصغت لكلامه وأوجست خوفاً من توسع سلطة ابن سعود في نجد، فأملته بالنجدة، فترك الميدان لابن سعود يعمل ما يشاء ثقة منه أنه بمساعدة الترك لن يستطيع أن يترد القصيم فقط، بل يستطيع أن يخرج خصمه من نجد جميعها، وما النصر إلا من عند الله.

حوادث سنة ١٣٢١ هـ

وفاة سيهان السلامة ٢٢ جمادى الثانية.

فتح عنيزة والقصيم

وفي أواخر شهر ذي الحجة خرج عبد العزيز بن عبد الرحمن من الرياض، ولما وصل ثادق أرسل يستدعي أهل القصيم أن يوافوه فيها فأتوه وأشاع أنه يريد الكويت، فترك حملته وثقل ما معه في قصر الجريفا من قصور الوشم، واتجه شمالاً بشرق، ثم عطف إلى القصيم، فلما وصل الشريعة ماء بالنفود رجع عنه بعض البوادي الذين معه لما علموا أنه يتصد عنيزة ولا طمع لهم فيها، ثم أسرى تلك الليلة فضلوا الطريق طيلة ذاك الليل، ثم وجدوا الطريق بعد أن خرجوا من النفود، وكانت كثافة ماجد يخرجون كل يوم يتحسون الأخبار عن ابن سعود، فصادفوه حين خرج من النفود، فرجعوا يخبرون ماجد أن ابن سعود نزل الحميدية ماء يبعد عن عنيزة ثلاث ساعات، فرحل ماجد من الملقى ونزل عند باب مريضة^① على حد السور من الغرب، فأخبر أهل عنيزة عن نزول ابن سعود الحميدية فقام ابن سيهان وأمراء عنيزة آل يحيى الصالح وأمروا أهل الديرة بالعرضة

وتوعد كل من يتخلف عن ذلك، فلما اجتمع أهل عتيزة واستعدوا
بسلاحهم أمروا عليهم أن يثرقوا على محيط السور فيجمعون الأربعين
والخمسين ويجعلوهم في مكان، ويجعلوا عليهم أحد رجالهم الذين
يثقون بهم، ويجعلون مثلهم على بعد قليل منهم، فرتبوا أهل البلاد
الجنوبي على طول السور ومحيطه، وكان ظنهم أن ابن سعود سيأتي إما
من باب شارع الشقة ^(١) الغربي أو من باب البابية الشرقي، أو من بينهما
فجعلوا في هذه المراكز قوة أكثر مما سواها وعلى الخصوص الشقة جنوباً
لأنها هي التي تلي مناخ ابن سعود، وبقي فييد مع بعض من الجماعة
يدورون على القهاوي لأنهم أمروا خواص كل فريق أن يستعدوا ويجتمعوا
في إحدى القهاوي ليكونوا رهن الأمر، وأما آل يحيى وأتباعهم فقد
أخذوا به يدورون على المراكز الخارجية يشجعونهم خوفاً من تسللهم.
بقوا على هذه الحال إلى أن مضى كثير من الليل فترجح في ظنهم أن ابن
سعود آخر الهجوم في هذه الليلة وإن الكشافة لم يتأكدوا أن الذي رأوه
هو ابن سعود فتتربت مراقبتهم وتسلل الناس من مراكزهم، ولم يبق في كل
مركز إلا قليل منهم، وكذلك الذي بالقهاوي قد تفرقوا أراح كل منهم
إلى بيته، فلما كانت الساعة السادسة ليلاً زحف ابن سعود من الحميدية
ونزل الجهمية النخل المعروف يبعد عن السور قدر ربع ساعة جنوباً ولم
يحص بهم أهل البلد فانتدب ابن سعود أمراء أهل القصيم أن يتقدموا إلى
بلادهم، فتقدموا مشاة وليس معهم أحد من غير أهل القصيم، فلما قاربوا
الشقة وفيها أكبر المراكز وأقواها وهو المركز الوحيد الذي لم يرجع من
أهله أحد قبل المصادمة، وكانت الساعة نحو الثامنة والنصف من الليل،
تقدم المهاجمون ولم يشعر بهم حتى أخذهم الرصاص فاضطرب أهل

المركز وذهبوا من هذه المهاجمة المفاجئة، ولم يكونوا على استعداد، فلم يقاوموا مقاومة تذكر، لأن المهاجمين قد داخلوهم والرمي لم يزل متواصلًا، فانهزم أهل المركز، وتفرقوا يمينًا وشمالًا، ودخل أكثرهم التخيّل وتركوا الطريق مفتوحًا، وقتل لأول وهلة من أهل البلاد محمد بن عبد الله المحمد البسام، وتقدم آل سليم وآل مهنا ومن معهم منه طريق البويطن^(١) ولم يعترضهم أحد حتى وصلوا المجلس من تهم السرية التي كانت في القصر لأنهم اختلفوا فرقتين فرقة من طريق البويطن صار طريقها على سوق المسوكف، والثانية صار طريقها من الجادة وكلا الطريقين. يعود رهن القصر فاجتاز منهم قسم وتمركز عند بيت علي السليم على طرق المجلس من الغرب، فقبضوا الطرق الثلاثة الغربي الذي يأتي من قبل العقيلية الجنوبي الذي يأتي من قبل الجادة والشرقي الذي يأتي من قبل سوق المسوكف وبقي الشمالي الذي يأتي من قبل المفرق مفتوحًا وهنا بدأ إطلاق الرصاص من بيت عبد الله العبد الرحمن البسام من الشرق. وبيت محمد العبد الله إبراهيم البسام من الشمالي مساعدة للسرية التي في القصر فصارت مراكز المهاجمين مكشوفة لا يستطيعون التقدم فتقدم قسم من الذين عند بيت علي السليم ودخلوا مسجد الجامع وتحصنوا فيه وصعد منهم رجال إلى منارة المسجد وكانت متسلطة على القصر فأخذوا يرمون منها أهل القصر فتمكنوا من إسكاتهم فنزلوا من أماكنهم وتحصنوا بأسفل القصر، ولكنهم لا يتمكنون من صد المهاجمين فتقدم أهل المراكز الجنوبي الشرقي، وكان فهد السببان يبيت في البلد عند زوجته، فلما

(١) آل سليم دخلوا من باب ساير والتقوا باللذين دخلوا في البويطن في المجلس الساحة التي أمام القصر.

سمع الرمي خرج هلى فرسه يريد أن يخرج إلى ماجد، ولكنه أراد أن يعلم حقيقة الأمر فجاء قاصداً السرية التي في القصر وعندما وصل عند بيت علي السليم وإذا فيه جماعة مسلحون، كان يظنون من حزيه فسألهم عن الأمر، فأجابته البنادق التي صويت إلى صدره فخر قتيلاً، فأخذوا فرسه وسلاحه وتركوه مجندلاً.

أما بيوت البسام فقد سكنت لسكوت أهل القصر، خرج الأمير حمد بن عبد الله البحيى الصالح إلى ماجد يطلب منه أن يمد لهم فأبى وسلم القصر بالأمان فخرجوا منه واستولوا على جميع ما كان لآل الرشيد وأعوانهم ولم يبق في البلاد معارضة فأرسل آل سليم إلى ابن سعود يخبرونه أنهم استولوا على البلاد، وأخرجوا من في القصر، وقتلوا فييد السبهان، ولم يبق إلا ماجداً بطرف الديرة وكان ابن سعود قد تأهب لذلك فأغار على ماجد مع طلوع الشمس فوجدوه قد تأهب للبعزيمة وهو على وشك المشى فعاجلوه، فأخذ يداخلهم وهو ينهزم حتى أنخنوه وقتل من قومه نحو خمسين رجلاً، فيهم أخاه عبيد [. . .] هو وانهمز قومه على غير طريقته، فالتحق بعضهم بعبد الرحمن بن ضبعان في بريدة أما ماجد فلم يقف دون حائل، وكان آل سعود المسجونين في حائل كلهم مع ماجد فأسرهم الإمام عبد العزيز واستبقاهم معه، فأطلق عليهم يومئذ اسم العرائف.

رجع ابن سعود ودخل عنيزة وجاءه وجيأء البلاد وسلموا عليه وبايعوه وبايعوا السليم، ولم يتخلف أحد ممن يشار إليه إلا البسام، فإنهم استوحشوا أولاً أحبوا مجاببة الأمور بتلك الساعة إلى أن تركز هذه الشوشة، واختفوا بحيث لا يعلم بمكانهم، فأرسل إليهم ابن سعود

يدعوه لمواجهته ، فلم يتصل بهم أحد ، وأرسل إليهم ثانية وكذلك لم يحصل نتيجة ، فغضب بن سعود وأمر من يفتحهم عليهم من بيوتهم ويأتي بهم جبراً فما سمعوا هذا الأمر حتى حصل شوشة في تلك الجنود الطائفة فاقترحوا بيوتهم ونهبوها ، وما كان ابن سعود والسليم يقصدون هذا الأمر ، ولكن دائماً في مثل هذه الحالة يصحبها حوادث لا يمكن إنقائها .

والحقيقة أن هذا الأمر ساء أهل البلاد جداً ويزن أن نسطر مثل هذا العمل ، ولكن التاريخ يتطلب الحقيقة ، نعم إن آل سليم قد عمل فيهم مثل هذا العمل وأكثر فقد صودرت أملاكهم وهدمت بيوتهم وجررت نساءهم بالأسواق بيد رعا من أهل البلاد مستخدمين عند أمراء البلاد من قبل ابن رشيد ، ولكن مع ذلك نرى أن بعض آل سليم قد تألموا من وقرع هذه المسألة ، لا نقول ذلك اعتذاراً عنهم وما كانوا محتاجين إلى العذر ، لأن مقدمات الأمور وتوابعها أعظم من هذه والدماء أعظم من جميع ذلك ، ولكننا حقيقة أردنا إيضاحها . قبض آل سليم على أولاد عبد الله البحيسي الصالح : حمد وصالح ، جبرهما . وفي اليوم الثاني قتلوا صالحاً . وتشفع محمد بن عبد العزيز السيح في حمد ، لأنه خال عيال حمد ، فشفعوه به ، واختبر أحد أولاد السليم ، فدخل عليه وقتله وهو في حبسه ، وتبع آل سليم بعض خدام الأمراء السابقين الذين كانوا قد أسأروا على حرمهم أو أمانوا بعض رجالهم بوقت ما قبض عليهم ابن جراد فقتلهم ونجى بعضهم فراراً كان ذلك اليوم الخامس من محرم سنة ١٣٢٢هـ .

انتهى الدفتر الثاني من تاريخ مقبل الذكر
ويليه الدفتر الثالث

فلما كان يوم السابع من شهر محرم سنة ١٢٢٢هـ قدم وفد من أهل بريدة يطلبون من ابن سعود أن يرسل آل مينا معهم لإخراج سرية ابن رشيد التي في قصر بريدة، فأجابهم وأرسل معهم صالح الحسن وبني عمه وجماعته، فاستقبلهم أهل البلد ورحّبوا بهم وباشروا ابن مينا حصار السرية، وكان رئيسها ابن ضبعان قد تحصّن في القصر، وعندما رأى حركة أهل بريدة قال لهم: إني لست في حاجة إلى مساعدتكم ولكني أحذركم من حوافب عملكم، فابن رشيد قد أقبل وهو قريب عندهم، قالوا: مثلما أنت لست في حاجة إلى مساعدتنا فنحن لسنا في حاجة لهذا الإنذار منك، فلأن تولي ابن رشيد تركنا البلاد لكم وله... ثم بعد ذلك سار ابن سعود ونزل بريدة، فباشروا حصار السرية وشدّد الحصار، ولكننا تمكنت من الدفاع نحو شهرين ونصف حتى نفذ ما عندهم من الزاد، وطلبوا الأمان فأجيبوا، فخرجوا من القصر وجيئهم ابن سعود وساروا إلى حابيل، وقدمت وفود أهل القصيم إلى ابن سعود في بريدة ما عدى حسين بن عساف أمير الرس والعنيلي أمير المذنب، فقد انهزما إلى ابن رشيد.

أما محمد بن عبد الرحمن الفيصل من بعد ما تم فتح عنيزة سار منها غازياً وقصد الذي يليه في حرب، فأغار عليهم وهم على الدليمية وأخذ عليهم إبلاً كثيرة ورجع إلى القصيم.

وفي ١٤ محرم سنة ١٢٢٢هـ : وقع /مطار غزيرة في عنيزة في الليل،

(١)
وكان لإحدى القلاع الكبيرة مجرى يباري الديرة في الشرق، بينها وبين
النخيل يتدى مدخله من شرقي باب البابية، ثم يعرج من عند المدائق على
الجعيفري ويمتد مسيره على السويطي على حياله حمد الزامل شمالاً، ثم
يعطف شرقاً على الشريعة على سوق الشلانية، ثم يجعل مقبرتي
الجميدي والطيمية شمالاً، ثم يعطف شمالاً على الجناح.

وكان هذا المجرى قديماً قبل أن تتسع البلد وبقي على حاله، وكان
له عرصات في حيالة الجعيفري لها أبواب، وكانوا يسدون بها أيام الفيض،
ومن الصدف أن السيل جاء ليلاً وأبواب العرصات مسدودة، ولم يتبه لها
أحد، لأن أهل البلاد في تلك الأيام مشغولون عنها أيام دخول ابن سعود
والسليم، فجاء السيل على مجراء العادي فحالت السدود دونه ومجراه،
ففاض السيل من مجراه من عند الجعيفري ودخل البلاد من الجبة
الشرقية، فأحدث ضجة كبيرة لما دهمهم، وخرج الناس من بيوتهم هم
وعائلاتهم وكان هم الناس النجاة بأنفسهم، وكان مقرة البغوف تتهدم نحو
مائة، وبيت طاحة من أساسها ومائة أخرى حصل فيها خلل، ولكن لم
يصب فيها نفوس.

استتب الأمر في التقسيم لابن سعود عدا قصر بريدة، فإنه لم يسلم.

وفي ١٧ محرم (عندما حدثت الأمور) أرسل عبد الله
العبد الرحمن وبقية من اختفى من البسام إلى ابن سعود بطلبون الأمان،
فطلب عليهم ابن سعود عشرة آلاف ريال، فسلموها فأقتنم، وخرجوا إليه
وسلموا عليه، وكان محمد بن عبد الله العبد الرحمن البسام قبل أن يدخل
ابن سعود عنيزة على وشك السفر إلى الشام كمادته، فخرج منها قاصداً

الشام لأجل تصريف الإبل التي قد اشتراها من أسواق الشام، وكان مجموع ما عنده في تلك السنة نحو مائة بعير، وخمس رعايا أو بالحري نحو عشرة آلاف رأس من الإبل، فمظف على ابن رشيد وهو في العراق يخبر حكومة الترك، فأخبره باحتلال ابن سعود القصيم، فأرسل ابن رشيد إلى تجار الإبل من أهل القصيم وأخذ منهم ثمانين بعيراً انتقاماً منهم على عمل ابن سعود.

القبض على آل بسام

وإرسالهم إلى الرياض

كان ابن سعود قد أرسل لابن صباح يبشره بفتح القصيم، فرجع الرسول من مبارك ومعه كتاب لابن سعود بأمره بالقبض على آل بسام، ويقول لأنهم أساس كل حركة وهم عضد ابن رشيد في هذه الأطراف، وبقاؤهم في عنيزة بالوقت الحاضر ما هو صلاح.

ويقول بكتابه: إنَّ محمد العبد لله وصل عند ابن رشيد، وبعد وصوله أخذ ابن رشيد من تجار القصيم ثمانين بعيراً لأجل شبل رحلة العسكر، لأن الحكومة أمدته في عسكر وأنه سيتوجه من السماوة عن قريب، ويحث ابن سعود على الاستعداد لذلك.

جاء ابن سعود من بريدة إلى عنيزة واستدعى ابن سليم وبعض جماعته وبلغتهم نجدة الترك لابن رشيد، ثم أرسل إلى عبد الله العبد الرحمن وابنه علي وصالح الحمد الحمد وحمد المحمد العبد العزيز وحمد المحمد العبد الرحمن، ومحمد العبد الله البراهيم آل بسام، وأخبرهم أنَّ ابن رشيد قد أقبل وقد أمدته حكومة الترك بعسكر

ولو وثقت أنا فيكم فالجماعة ما هم واثقين، والذي أرى أن تبعدوا
أنفسكم عن مضان القيل والقال ما دام الأمور على هذه الحال، ولا أرى
لكم أحسن من الاعتزال في الرياض على بساط الكرامة إلى أن تنتضي
هالأمور، لأنني أخشى من هرج ينسب عنكم عدو ويحملنا على مقتلكم،
نحن نود أن لا يصير لأحد مدخل في كلام، وأنتم في وجيبي وأمان الله ما
يجي عليكم ما يكدركم.

قالوا: حنا بالسمع والطاعة، وإذا كان ترون في إبعادنا شيء من
المصلحة لكم أولنا فحنا حذر الأمر، إنما نطلب من الله ثم منكم تمهلونا
يومنا هذا، ونطمئن بخواطر عائلتنا، وبكبري إنشاء الله نكون مستعدين.

قال: ما هنا أمور إنشاء الله تدعي إلى مضته، فالذي تريدون يلحقكم
واكتبوا بخواطركم لعائلاتكم وطمأنوهم، والجيش حاضر توكلوا على الله
واركبوا.

فركبوا في الحال وقدموا الرياض، فأنزلوهم في بيت بليت بهم،
وتركوا لهم حريتهم في الخروج والدخول، ورتبوا لهم كتابتهم وجعلوا
عندهم خدام يخدمونهم بصفة مراقبين، ولم يحصل عليهم تغيب.

ذكرت السبب في القبض على آل بسام ولم أذكر إلا ما ثبت عندي،
وأطلعت عليه وعندي بذلك وثيقة من مبارك الصباح كتبها إلى مقبل بن
عبد الرحمن الكبير، مؤرخة ١٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ، تتضمن كتابته لابن
سعود بهذا الأمر فدونه إثباتاً للحقيقة، لأن آل بسام اتهموا بعض الجماعة
بأنهم هم الساميين بذلك عند ابن سعود، ولكنهم على خطأ في فهمهم،
فالأمر من ابن صباح مباشرة، وسبطلع الفاري على ما يؤيد ذلك في كتاب

الإمام عبد الرحمن للشيخ قاسم بن ثاني في كلامنا هذا على التوسط لإطلاق سراح آل بسام في حوادث السنة التي بعد هذه.

ولكن — مع الأسف — أنَّ هذا الظن صار عندهم بحكم اليقين، وحملوا ابن رشيد على أن يكتب للدولة في إبعاد بعض الأشخاص من تجار أهل عنيزة في البصرة، فوقعت النكابة بأناس هم أبعد الناس عن أمور السياسة، بل وأمور ابن رشيد وابن سعود، وذلك أنَّ الحكومة اعتقلت محمد العويد الشعبي وأخاه عبد الله العويد، وحمد الحماد الشبل القائم بأعمال الشيلي بالنيابة وأرسلتهم إلى قونية فبقوا هناك مدة.

إقبال ابن رشيد من العراق بالعسكر

ذكرنا أنَّ ابن رشيد سار إلى العراق في شهر شوال الماضي وأخذ يراجع حكومة الترك في الأستانة ويستنجد بها على ابن سعود، وأقام على ذلك نحو خمسة أشهر وهو يرسل التلغراف تلو التلغراف، دون أن يظهر له بوادر من النجاح، ولكن الدولة أخيراً عطفت على طلبه وأوعدهت لأنها أوجست خوفاً من امتداد سلطة ابن سعود في نجد وأمدت ابن رشيد بنجدة مؤلفة من أحد عشر طابوراً وأربعة عشر مدفعا، وشيء كثير من الذخيرة والمؤن والمال.

وقد ذكرنا مصادره جمال تجار أهل القصيم فحمل عليها العسكر والذخيرة واستنفر شمر وحرب والتخفير وبعض من عنزة والشرارات وبني عبد الله، فأقبل يزحف بهذا الجيش الجرار قاصداً ابن سعود في القصيم، فلما وصل قصيا التقى بعبد الرحمن بن ضبعان فيها، وكان قد سلم قصر بريدة قبل بضعة أيام عندما نفذ ما عندهم من الطعام،

وكان ابن ضبعان مريضاً، فتوفي بعد مدة قليلة، أخبره ابن ضبعان بقوات ابن سعود فأقبل ابن رشيد، وكان ابن سعود قد كتب إلى بلدان نجد يطلب زيادة غزوه فجاءوا وانضموا إلى مَنْ معه فاجتمع عنده قوة ما هي قليلة حاضرة وبادية.

وقعة البكيرية

هذه الوقعة من أكبر الوقعات التي صارت في نجد بل هي أكبرها على الإطلاق بتاريخ نجد الحديث الذي وصل إلينا علمه، لما توفر فيها من الاستعدادات الحربية والأسلحة الحديثة الطراز عند الفريقين، وبكثرة ما حشد فيها من الجيوش، حيث إنَّ نجدًا شطرنجها هذه الحوادث شطرين متضادين، فمن حدود القصيم الشمالية إلى وادي الدواسر بيد ابن سعود، وقد حشد غزوان هذه البلدان وبواديها، ومن حدود القصيم شمالاً إلى جوف آل عمرو بيد ابن رشيد.

وقد حشد غزوان هذه البلدان وبواديها غير ما أمده به نزل ابن رشيد [...] (١) جيشه، وكان ابن سعود في (البصر) قرية من قرى بريدة ثم شدَّ منها، ونزل البكيرية وعسى، جيشه ثلاثة أقسام، قلب وجناحان، فكان هو ومن معه في غزو الجنوب جميعهم وبعض البادية الجناح الأيمن. وكان الجناح الأيسر أهل بريدة وأهل القصيم ومعهم بعض البادية، وكان القلب أهل عنيزة وتوابعها ومعهم بعض من عنيزة.

أقبل ابن رشيد وجنوده على نعبته، فوجه معظم قوّاته على جناح ابن سعود الأيمن الذي هو فيه، وجعل قبالة أهل بريدة وأهل القصيم بعض

(١) سطر غير واضح في الأصل.

من الحضرة وشمر، وقبالة أهل عنيزة مثل ذلك، اصطدم الجيشان في وسط النهار من ذاك اليوم والتحم القتال وحمي الوطيس، وبيعت الأرواح بيع السباع، وتزاحفوا حتى اختلط الفريقان وتجالدوا بالسيف إلى وقت العصر، فانهزم جناح ابن سعود الأيمن، وانهزم هو فيمن انهزم، أما القلب والجناح الأيسر فقد ثبتوا على القتال وهزموا الجيش المقابل لهم قبل الليل، ثم أغاروا على شمر وأخذوهم وهم لم يعلموا بهزيمة ابن سعود، فظنوا يطاردون فلول ابن رشيد الذي قد انهزم هو وأهل حائل على جيشهم، وتركوا العسكر لرحمة الأقدار، فصارت الملحمة والقتل فيهم، فلما أمسى الليل رجع أهل القصيم إلى معسكرهم ظافرين، وصادفوا برجعهم ثلث من العسكر، بأسلحتهم وأطوابهم منفردين، فقاتلوهم ثم تغلبوا عليهم وأسروهم وغنموا ما معهم من الأسلحة والأطواب والذخيرة.

فلما وصلوا إلى مخيمهم لم يجدوا فيه أحداً، فبلغهم حقيقة الواقع، وكان معهم عبد العزيز بن جلوي، ومحمد بن صالح شليوب، دخلوا في معسكر أهل القصيم بعدما التحم القتال وبقوا معهم إلى النهاية، وكان الخبر قد وصل إلى عنيزة بهزيمة ابن سعود، فظنوا أن الهزيمة عامة، فلما كان الساعة السادسة ليلاً وصل رسول من صالح الزامل السليم ومعه كتاب للأمير عبد العزيز العبد الله يخبره بهزيمة ابن رشيد ويقول: إن كان ابن سعود قد جنب البلاد فأرسلوا إليه وردوه، فأرسل الأمير عبد العزيز إلى ابن سعود كتاباً مع مجاهد الحبردي يخبره فيه عن حقيقة الواقع، وأرسل له الكتاب الوارد من صالح الزامل، وطلب منه أن يرجع، وأنهم مستعدون إلى جميع ما يلزم من المال والرجال، وجاء عبد الله بن قعدان يخبر الأمير

بعد أن صلى المغرب مع ابن سعود في كريع قصور مزارع مسافة ساعتين ونصف عن عنيزة بالجنوب الغربي منها، وصل الحبردي إلى ابن سعود وسلمه كتاب ابن سليم، ولكنه لم يصدق الخبر، فاستمر في مسيره قاصداً إلى الرياض.

وكان الأمير ابن سليم قد جمع أهيان أهل عنيزة. وكتبوا إلى ابن سعود كتاباً أشد لهجة وأكثر حماسة، فطلبوا منه أن يرجع ولو وحده، وعاهدوه بالله أن يقدموا له أموالهم وأنفسهم، فإذا لم يرجع فبهم معتمدون على حرب ابن رشيد بأنفسهم. وكان ابن جلوي وابن شليوب قد وصلوا عنيزة، فزار الرسول الثاني معهما، فلما وصل رسول أهل عنيزة الثاني سئل ابن سعود من ابن جلوي وشليوب وكانا حاضرا مع أهل القصيم فأخبراه، وصدقاً جواب أهل عنيزة، فرجع إليهما.

أما غزو القصيم الذي بالبكيرية فقد اعتزموا المبيت في البكيرية، وفي الصباح يرجعون إلى بلدانهم بمن عندهم من الأسراء والأطواب؛ وكان هذا رأي صالح الحسن المهنا، وأما صالح الزامل فقد كان يرى الرجوع حالاً في ليلتهم قبل أن يختبر ابن رشيد أنهم في قلة، ف يرجع إليهم فلم يوافق ابن مهنا، فركن ابن سليم إلى راية إلا أن الجند الذين معهم تخوفوا وأخذوا يتسللون في جنح الليل، فلما كان نصف الليل لم يبق من الجند إلا قليل، فاضطروا إلى الرجوع بليلتهم وتركوا ما معهم من الأسرى والغنائم، فرجع أناس من أهل البكيرية وأخبروا ابن رشيد، فأرسل قوة استولت على ما تركه أهل القصيم من العسكر والذخيرة، وكان عدد القتلى في هذه المعركة بنوف على الألفين وخمسمائة من ذلك نحو ستمائة وخمسين من أهل الرياض.

قنبلة في يده اليسرى^(١)

وقتل من أهل القصيم عموداً نحو أربعمئة وخمسين، وقتل من
عسكر الترك نحو ألف، وفيهم ثلاثة ضباط، وقتل من أهل حائل ونواحيها
نحو أربعمئة، وفيهم ماجد بن حمود العبيد، وعبد [...] ^(٢) لا يقل من
الثلاثة الآلاف^(٣).

رجوع ابن سعود إلى عنيزة

رجع ابن سعود بعد أن وصله كتاب أهل عنيزة الأخير، وهو على
المربع، فدخل عنيزة في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى فاستقبله أهل
عنيزة كبيرهم وصغيرهم خارج البلد استقبالا حماسيا، فاصطفوا صفين من
باب البلد إلى مسافة بعيدة بأسلحتهم، والخيول تجول بين الصفوف ترحيبا
بقدومه، فدخل البلد ولم يكن معه يومئذ أكثر من خمسين متجانا، فجهز
يومه سرية وأرسلها إلى البكيرية، ولكن ابن الرشيد قد سبقه إليها،
فرجعت السرية إلى عنيزة، وكان ابن رشيد بعد هزيمته قد نزل الشبيحة،
فتلاحق عليه فلول جيشه، فجمع قوته وتماسك بمن بقي عنده من
العسكر، وبلغه رجوع أهل القصيم عن البكيرية فنزلها.

وأرسل ابن سعود إلى القبائل التي حوله من عنيزة ومطير
فأجابوه، فلما تكامل ورودهم واجتمع عنده أهل القصيم، خرج في
السادس من شهر جمادى الأولى يريد ابن رشيد، فبلغه أنه نزل الخبرا

(١) هذه العبارة ليس لها نعت مما قبلها ولا بما بعدها.

(٢) التكملة ناقصة في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، والظاهر أنه سقط بمقدار صفحة.

(بلد من بلدان القصيم) وحاصرها، وكان قد وضع على أهل البكيرية غرامة طعام نحو خمسة عشر ألف صاع، وأمرهم أن يطحنوه، وجعل عندهم سرية يقبضونه منهم فتعقبه ابن سعود ونزل البكيرية، وطرد سرية ابن رشيد واستولى على ما كان فيا لابن رشيد من الطعام.

أقام ابن رشيد على حرب الحُبراء عدة أيام، ولكن أهل البلد صدقوا لحربه ودافعوا عنها دفاعًا شديدًا على أنه قد ساعده عليهم من الداخل تفشي الهواء الأصفر فيهم مرض (الكوليرا) الذي لم يعرف بنجد قبل ذلك، وكان قد سرى إليهم من جيش ابن رشيد بعد أن تفشى فيه من اختلاطه بعسكر الترك، فكانوا بين قبضة مرض داخلي وعدو خارجي، ولكن ذلك لم يقل عزمهم، فقد دافعوا دفاع الأبطال أخذ عشرة يومًا، كانت المدافع تشتغل عليهم ليلاً ونهارًا، [...] (١)، فحاصروهم فاستنصروا عليه، ثم دعاهم للتسليم وعليهم أمان الله فاستوثقوا منه ونزلوا بعد أن أمنهم فتخلسهم عن آخرهم، وسار ونزل الشنانة في ١٦ جمادى الأولى فقطع جميع نخيلها، وهدم بيوتها وتركها قاعًا صغصفاً، وحاصر الرُّس ونصب عليها المدافع وضربها، فدافعوا عنها وقتل أميرها أثناء الحصار، ثم رحل ابن سعود ونزل الرُّس فانقطع ابن رشيد عن مهاجمتهم، فأخذت المناوشات بينهم يومًا ستين يومًا دون أن يكون فيها وقعة حاسمة، فتذمر أهل نجد وسموا هذه الحالة التي لا هي حالة حرب ولا حالة سلم، فتفرقت بادية ابن سعود عنه طالبة المرعى لمواشيها، ولم يبق معه غير الحضر ثمانمائة وثلاثمائة من رؤساء البوادي.

(١) سطر غير واضح في الأصل.

ولم تكن حالة ابن رشيد بأحسن من حالة ابن سعود، فقد قامت عليه
البرادي فطلبوا منه أن يتوسع، فقد هلك مواشيهم في هذا المناخ، وكان
ابن سعود قد ملك عليهم الطرق فلا يصل إليهم من القوافل التي
يستمدونها من العراق إلا القليل، فضاقت عليهم معيشتهم، فأجبروه إما أن
يتأجر ابن سعود أو يرتحل من موضعه هذا، وكان ابن سعود عندما ترك
البادية أرسل فهد الرشودي من كبار أهل بريدة يعرض عليه أمر الصلح
على بقاء ما تحت يد كل منهما له، ولكن لم يشأ غرور ابن رشيد أن يسمع
مثل هذا الكلام، فأساء الرد، وقال لا صلح قبل أن أضرب النصيم
والرياض ضربة لا ينسوها مدى الدهر، رجع فهد الرشودي يحمل هذا
الكلام إلى ابن سعود فألقاه في مجلسه، وختمه بقوله: والله يا أهل نجد
إني رأيت رجلاً إن وليكم وتمكن منكم ليجعلنكم كأس الدابر، ولا
أزيدكم تعريفاً بعد العزيز بن متعب، فكلكم تعرفوه بحوادث الصريف،
لا والله لا يرضيه فيكم مثل عمله في الصريف، وكان الرشودي رجلاً
حصبياً رصباً فأثرت كلماته في الناس تأثيراً شديداً.

وقعة الحجاجاوي، أو القوسي

شد ابن رشيد في الشاة في ١٧ رجب تحت ضغط البادية، وكان
البادية قد ارتحلوا قبله، وعندما شد ابن رشيد ومشى هجم عليه ابن
سعود، فتصادموا وتقارعوا من طلوع الشمس إلى غروبها، وكان قصد ابن
سعود بهذا الهجوم أن يحول دون ابن رشيد اللحاق بشمر، فشاغله إلى
الليل، نصب ابن رشيد خيامه للمبيت ليوم ابن سعود أنه سيبيت في
مكانه، فأنخدع ابن سعود بذلك ورجع إلى مخيمه وأقام حراساً يراقبون
حركات ابن رشيد.

عندما علم ابن رشيد بروجوع ابن سعود شرع يتأهب للرحيل، فانطلق أحد الحراس وأخبر ابن سعود أن ابن رشيد قد رحل، وسارعوا إلى الخيل يستعبون ابن رشيد، فلما قربوا منه رأوا سوادًا فأغاروا عليها، فإذا هي عسكر الترك فنازلوهم ساعة، فصمد لهم الترك ورددوهم، فرجع ابن سعود إلى مخيمه دون نتيجة، ولكنه ترك حراسًا وكشافة في مكان قريب من منزل ابن رشيد، وقال لهم: إذا رحل إن كان صار طريقه على الحنف، وهو درب بين جبلي أبنات، فاتبعوه لتكونوا عالمين بمسيره، وأرسلوا لي واحدًا منكم يخبرني.

أما إن مشى إلى قصر ابن عقيل فمليكم أن نسبقوه إليه لتشجعوا أهله، وتخبروهم أنني على أثركم ليشتد ساعدكم.

رحل ابن رشيد من القوعي ونزل على القصر، ونصب في الحال مدافعه وشرع بضرب القصر، وكان الكشافة قد سبقوه ودخلوا القصر وأرسلوا يخبرون ابن سعود فخفف بمن معه في الساعة الأخيرة من نهار ذاك اليوم، فوصلوا إلى القصر منتصف الليل ودخلوه واستراحوا بقية تلك الليلة، وفي صباح اليوم التالي ١٩ رجب شد ابن رشيد فتركه ابن سعود يحمل أطوايه ويرحل إبله، وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك، خرجت عليه خيل ابن سعود ومشى الجند من ورائها فأدركوه في الحجناوي، أناخ ابن رشيد وجمع جيوشه ونصب مدافعه، وبنى بيوت الحرب فنصادم الفريقان وتقارعا إلى نصف النهار فتفقر الجناح الأيمن من جيش ابن سعود، فهجم ابن سعود وبقيته جنده هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب التي نصبها ابن رشيد، فحمي وطيس القتال فانهزمت عساكر الترك، ثم تبعهم ابن رشيد وقومه وفرّوا هاربين، وأراد ابن سعود أن

يَتَعَقَّبُهُمْ وَلَكِنِ الْحَمَلَاتِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي تَرَكَهَا ابْنُ رَشِيدٍ حَالَتْ دُونَ ذَلِكَ، فَشَغَلُوا عَنْهُمْ بِهَا فَاسْتَوْلَى ابْنُ سَعُودٍ وَجُنُودُهُ عَلَى تِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَا تُقَدَّرُ، فَقَدْ أَخَذُوا أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ يَنْقُلُونَ مِنْ هَذِهِ الْغَنَائِمِ مِنَ الْأَمْتَةِ وَالذِّخَائِرِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالْفَرَشِ وَالْأَثَاثِ وَالثِيَابِ، حَتَّى ضَاقَتْ أَسْوَاقُ عَنِيزَةِ وَبَرِيدَةُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَتَّى صَارَتْ تُبَاعُ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ، نَاهِيكَ بِالْإِبِلِ وَالْفَنَمِ.

وَقِيلَ: إِنَّهُمْ وَجَدُوا بَيْنَ تِلْكَ الْأَحْمَالِ صِنَادِيقَ مِنَ الذَّهَبِ حَمَلُوهَا إِلَى ابْنِ سَعُودٍ، فَلَمْ يَسْتَأْذِنُوا بِهَا بَلْ فَرَّقَهَا عَلَى الْجُنْدِ، وَلَسْنَا مِبَالِغِينَ فِي وَصْفِ هَذِهِ الْغَنَائِمِ، فَقَدْ أَخَذَتْ نَقْلَهَا مِنْ مَصَادِرٍ عَدِيدَةٍ وَاخْتَرَتْ أَقْلَهَا مِبَالِغَةً إِلَّا الذَّهَبَ فَلَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا نَقْلَ مِنْ كِتَابِ الرِّيحَانِيِّ، وَقَدْ طَبَّقَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ عَلَى مَا انْتَفَرُوا عَلَيْهِ، وَتَرَكْتُ مَا شَدَّ عَنْهَا إِذْ لَا خَيْرَ فِي الْمِبَالِغَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْحَقِيقَةِ.

انْهَزَمَ ابْنُ رَشِيدٍ فِي قَلَّةٍ مِنَ الْخَيْلِ وَالْجَيْشِ، فَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي النَّيْمَانِيَةِ الْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِسُفْحِ إِيَّانِ الْأَسْوَدِ مِنَ الشَّرْقِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ وَتَلَا فِي عَلَيْهِ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ بَعْضَ فُلُولِ الْمُنْهَزِمِينَ مِنْ قَوْمِهِ فَمَشَى مِنْهَا وَنَزَلَ الْكَهْفَةَ، وَتَلَا حَقَّ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ فُلُولِهِ. وَشَرَاءُ الْعَسْكَرِ الَّذِينَ سَلِمُوا وَأَقَامُوا فِيهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

أَمَّا ابْنُ سَعُودٍ فَقَدْ أَقَامَ بِمَوْضِعِهِ حَتَّى اكْتَمَلَ قَوْمُهُ حَمْلَ الْغَنَائِمِ فَارْجَعَ إِلَى عَنِيزَةِ، وَأَقَامَ فِيهَا بَعْضَ أَيَّامٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرِّيَاضِ فِي آخِرِ رَجَبٍ، وَأَرْخَصَ لَجُنُودِهِ يَرْجِعُونَ لِأَوْطَانِهِمْ، وَدَخَلَ الرِّيَاضَ فِي الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَخَشِيَ أَنَّ حُكُومَةَ التُّرْكِ تَسْتَأْنِفُ مُسَاعَدَةَ ابْنِ رَشِيدٍ إِذَا

بلغها هلاك عسكريا في هذه الوقائع، فأخذ يخبرها ويستعطفها ويتدخل عليها، ويبدى خضوعه، وأنه بالسمع والطاعة، ويرجوها أن لا تسمع كلام الأعداء والمفرضين والذين يصورونه عاصي على الدولة، وخارج عن طاعتها لعله على الأقل يكتفي شرها، وقد استجد بالشيخ قاسم ابن ثاني أمير قطر أن يساعده برفع البرقيات، وبزبل ما علق بذهن السلطات عن ابن سعود، لأن كلامه مقبول عند الدولة، ولها ثقة فيه، وأجابه ابن ثاني وأرسل عريضة خطية لوالي ولاية البصرة، وأخرى تلغرافية إلى السلطان عبد الحميد من أربع نسخ أحدها بواسطة الوالي المذكور، والثانية بواسطة مجلس الوكلاء الخاص، والثالثة بواسطة الكاتب الأول في المابين، والرابعة بواسطة أبي الهدى الصيادي.

وأرسل ابن سعود تلغرافين إلى السلطان عبد الحميد على أربع نسخ الأولى نسخة من كل واحد من التلغرافين باسم السلطان بلا واسطة، ونسخة من التلغرافين بواسطة الكاتب الأول في المابين، ونسخة بواسطة مجلس الوكلاء الخاص، ونسخة بواسطة أبي الهدى أفندي، واليك مضمون تلغرافات ابن سعود.

التلغراف الأول

من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد

إلى أعتاب سيدي وولي نعمتي سلطان البرين وخاقان البحرين،
خليفة رسول الله السلطان المعظم، السلطان عبد الحميد خان الثاني، أدام
الله عرش سلطته إلى آخر الدوران أمين.

أقدم عبوديتي وطاعتي ودخالتي إلى الأعتاب السامية المقدسة

ممتلاً كل إرادة وفرمان لست بمعاصي ولا خارج عن دائرة الأمر، بل أن
العبد الصادق في خدمة دولتي وجلالة متبرعي الأعظم، أريد الإصلاح ما
استطعت قد ابتلاني سبحانه وتعالى بشرذمة يحسدون ويفسدون ولا
يصلحون، قاموا يشوشون أفكار دولة جلالة ولي النعم، ويدخلون على
فكرة الشريف الأوهام الواهية، يريدون تفريق الكلمة الإسلامية وتقسيم
الجامعة المقدسة العثمانية، وإلجائي إلى الاحتماء بالدول الأجانب،
فحاشا ثم حاشا عبد جلالكم عثماني صرف، أفدى السدة العثمانية بعزير
روحي، أجمع كلمة بادية الخطة النجدية بما أتاني الله، ومنحتني دولتي
العلية من النفوذ تحت راية مولانا أمير المؤمنين سلطان الإسلام
والمسلمين السلطان هيد الحميد نصره الله، لكن هؤلاء الذين يريدون
تفريق الجامعة العثمانية لا يألون جهداً في إلقاء الدسائس حتى تمكثوا من
جعل الأمر في غير قلبه واستجلبوا لي انحرف الرضاء العالي، فسافوا علي
العساكر الشاهانية أولاً، واسترحمت وقدمت طاعتي فلم أوفق لإزالة
الشبهة التي أدخلها المفسدون، والآن بلغني أن الحكومة السنية سافت
علي عساكر غير الأولى، فأنا أضرع إلي مرحلة وشفقة وضأن رحمة
وديانة مولانا أمير المؤمنين أن لا يؤاخذني بدسيسة ألقاها المفسدون، ولا
شبهة احتج بها الحاسدون المزورون، فينظر إلي حفظه الله بعين العدالة
والشفقة الرحمة، ويحقق دماء ألوف من المسلمين الطائعين الداعين
بدوام عرش جلالته.

وعلى كل فليس لي إرادة أو قول أو فعل يخالف الرضاء العالي،
وتظهر الحقيقة بالاختبار، كما أنني استرحم من حكمة جلالة مولانا
ومتبرعنا الأعظم، وفطنته السامية أن لا يروج مقاصد أرباب الفساد أعداء

الدين والدولة، الذين يريدون إشغال دولتنا العلية وتشيت عاكرها
المظفرة يمينًا وشمالًا، وإضعاف ماليتهما فإن لهم بذلك مقاصد لا تخفى
على سمو حكمة جلالة مولانا أمير المؤمنين، وأنا عبد صادق خادم مطيع
ملتجئ لمرحمة وشفقة جلالكتكم.

١ رمضان سنة ١٣٢٢ هـ عبد الدولة العثمانية عبد العزيز بن
عبد الرحمن بن سعود.

التلغراف الثاني

من ابن سعود إلى السلطان عبد الحميد

إلى أعتاب سيدي... إلخ.

إنَّ مرحمة جلالتكم وشفقة عظمتكم وعز سلطنتكم أجلُّ وأعظم من
أن يمتعوا (كذا) عن عبد صادق في عبوديته لعدة أعتابكم مثلي، قدمتُ
جملة دخالات على أعتاب خلافتكم السامية الإسلامية معلًا إذعاني
وانقيادي وطاعتي لإرضاء ولي نعمتي، شيوخ الأعظم، ومع هذا فلم
تصدر إرادة المرحمة والشفقة بإيقاف الحركة العسكرية الموجهة ضدي،
مولاي أمير المؤمنين عبد جلالكم هنا يعلم عام اليقين ما يكلف سؤق
العساكر الشاهانية إلى قطعة نجد من المشاق والأضرار على الملة
الإسلامية والجامعة العثمانية، ويعلم أن المسبب لهذه المشاق والأضرار
دسيسة من أعداء السلطنة السنية، يريدون تفريق الجامعة المقدسة العثمانية
ليدركوا مطالبهم.

وأما عبد جلالتكم هذا فسامعٌ مطيعٌ مسترحمٌ عفو جلالتكم، وإن لم
أذنب دخيل على شفقتكم ومراحمتكم في عفوي (كذا) إن كان صدر مني

ذنب، وحقق دماء ألوف من المسلمين من هيبكم الطائعين الداعين بدوام
عرش السلطنة الحميدية، وحاشا حكمة جلالكم أن تصغوا بعد ذلك
لزعجارف دسائس أرباب المقاصد المفسدين، هذا عرضي واسترحامي
والفرمان العلي الشأن لحضرة جلالة أمير المؤمنين هـ رمضان سنة
١٣٢٢هـ.

عبد الدولة العثمانية عبد العزيز عبد الرحمن بن سعود أرسل هذه
التلغرافات على الشيخ قاسم ابن ثاني أمير قطر، وطلب منه أن يرسلها
بواسطته إلى المراجع التي قدمنا ذكرها، ورجي منه أن يكتب معها إلى
السلطان ومن يرى من مأموري الدولة ما يناسب ذلك، فأرسلها الشيخ
قاسم وكتب كتاباً إلى مخلص باشا والي ولاية البصرة وتلغرافاً إلى
السلطان عبد الحميد أرسله بواسطة الوالي المذكور، وبواسطة مجلس
الوكلاء الخاص، وهذا نص كتابه إلى والي ولاية البصرة.

كتاب الشيخ قاسم ابن ثاني

إلى والي ولاية البصرة

لجانب والي البصرة الجليلة صاحب الدولة مخلص باشا الأنخم
يفتضي على كل عهد صادق صاحب وجدان وغيره، وحمية لدينه ودولته
وسلطانه عند حدوث كل مشكلة سياسية في داخل الممالك المحروسة أن
يعرض فكره ونصيحته لأولياء الأمور عساه أن يصادف قبولاً، وبوفق لأداء
واجب الخدمة بالنصيحة، فإنه لا يخفى على دولتكم حدوث القلاقل
والمشاكل في قطعة نجد بين الأمير ابن رشيد والمرتضى في وطن آبائه
وأجداده عبد العزيز بن سعود، حتى تحول نظر أرباب الحل والعقد من

أمراء ومأموري الدولة العلية إلى هذه المسألة، فليست غير قابلها الحقيقي، فجعلوها محوجة التدخل العسكري، وبقيت أن ذلك غير موافق للرضاء العالي، فإن رضاء أمير المؤمنين حفظه الله ونصره في حل كل مشكلة حلاً لا يخالطه وجود غائلة، ولا يلجئ الدولة لتكبد المشاق والخسائر وإهراق دماء ألوف من المسلمين، فإن كل حادث لا يحوج إلى التدخل العسكري، إذا صارت فيه المداخلة بادية بدء كانت نتائجه غير محمود، وموجب للتلف وتكبد الخسائر والمشاق وإهراق دماء المسلمين، وفي النهاية لا تأتي بفائدة، ولا تنتج نتيجة حسنة، وما ذلك إلا الخطأ السياسي يتبع.

ونحن جماعة المسلمين لنا شريعة إلهية تنبأنا عن تفريق الكلمة وتأمينا بتوحيدها والطاعة الكاملة بجميع معناها لخليفة رسوله أمير المؤمنين بنص ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُ وَتَذَقُّوا بِرَحْمَتِهِ﴾ [الأنفال: ٤٦]، نعم إن من دأبه بذر حب الشقاق والتفرقة بين جماعات المسلمين، يجدون لهم عند حدوث كل حادث باباً واسعاً من الأوهام، يدخلون فيه على متبوعين الأعظم، ليجروا الأمور على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزاً وثروة.

وليس على غير وفق الرضاء العالي لينالوا بذلك مركزاً وثروة.

وليس قصدي من هذه بيان مساوىء بعض الأمراء والمأمورين، بل قصدي أداء ما يجب عليّ ذمة وحمية وديانة من أداء النصيحة ببيان لزوم حل هذه المسألة حلاً يوافق للمصلحة بدون إحداث مشاكل أصعب ما هي فيه الآن، وذلك امتثالاً للشريعة الإلهية ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، فيلزم على من هو مثل دولتكم حائراً

هذا المقام متصفًا بالصفات الحميدة، أن يجعل اجتهاده في حل هذه
المشكلة حلًا يوافق للمصلحة الحاضرة، وذلك بطريق الإصلاح بين
الفتين المتشاجرتين بدون مساعدة أحد الطرفين على الآخر حتى لا يوجب
له المروق عن الطاعة حقيقةً وفعلاً، وذلك بأن يكفّ القريفان كلاً قطعاً
عن إحداث القلاقل والزام كل منهما الراحة والسكون وإن كان ثمة اشتباه
من ابن سعود وأمره أعطي التعليمات اللازمة وأنذر الإنذارات المقتضية،
فإن أذعنوا وأطاعوا فلا تبغوا عليهم سبيلاً، وإن عتوا وعصوا فسزق
المساكر آخر علاج تستعمله الدولة لإخضاع الرهايا.

على أن ابن سعود طلب هذا الأمر مراراً. وبهجة التوهم أدخل
أرباب الأغراض على الحكومة السنية الأوهام ومنعوها من استعمال الرفق
الذي هو أوفق للمصلحة.

ومع هذا فإني مقدم للأعتاب الملوكانية ولمجلس الوكلاء الخاص
تلغرافاً هذه صورته أقدمها لفاً لتعرض أيضاً بواسطة دولتكم عساه أن
بصادف قبولاً فأفوز بخدمتي لديني ودولتي ومنبوعي الأعظم خليفة رسول
رب العالمين نصره الله وأيده، وعلى كل حال الأمر والفرمان لحضرة من
له الأمر ٨ رمضان سنة ١٣٢٢ هـ العبد الصادق المخلص: قاسم قاض
قطر ورئيس عشائرها وقبائلها قاسم الثاني:

التلغراف الصادر

من الشيخ قاسم بن ثاني

إلى السلطان إلى الأعتاب المقدسة والركاب المحرومة السلطانية
أثير الله سرير سلطته بالعز والنصر أمين.

إن عبوديتي وصداقتي وإخلاصي وصداقتي وحبتي لا يدعوني أن أترك النصيح لديني ودولتي وسلطاني سواء صادف قبولاً أم لا، فقد سبق من هذا العبد الصادق العرض بعدم تنصيب سؤق العساكر الشاهانية على ابن سعود وأن الأمر دون ذلك، حيث أن المشهور والمعروف عن سياسة وحكمة مولانا أمير المؤمنين خليفة رسول رب العالمين نصره الله وأيده، المرحمة والشفقة لعموم التبعية السلطانية، وأن ليس في طبعه الشريف اتباع آراء أرباب المقاصد والأغراض الذين لا يقدرّون عواقب الأمور حتى قدرها، والذين لا يهمهم إلا منافعهم الشخصية على أنه ليس هناك سبب يستوجب سؤق العساكر المنصورة على ابن سعود سوى العداوة السابقة الثابتة بحكم الطبيعة بينه وبين الأمير ابن رشيد، وأن الأمير ابن رشيد وجد من يساعده على مقاصده من أرباب الأطماع يبذل التقدير حباً للانتقام.

وقد أعرضت بلسان الصديق والعداوة واسترحمت عدم سؤق العساكر الشاهانية على ابن سعود، وإن كل مطلب ومقصد يحصل بدون أن تطلقوا على نجد وأهلها اسم العصيان الذي يكلف الحكومة السنية من المشاق والمصاريف والخسائر ما هي غنية عنها بدون فائدة، على أن ابن سعود ليس بعاصي ولا خارج عن رسم الطاعة.

نعم إن الذين أدخلوا في أفكار مولانا أمير المؤمنين سوء قصد ابن سعود وأن منه الخطر على نجد وما يليها، هم أعداء الدولة والملة الذين يريدون تفريق الكلمة، حيث إن أمثال هؤلاء لا يستفيدون نفداً وجاهاً وموقفاً إلا بإحداث مثل هذه المشاكل والتلاقل، كما فعلوا في غير هذه القضية، وكما فعلوا في مبادئ مسألة الكويت، وقد أعرضت أفكارني عند

حدوث كل حادثة، والآن قد بلغني أن الدولة العلية صانها رب البرية قد عزمت على إظهار عساكر مرة ثانية لنجد وحيث إن هذا القصد مبنى على أوهام لا وجود لها، أتيتُ أعرض ما يجب عليّ ذمّةً ودينًا من أدائه النصيحة، بأنّ سؤق العساكر على نجد وأهلها ليس فيه صلاح ولا منه فائدة، وأجلّ الفائدة وأعظم الفوز بجمع الكلمة الإسلامية العثمانية، وأخل نجد بالتحقيق وما خرجوا عن هذه الدائرة ولا صدر منهم سوى احتلالهم وطنهم بحكم المشيخة والرياسة حسب الفواعل العربية، وحيث أن الذي كان مترئسًا فيها ابن رشيد، قام هو ومَنْ هو مساعد له، وعلى شاكلته يدخلون الأوهام على الحكومة السنية وليس عندهم إلّا حب الانتقام بدون مصلحة ولا فائدة.

والأولى والأصلح أن ينذر ابن سعود وكبار نجد وعلمائه بالنذر ويبلغوا البلاغات المتفضية سياسة ويوعظوا بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أذعنوا وأطاعوا لإرادة سلطانهم.

[...] (١) آخر علاج، على أنه قد بلغني أن ابن سعود قد استرحم مرادًا بأن الحكومة تشكل لجنة لتحقيق أحواله وأحوال ابن رشيد، وكف الطرفين، وذلك أولى وأصلح وأحسن لدماء المسلمين، وأنفود للدولة العلية، وعلى كل حال استرحم باسم العدالة والصداقة والحمية أن يصرف النظر عن سؤق العساكر، وتنظر الدولة العلية في الأمر بجعل مشايخ نجد مأمورين رسميين لا فرق بين ابن سعود وبين ابن رشيد، كما أنني استرحم أن لا تُجعل نصيحتي في زوايا الإهمال والأمر والفرمان لحضرة من له الأمر.

(١) سطر غير واضح في الأصل.

٨ رمضان سنة ١٣٢٢ هـ

العبد الصادق قائم مقام قضاء قطر

ورئيس عشائرها وقبائلها : جاسم الثاني

وكانت الصحف العربية يومئذ تتابع سياسة الحكومة العثمانية كما هو شأن الصحف التي تعيش في الحكومات الاستبدادية، ولم يكن لها من حرية الكلام ما يخولها تمحيص الحقائق، بل إنها ترى وتعتبر ابن سعود عاصي وخارج عن طاعة الحكومة، ويطعنون عليه أشد الطعن إرضاءً للباب العالي أو مدفوعين بدافع المصلحة من خصوم ابن سعود الكثيرين، ولم يكن لابن سعود يومئذ اتصال بالصحف، ولا يأبه لما يقال فيها، ولم يدرك فائدة الدعاية معتمداً على قوة حقه.

ولكن بمناسبة رفع هذه التلغرافات وظهور أثرها بإصفاء الحكومة إليها، واعتبار ما جاء فيها كتب بعض الكتاب مقالة نشرت في إحدى الصحف بتاريخ ٢٢ ذي القعدة بإيعاز من الشيخ قاسم، ولمناسبتها للموضوع أوردناها إتماماً للغائده، وهذا مضمونها تحت عنوان:

حقيقة الحال في الحالة النجدية

إنَّ الفتنة التي حدثت في هذه السنين الأخيرة في القطعة النجدية قد نظر إليها الرأي العام من عقلاء المسلمين وحكّامهم، فنظر الاهتمام كأنها البداء العضال العادي الذي يهدد صحة الأعضاء الرئيسية من الجسد الإسلامي، حيث إنهم قد أدركوا بثاقب أفهامهم المنورة بنور الأعيان، أنها إذا لم تتداركها حكمة ضلالة خليفة المسلمين بالحل السلمي الدديد

لا تنتهي إلا بعداخلة الأغيار الشئت لجموعها أولاً وآخرًا، وهذا ما عنيتم به من قولنا كأنها الداء العضال العادي... إلخ.

وحقيقة إذا نظرنا نظرهم هذا أخذت بنا الدهشة كل مأخذ واستولت علينا الحيرة من كل جانب، حتى إذ ما تثبتنا بعد الدهشة واحتدبنا غب الحيرة، ورجعنا لتلافي الأمر لا وليس لنا من الأمر شيء سوى استلفات واستعطاف أصحاب أهل الحل والعقد من أمراء الدولة العلية، الذين هم لا يهمهم سوى الإصلاح لتلافي هذا الأمر، وإخماد ثورة هذه الحادثة وإطفاء نار هذه الفتنة بالإصلاح والتوفيق السديد، لا يبرق السيوف ورعد المدافع وتحشيد المعسكر والضغط الموجب للانفجار وتخريب الدار وتدمير الديار وتداخل يد الأغيار، ولو بدون أهليته واستحقاقه كما نعلم وتعلمون.

نعم قد ولي عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بلاد أبيه وجده بقاعدة الرياسة المعروفة بالمشيخة في البلاد العربية، متغلبًا على الأمير عبد العزيز بن رشيد وكما تدعى تدان. وتلك الأيام نداولها بين الناس، لكن نظرًا لما جُبل عليه الأمير ابن رشيد من إباية الغبن، ولما هو متصف به من العناد، ولما له من نفوذ الكلمة وقبول القول لدى أمراء الدولة العلية، اغترارًا بما يرون منه من بهارج القول، وطمعًا بما ينالونه من ثمين الهدايا، استمالهم لمساعدته فساعدوه غير ناظرين لما يؤول إليه أمر مساعدته من [...] ^(١) ومن [...] ^(٢) ومن [...] ^(٣) وإذا لم يفكروا إلا

(١) - يفاض في الأصل.

(٢) - يفاض في الأصل.

(٣) - يفاض في الأصل.

في أن في نفس مساعدته وتقويته ذهاب قسم عظيم من ملك الدولة العلية العثمانية، فضلاً عما يكلف الدولة العلية من المشاق والخسائر وإضعاف النفوذ وتلف مئات ألوف من المسلمين، والتدخل الأجنبي إلى غير ذلك من أنواع المضرات التي لا ثمرة لها غير التفريق والتشتيت، لوجب أن يكون ذلك حاجزاً قوياً بين أبواب الحل والعقد، وبين الميل لمساعدة أحد الفريقين على الآخر، فضلاً عن المساعدة فعلاً، بل لوجب جمع فكرهم على اتخاذ الأسباب والوسائل لإصلاح ذات بين الفريقين وجمع كلمتهم تحت الراية المقدسة العثمانية، على أن الأمل الوطيد والحق الحقيق هو أن عبد العزيز بن سعود هو أطوع من غيره لإرادة جلالة متبوعة، مع أنه لم ينظر إليه بعين الرضا كغيره، ولو نظر إليه بعين الرضا ورأى المساواة بينه وبين غيره، لرأت الدولة العلية من خدماته الصادقة ما يجعله أقرب إليها، ولا تظن إلا أن الذي أغمض عنه هذه العين الجليلة هو مداخل الأوهام من خرافات الممرهين، بأن الخطر على الحرمين الشريفين وأطرافهما من عبد العزيز بن سعود محقق، لأنه وهابي، والحال أن التوقب الذي يرمون به ابن سعود وعشائره أهل نجد هو اعتقاد السلف الصحيح في توحيد الذات الإلهية وتقديس صفات الربوبية، وهذا شيء لا دخل له بالملك والسياسة، لكن المقاصد تغلب الحقائق.

وأما محافظة ابن سعود على الحرمين وطريقتهما وقصادهما وفرد الحجاج وكسر شوكة الذين كانوا يتعرضونهم من ثوار العشائر البادية، فهذا محسوس ومشاهد بالعيان حتى رأى الحجاج منذ عامين في طريقهم كل تسهيل موفرين ومقتصدين، لما كانوا يعطونه من الرسوم المقررة

لرؤساء العشائر عن يد وهم صاغرون، فكفّت أيدي البادية، ورأى
الحجاج من العزة والاحترام ما لم يروه قبل.

وهذه قضية مسلمة يقرّ ويعترف بها حتى الخصم نفسه، فنسأل الله
جلّ جلاله أن ينصرّ دولتنا العلية ورجاله الصادقين، ويلهمهم السلوك في
طريق الرشاد، فيصلحوا ذات بين الفريقين وتحفظ الدولة العلية لنفسها
حقوق سيادتها المقدسة في الجانبين، كذي قبل، وإذا اختلف أحد منهم
عن إرادتها وخالف رضائها العالي إذ ذاك، فلها أن تؤنب وتعتف وتؤدب
بما شاءت وكيفما شاءت وهي ذات السلطة المطلقة في جميع ممالكها
المحرومة، انتهى باختصار.

أرسل ابن سعود هذه التلغرافات فأنمرت الثمرة المطلوبة، لأن
الحكومة قبلتها وأصغت لما فيها، وأثر في سياستها نحو ابن سعود، ففي
شهر شوال، أي بعد شهر من إرسال التلغرافات، بعثت إلي عبد العزيز بن
سعود بواسطة الشيخ مبارك الصباح تقول: إنها تريد أن تفاوض أباه
عبد الرحمن الفيصل، وطلبت أن يوافي والي البصرة بالقرب من الزبير،
فأجابها الإمام عبد الرحمن إلى ذلك، وسيأتي ذكر المفاوضات بموضعه
من هذا الكتاب إنشاء الله.

خرج ابن سعود من الرياض في ١٣ رمضان غازیًا وليس معه إلا أهل
الرياض، وقليل من البادية، فأغار على برغش بن طوالة من شمر، وهو
نازل في (لينة) الماء المعروف، وأخذ عليه إبلاً كثيرة، وعاد إلى الرياض
ودخلها في ٢ شوال.

ابن رشيد

أما ابن رشيد فقد قلنا إنه نزل الكهفة بعد وقعة الحجاوي وتلافى عليه فلول جيشه ومن بقي من عسكر الدولة، وأقام فيها ثلاثة أشهر ورُسُلَه وتلغرافاته متواترة بواسطة بعض معتمديه في البصرة، وقد بالغ في استنجاد الدولة وجسّم لها الأخطار التي تهدد الجزيرة من ابن سعود وحلفائه، وزعم أنّ ابن سعود لم ينجب عليه إلا بنجيدات وعنادات حربية، ترد إليه من البحر بواسطة مبارك الصباح.

كانت هذه التلغرافات والشكاوى من ابن رشيد ترد بالوقت الذي ترد فيه استرحامات ابن سعود وتدخله على الدولة، فحارت الدولة بالأمر ورابها عمل ابن رشيد، والتزمت جانب الحيطة والثروي، فأرادت التثبت بالأمور وتحقيق الحالة، فطلبت عبد العزيز المتعب^(١) لما فشلت محاولاته مع الدولة، استأنف العمل بشبهه، فأرسل بعض رجاله يتعاون إبلاً للرحلة عوضاً عما فقدوه في وقعة الحجاوي، فاشترى له فرحلياً وغزى عليبا، وأغار على هنيئهم وهم من قبائل الشمال، ولكنهم لم يذعنوا لطاعته فوجدتهم قد انتذروا واحتموا عنه، فلم يدرك منهم طائل، فرجع عنهم وصار طريقه على حماة البشرى من حرب، وكان من أتباعه مخففة وأخذ منه إبلاً ومالاً فساقها معه، ونزل الكهفة كأنه لما خاب من عدوه أراد أن ينتقم من صديقه، وكان ذلك في أواخر شهر القعدة سنة ١٣٢٢هـ.

وفي أواخر شهر ذي القعدة خرج الإمام عبد الرحمن الفيصل من الرياض قاصداً مواجهة والي البصرة، إجابة لطلب الحكومة العثمانية،

(١) التكملة ناقصة في الأصل.

فوصل الكويت وسار معه الشيخ مبارك الصباح، فنزلا بموضع يبعد ساعتين عن الزبير، فاجتمعا هناك بالوالي، وبعد المفاوضات في أمور نجد طلب الوالي أن يكون التقسيم على الحباد، أي أن يتكون من منطقة حباد مستقلة تقوم حاجزاً بين ابن سعود وابن رشيد، وأن يكون للدولة فيها مركز عسكري ومستشارون، فلم يوافق الإمام عبد الرحمن، وصار مباحث في شؤون أخرى اتضح فيها للوالي كثيراً مما يجيل من أمور نجد، ولم يتفقا على شيء، إلا أنهما جعلاً فصل الأمور مرتبط بمواجهة المشير أحمد فيضي، لأنه قد تمّين للنظر في أحوال نجد وإصلاحاته، فرجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض.

حوادث الحجاز

حصل في هذه السنة والذي قبلها والذي بعدها حوادث أثارت الرأي العام الإسلامي، وخاضت الجرائد في هذه الحوادث، وتركنا شرحها لموضع من الكتاب عند كلامنا على الحجاز.

حوادث سنة ١٣٢٣ هـ

وفي أول هذه السنة، بلغ ابن سعود أن المشير أحمد فيضي باشا على وشك المسير من العراق، ومعه قوة، وأن صدقي باشا سيخرج من المدينة ومعه عسكري، وكان يعلم أن فيضي باشا قد تعيّن للنظر في أمور نجد وإصلاحاته، ولكن رآه الأمر في سوق العساكر من العراق ومن المدينة، فظن أنهم إنما جازوا لتنفيذ إرادتهم بالقوة، وخشي من التناف ابن رشيد معهم، فاحتاط للأمر، وكان يتهم آل بسام في أنهم هم الساعون في إخراج العساكر إلى نجد مساعدة لابن رشيد بما لهم من المقدرة

والنفوذ في دوائر الحكومة، وقد ذكرنا في حوادث السنة الماضية قبضه على رؤسائهم وإرسالهم إلى الرياض.

وفي ٢ محرم سنة ١٢٢٢هـ: أرسل ابن سعود حمود البراك أحد خدامه، فقبض على فهد بن عبد الله العبد الرحمن، وفهد العبد الله المحمد، وصالح المحمد آل محمد وابنه عبد العزيز، وفهد الحميد، ومحمد البراهيم، وعبد العزيز العبد الله المحمد، ومحمد العبد المحسن، وسار بهم إلى الرياض، فلما وصلوها أرخص ابن سعود لفهد العبد الله المحمد، ومحمد العبد المحسن فرجعا إلى عنيزة.

وفي شهر محرم في هذه السنة سار ابن رشيد من الكيفة شازيا، وأغار على الحميد من ^(١) ابن مطير، وهو نازل بأطراف الأسياح، وأخذ ورجع، وفي رجوعه صادف جماعيل من أهل بريدة بحتون، أي يقطعون الكلا (العشب)، منهم أناس مستأجرون ومنهم من يعمل لنفسه ويبيع ما يحصل من العشب لبقنات بثمنه هو وعائلته، وهم نحو أربعين، فقبض عليهم وجعلهم صفًا واحدًا، وأخذ يقتلهم، وفيهم شيخ كبير وابن له مراهق بعينه، فقال لابن رشيد: أنا داخل على الله ثم على الأمير أن ترك ابني ليعول ثمانية نسوة ليس لهن عائل غيري وشيرة، فما كان منه إزاء هذا الاسترحام إلا أن قتل الابن بين يدي أبيه وألحقه به، فشاء الله أن يكون مصرعه في مكان هؤلاء الشهداء على دور السنة فانظر عاقبة المظلم.

ذكرنا في حوادث السنة الماضية مراجعة الإمام عبد الرحمن إلى والي البصرة ومفاوضتهما، وقلنا إنه توقف الفصل في الأمور لمراجعة المشير فيضي باشا، لأنه قد تعين للنظر في أحوال نجد وإصلاحهم، وقد

اهتمت الحكومة التركية للأمر الواقع في نجد، ولكنها راغبة في السلم، وقد علمت بعد مفاوضة الإمام عبد الرحمن كثيرًا مما كانت تجهول، فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا ومعه ثلاثة طوابع من العسكر وخمسة مدافع من بغداد، وأرسلت صدقي باشا ومعه طابورين خرج الأول من العراق وخرج الثاني من المدينة.

ولم ترسل الحكومة هذه القوة رغبة في الحرب، وإنما أرادت تعزيز جانبها عند المفاوضات السلمية، ولكن ابن رشيد ظنَّ أنَّ هذه العساكر لم تخرج إلاَّ لمساعدته، فشدَّ رجاله وقابل فيضي باشا بمنتصف الطريق الطريق على خضرا ولينة الماءان المعروفان، فتناوضا واختلفا، فكانت خطة ابن رشيد مخالفة للخطة التي جاء فيضي لأجلها، فرجع ابن رشيد وزمَّ مطاياهم نحو صدقي باشا، فقابلوه وفأوضه فلم يجد عنده ما يحب، فرجع ساخطًا عليهما، وتحقق لدى فيضي صدق ما قال الإمام عبد الرحمن في مقاصد ابن رشيد، وثبت عنده أنَّ ليس لابن رشيد قصد إلاَّ الانتقام والبطش بأهل النصيب خاصة وبأهل نجد عامة، فنبذ وتقدم المشير إلى النصيب، وكان عبد العزيز بن سعود قد خرج من الرياض عندما سمع بخروج فيضي باشا، ونزل العمار القرية المروقة في ناحية السر.

فكتب إليه المشير كتابًا يوضح له خطته، ويقول: إنه ما جاء محاربًا بل مسالمًا ولست محققًا مقاصد ابن رشيد، وطلب منه أن يلزم مكانه ولا يتقدم، ويرسل أبياه عبد الرحمن ليوافيه إلى عنيزة للمفاوضة، فأجابه عبد العزيز إلى ذلك.

وكتب أهل القصيم إلى ابن سعود يخبرونه بقرب وصول المشير
ويستفهمون منه عما يجب أن يعملوه، فأجابهم أن يخلدوا إلى السكينة فلا
يأتون عملاً عدائياً أثناء المفاوضات.

وكتب المشير كتاباً إلى أهل بريدة، وآخر مع فيد بك الهذال لأهل
عنيزة يطلب مواجهتهما، فأرسل صالح الحسن أبو الخيل الشيخ
عبد الله بن عمرو، ومحمد العلي أبو الخيل مندوبين من قبله، وأرسل أهل
عنيزة عبد الله بن محمد العبد الكريم القاضي مندوباً من قبلهم ليروا ما
عنده، فأراد مفاوضاتهم في مسألة القصيم، ورغبة الدولة بفصله عن ابن
رشيد وابن سعود، وإبقائه على الحياد، فقالوا: إننا لا نملك المتفاوضة
بهذا الخصوص، فإن ذلك راجع إلى ابن سعود، فرجعوا من عنده بدون
نتيجة.

قدوم الإمام عبد الرحمن إلى عنيزة

وقدوم المشير أحمد فيضي باشا إلى عنيزة

وحل المشير ونزل قرب بريدة، وخرج إليه صالح الحسن ووجهاء
أهل بريدة وخاطبيهم في مهمته ومشاعد الدولة الإصلاحية، فأجابوه إن
كان الأمر بيننا وبين الدولة، ولا لابن رشيد مدخل في شيء من الأمور،
فنحن سامعين ومطيعين، وإن كان دولتكم، إنما أتيتم لتأييد سلطة ابن
رشيد، فهذا مما لا نقبله ولا نرضاه، فطمأن خواطرحم أنه لا يقصد شيئاً
من ذلك، ثم شد ونزل قرب عنيزة بين الوادي والديرة، صفر، فخرج إليه
الأمير عبد العزيز آل سليم، وأعيان جماعته وخاطبيهم بمثل ما خاطب به
أهل بريدة، وأجابوه بمثل جوابهم، وكان الإمام عبد الرحمن قد أقبل

ونزل قرب عنيزة، ونزل جنوباً عن البلد، وقد تواجه والمشير في البلد، فطلب المشير أن يكون للدولة مركزان عسكريان، إحداهما في بريدة، والثاني في عنيزة، وذلك مؤقتاً إلى أن يتم الصلح بين ابن سعود وابن رشيد.

فرفض أهل القصيم هذا الطلب، فاستمرت المفاوضات على هذا النحو لم تتقدم، فبينما هم في أخذ ورد، إذ ورد الأمر إلى فيضي باشا بالتوجه إلى اليمن بوجه السرعة، فقد كان الإمام يحيى، قد شدد نطاق الحصار على صنعاء، وفيها ستون ألف من الترك العسكريين والعدينيين، وليس عند الدولة قريباً من اليمن أقدر من فيضي باشا توكل إليه لإنجاح عسكريها المشرف على الموت، لذلك صدر الأمر إلى أحمد فيضي بالإسراع إلى اليمن، فاكتفي من أهل القصيم أن يقبلوا نقطتان عسكريتان أحدهما في عنيزة، والثانية في بريدة، تحققتان تبعيتهما للدولة، فأرادوا رفض ذلك أيضاً. ولكن الإمام عبد الرحمن طلب منهم قبول ذلك مؤقتاً، فقبلوا فجعل في بريدة نحو مائة نفر ورفعوا على محلهم العلم العثماني، وجعل في عنيزة ستون رجلاً ورفعوا العلم العثماني عند دخولهم في مأذنة الجامع، ثم كانت ترفع في يوم الجمعة من كل أسبوع، استمر ذلك نحو سنة، ثم تركوا ذلك بعد أن رحل العسكر بأجمعهم من نجد، كما سيأتي بيانه في حوادث السنة الآتية.

رحل فيضي باشا وترك النصيم ومشاكله لصدقي باشا يحلها بالنبي هي أحسن، وترك عنده العسكر، ثم رحل صدقي ونزل الشبيحة ورجع الإمام عبد الرحمن إلى الرياض في أواسط شهر صفر.

إطلاق سراح آل بسام

في أواخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة أطلق الإمام سراج آل بسام إجابةً لطلب ووساطة الشيخ قاسم بن ثاني، فأرسل عبد الله العبد الرحمن البسام وصالح الحمد، وحمد المحمد العبد العزيز، وحمد المحمد العبد الرحمن، وعبد العزيز العبد الله المحمد، وحمد العبد الله البراهيم مع رسول خاص حتى أوصلهم عند الشيخ قاسم في قطر ويقيتهم رجع إلى عنيزة من الرياض.

المساعي التي بذلت

قد ذكرنا في حوادث أول السنة الماضية وحوادث أول هذه السنة، ما كان من القبض على آل بسام وأسبابه في الرياض. وكان مقامهم ومركزهم في البيئة الاجتماعية، يعتبر بالدرجة الأولى في وطنهم فقط، بل في عموم نجد وكان لهم محلات تجارية في العراق والهند والحجاز والشام لها مقامها الممتاز بتلك الأقطار، وكان لهم صلات وثيقة مع بيت آل النقيب في العراق والأشراف في الحجاز هلاوة على ما كان لهم من النفوذ في نجد بواسطة علاقاتهم الوثيقة مع ابن رشيد، وكان ابن سعود يتهمهم بأنهم هم الذين حركوا هذه الأمور وسعوا لدى الدولة وموظفيها بالعراق والحجاز والشام بإيعاز من ابن رشيد، وأنهم بذلوا معظم ثروتهم للسعي في هذا السبيل، وهذه التهمة تنجبه بالأكثر على بيت آل عبد الله العبد الرحمن البسام خاصة، وأما الباقيون فليسوا في هذا السبيل، وإنما عنهم الأمر.

كل هذه المعلومات تتصل لابن سعود من مبارك الصباح الذي له

شبه دائرة استخبارات في العراق بل في نفس دوائر الحكومة، فكان هو العامل الأول على حمل ابن سعود على شيلهم من عنيزة وإبعادهم عنها.

سمى محلهم في الحجاز لدى عون الرقيق شريف مكة، يومئذ ورجوا منه أن يبذل نفوذه، ويسعى في سبيل إطلاقهم فأجابهم الشريف، وكتب لابن سعود كتاباً أرسله مع رسول خاص يتشفع فيهم، ويرجوا إطلاق سراحهم، فكتب إليه ابن سعود كتاباً رقيقاً، وأوعده أنهم سيرجعون إلى وطنهم بعد انتهاء الحوادث الجارية بيننا وبين ابن رشيد.

فلما فشلت مساعيهم من هذه الجهة سعى محلهم بالبصرة لدى نقيب البصرة، ورجاه أن يتوسط لدى ابن سعود، فأجابهم وهو لا يعلم أن الشريف قد سبقه إلى ذلك، فكتب إلى ابن سعود بهذا الخصوص وأرسله مع رسول خاص، فأمله ابن سعود ولم يعده على أن جعل الأمر إلى غيره، وقال أن أمرهم إلى جماعتهم أهل عنيزة، واستراجعهم، فكتب إلى أمير عنيزة وجماعته، يلتمهم بوساطة النقيب وطلب أن يدوا رأيهم في ذلك فجاءه الجواب منهم مفوضين فيه الأمر لما يراه، ولا يسعهم غير ذلك.

دفع النقيب بحجة المراجعة، وتغافل بعد ذلك لأنه خرج غازياً في ١٣ رمضان بعد وصول الجواب بيوم، فشلت وساطة النقيب كما فشلت وساطة الشريف، ولكن ذلك لم يثن عزمهم، فكتبوا إلى الشيخ عبد العزيز ابن علي بن إبراهيم يرجونه أن يكتب إلى الشيخ قاسم بن ثاني أن يتوسط لدى ابن سعود، وكان بينهم وبين ابن إبراهيم روابط وثيقة من جهة ابن رشيد، وبين ابن إبراهيم والشيخ قاسم بن ثاني روابط تجارية، قديمة،

فأجابهم إلى طلبهم، وكتب إلى الشيخ قاسم يرجوه أن يذل نفوذه لدى ابن سعود، ويسعى في إطلاقهم، فلبى الشيخ قاسم طلب الشيخ ابن إبراهيم، وسعى في هذا السبيل، وبالغ حتى أدرك مقصوده بعد مراجعات عديدة، وبما أن لدينا بعض الوثائق، أحببنا إثباتها هنا إتماماً للفائدة:

وساطة الشيخ قاسم بن ثاني

كتب الشيخ قاسم إلى الإمام عبد الرحمن يرجوه أن يشفعه فيهم، وأن يهيم لهم، وأن يكرمه بشرف القبول وإطلاق سراحهم، ولكن الإمام عبد الرحمن لم يقدر أن يجاوبه قبل أن يراجع مبارك بن صباح، لأن له بعض التداخل في أمرهم، فكتب الإمام عبد الرحمن إلى مبارك يخبره أن الشيخ قاسم بن ثاني قد توسط في أمر البسام، وهو عزيز عتدنا، وله معنا مقدمات حميدة، ولا يسعنا العذر في عدم إجابته وأخذنا جراب كتابه إلى أن نعرف رأيكم في هذا الأمر.

ولا نعرف بماذا جاوبه الشيخ مبارك، ولكن الذي أعلم أن مقبل بن عبد الرحمن الذكير كتب إلى الشيخ مبارك الصباح يرجوه أن يكتب إلى الإمام عبد الرحمن كلمة طيبة بحق آل بسام، لأن مثلاً يعلم أن مباركاً هو السبب المباشر لحبسهم بموجب الملحاق الذي أرسله مبارك إلى مقبل مؤرخ ١٨ محرم سنة ١٣٢٢هـ، يقول: إننا كتبنا إلى ابن سعود يشيل البسام إلى الرياض لأن ما في بقائهم في عترة صلاح، ومن المعلوم أن البسام لم يقبض عليهم إلا في السادس من شهر صفر.

جاء الجواب إلى مقبل من مبارك مؤرخ ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٢هـ يقول: من طرف جماعتنا آل بسام نحن من مدة ثلاثين يوماً كتبنا إلى

عبد الرحمن الفيصل وابنه عبد العزيز أن رخصونهم يرجعون إلى وطنهم
أيضاً بتاريخه كتبنا عن هذا الخصوص.

أما الإمام عبد الرحمن فقد كتب إلى الشيخ قاسم كتاباً مؤرخاً ١٥
شوال يقول: إنه راجع الشيخ مبارك ولم يصله الجواب بعد.

وهذا مضمون الكتاب:

كتاب الإمام عبد الرحمن

إلى الشيخ قاسم بن ثاني

قال: أدام الله وجودك ما عرف جنابك، كان لدى مجيئك معلوم
مخصوص من قبل أخبار الدولة وحركاتهم، وأنتم كتبوا عرض حال لوالي
البصرة، وقيل إلى المابين، واجتهدكم على ما يصلح أحوال المسلمين
ويكافي عنهم، نرجوا أن الله يديم لنا وجودكم ويجعلنا وإياكم من أنصار
دينه.

وتعرف طوّل الله عمرك أن اليوم الدين والحمية ضاعت عند العرب،
وأنا والله ما أخبر اليوم من يطقي هالأسباب، ويجتهد في إطفائها إلا
أسباب الله ثم أسبابكم، وهي إنشاء الله كل عمل لغير الله باطل، وأنت أدام
الله وجودك ما يحتاج من يوصيك من قبل هالمراد، لأنك أحرص على
المسلمين من أنفسهم وقومتك إنشاء الله لئله.

كذلك عرف جنابك من قبل آل بسام وتعرف أدام الله وجودك لو
أنهم محبوسين في ديرة بعيدة ما نطولنا إلا بأمر كايد اهفينا، أرقابنا
وأموالنا في الأمر اللي يليق لجنابكم، وتطلبه أنفسكم، ونقول حلة البركة

وعرفتنا أن جنابكم عرف الشيخ مبارك، وتعرف أدام الله وجودك أن الأمر فيه بعض تداخل للشيخ ما هو خافي جنابك، وهنا حال وصول الخط وهنا مركبين للشيخ طارش، ومعرفة أن جنابكم اعترض وتوجه، وإن حنا ما نقدر إلا أنتم لجنابكم، ومعرفة أن لو أنتم طالبين أحد هيلنا أرسلناهم، وهو إنشاء الله ما يفصر وأنت أجزم، واعتقد أن الأمر الذي تجي فيه إنشاء الله يتم وحنا أملنا البسام موجب وجاهتكم وأنتم بعد إنشاء الله اكتر لهم وأملوهم، وحنا حال ما يصلنا خط الشيخ وحنا معرفين جنابكم بالذي يخاطبنا سوى أنهم يروحون من عندنا، أو يصير مجيئهم إليكم. وحنا قد توجهوا علينا النقباء، وتوجهوا الأشراف بشيء ما هو خافي جنابكم، ولا والله أملناهم لكن أنتم ما تقدر، لأن الأمر الذي تبونه منا إنشاء الله يتم والسلام ١٥ شوال ١٣٢٢.

فهذه الرسالة الأولى وبالرغم من هذه التأكيدات فقد مضى ستة أشهر كاملة بعد هذا الكتاب لم يطلق سراحهم لاشتغال الإمام عبد الرحمن بمواجهة والي البصرة، في أواخر شهر ذي القعدة، وبمواجهة المشير فيضي باشا في الفصيم، وبعد أن تفرغ من هذه المهمات والشيخ قاسم لم يزل يستحثه في إنجاز وعده، فلما كان في النصف من شهر ربيع الثاني جهز الإمام عبد الرحمن، عبد الله العبد الرحمن، وصالح الحمد، وحمد محمد العبد العزيز، وحمد محمد العبد الرحمن، وعبد العزيز العبد الله محمد العبد الرحمن، ومحمد العبد الله إبراهيم، وأرسلهم إلى الشيخ قاسم في قطر لأنهم اختاروا التوجه إلى العراق، وأرسل الإمام معهم خدامًا من قبله، وأما الباقون فقد اختاروا التوجه إلى عنيزة فرجعوا إليها.

وكتب الإمام معهم كتاباً للشيخ قاسم هذا مضمونه:

كتاب الإمام عبد الرحمن الفيصل

إلى الشيخ قاسم بن ثاني

قال: كتابكم المكرم الذي على يد الابن عبد العزيز وصل، وصلكم الله إلى ما يرضيه، وأسرننا طيبيكم وسلامتكم أدام الله تعالى ذلك لكم، وحنا سلمك الله قصرنا في تأخير جوابه، والمانع لنا عن ذلك ما أحببنا نكتب لكم حتى تنقضي مادتنا حنا وطوارف الدولة، ونذكر لكم المواد على حقائقها، أما مادة والي البصرة فقد بيناها لكم يوم حنا بأطراف الكويت، وصار انفصال الأمر مرتبط بمواجهة المشير، لأنه قد تعين للنظر في أحوال نجد وإصلاحاته، وتواجهنا حنا والمشير في عنيزة وسهل الله الأمور وهونها بلطف منه ورحمة للمسلمين، وصار الخير فيما اختاره الله، صارت ظهريهم إلى نجد هي عين الخيرة، أشرفوا على نجد وأحوالها وأصابهم مشاق عظيمة كلفتهم غاية الكلفة، وتحقق عندهم تشبيات وتزوير ابن رشيد وغيره من المفسدين.

ومن أعظم ما تبين في هالأمر وقام واجتهد فيه شريف مكة، والحامل له على ذلك آل بسام وما ساقوه من القلوس له أكثر من اثني عشر ألف ليرة، ولا أحد قام في هالأمر، واجتهد وفتح ليم بيان حتى أمر هالرتب في القصيم الأطوار منهم في الشام والحجاز والعراق، كل ما يقدرون عليه من التبن والفساد ما ذخروه، ومع هذا فلا والله لهم طارىء عند والي البصرة، ولا عند المشير إلا أنهم يمتنونهم بأفعالهم، وشريف مكة ما زاد شره إلا لأن حنا ما وجهناه فيهم، وجميع ما ذكرنا

لكم من طرفهم مهرب ظن، لأن من طوارف الدولة الذي حنا واجهنا،
وهم يلحقون العلم، ولكن من فضل الله عكس الله أمل كيل مفسد،
وأظهر الله نوره ولطف بالمسلمين ورحمهم، وصار اليوم جميع الناس
شبهوا على الدولة صاروا عندهم أهل كذب واقتراء، ولا صاروا عندهم
على محل.

وأنت الله يسلمك ويقيك عرضت وجهك علينا من طرف آل بسام،
وتدري أنك بمنزلة الوالد، ولا يمكن الأولاد إلا طاعة والدهم، على كل
حال آل بسام موجب أمرهم نجيزهم ونعتمد معهم خدام، إلى ما ياصلون
بهم إلى جنابكم إنشاء الله، وهم وارد عليهم لنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنني يوم الغيت عنيزة جوتي أهل القصيم كلهم،
وتدخلوا علي صغارهم وكبارهم حتى يزورهم نساءهم مخصوص أهل
عنيزة أن حنا ما نبلاهم بآل بسام، وإن كان المشير مطريهم لك ظهرنا
للمشير حتى نساءنا نسوقهم عليهم تتدخل فيه عنهم ما يبلانا بهم.

الأمر الثاني: إن المسلمين تحملوا خسارة قوية، وحنا في بدتنا
خسرنا خسارة قوية، والحققة الله يسلمك أن آل بسام هم الذين مستحقين
لثيل الحمل الثقيل، لأنهم أوجد أهل نجد وأقدرهم، وهم الذين حركوا
أسباب الشر الذي ضر المسلمين.

والأمر الثالث: أن حذي أمور كلها استكفينا بالله ثم بك فيها، وحنا
والمسلمين داخلين على الله ثم عليك، وفي ذمتك، وأنت إنشاء الله أنشئ
منا على ما يصلح للإسلام وأهله، وهم ياصلونك إنشاء الله، والأمر لله ثم
لك.

وعن المواد الذي صارت بيتنا وبين المشير أمرنا على جميع بلداننا
وعرباننا، إلا أن يبقى في القصيم قدر ستين نفر لأجل الرسمي، وتحقيق
تعبية نجد للدولة عند الدول والمشير أحمد نبضي مشى إلى اليمن لأنه
جايه أمر من اصطنبول أنه باصله وريفي الغريق ^(١) معه باقي العسكريين
يرحلهم أحد للعراق، وأحد للمدينة لكن مغل بهم قل الرحلة، وهو
مجتهد في تجميع رحله، وما حصل له مشاء منهم نرجو أن الله سبحانه
يوزقنا وإياكم شكر نعمته على ما من به على المسلمين من دفع الشر،
ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه، ويوفقنا وإياكم لما يحب ويرغى، ودمتم
محروسين، أول ربيع الثاني سنة ١٢٢٢ هـ.

كتاب الشيخ قاسم بن ثاني

إلى مقبل الذكر

قال بعد الاسم والسلام كتابكم العزيز وصل خصوصاً عن الجماعة
آل بسام الحمد لله، والله ياخي إن هذي نعمة ما نحصي شكرها لله، والله
أن يهون علي لو نصف حلالتي في ما من الله علينا بسبب فكهم، وإلا ما
فكهم بهين علي، جميع من له مدخل فيهم، ولكن مثل نزع الروح من
الجسد، وآخر الأمر جا عبد العزيز مني كتب أوجب فكهم برضى الراضي
وزعل الزاعل، ذكرته في ملحق للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف في ثلاثة
طباق (أي ست صفحات)، مقامنا وفعلنا معهم من خمسين سنة، ويوم
جاء الذي هو خابره، والذي خابره غيره ما بلا بالذي زعل، وراضي، فما
قصر جزاء الله خيراً على كل حال، والله يلحقنا جزاءه، وإلا ما قصرنا عنه
العدوان وأهل الاعتراض، واصلك ملحقين، واحد من الشيخ مبارك اتلي

ما جأهم منه^(١)، والثاني من عبد الرحمن الفيصل جأى منه في أيام^(٢)،
الملاحيق ما أحييت أحد يطلع بهم وأرسلتهم تنقلهم وترسلهم للشيخ
عبد العزيز بن إبراهيم والحظ لأجل أني تكلفت بكتبه، ما ودي أحد يدري
به غيرك وغير الشيخ، والملاحيق إذا أخذت نقلهم أرجعهم علينا مع يد
صفيه.

والجماعة طيبين كلهم ولا لحقهم تعب وتلقيناهم في المرضية
مزودة للولد خليفة، أحيينا لهم الراحة يومين هناك، وبعد ركبنا معهم
للوسيل وهم ودهم بالسفر (حداكم)^(٣)، وهنا ودنا لهم بالراحة لومسة
سبعة أيام والحمد لله الذي أطلقهم وسلمهم.

والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ما قصر فأحل فيهم على شأننا،
وعلمه طيب وغانم معهم من كثر ما أشرف عليه من حرصنا والسلام،
٢ سلخ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣هـ.

وصول البسام إلى البحرين وسفرهم إلى البصرة

وصل آل بسام من قطر إلى البحرين، ونزلوا بغيافة فيصل بن
عبد الرحمن الكبير، وأكرمهم بما هم أهل، ودعاهم الشيخ عيسى بن علي
آل خليفة، وكان يومئذ بمضيقة في قلعة الديوان بالمنامة، وأقاموا بضعة
أيام كانوا فيها محل حفاوة وإكرام، ثم سافروا بالمركب إلى البصرة،

(١) لم ألق على مضمون خط الشيخ مبارك.

(٢) هو الكتاب المشروح أعلاه.

(٣) يعني إلى طرقكم.

وأقاموا فيها إلا عبد الله العبد الرحمن، فإن سافر إلى الحجاز وأقام فيه إلى أن توفي رحمه الله.

رجع الكلام إلى تمة حوادث هذه السنة

من بعد المفاوضات التي جرت بين الإمام عبد الرحمن الفيصل والمشير أحمد فيضي، حصل اختلاف بين أهل القصيم بالنظريات، فمنهم من يميل إلى طلب الدولة بفصل القصيم واستقلاله تحت سيادة الترك ومنهم من يميل إلى الصلح مع ابن رشيد، ومنهم من يميل إلى ابن سعود، وأن يبقون على ما هم عليه، وقيل إن الأمير صالح الحسن يميل إلى الرأي الأول ويؤيد أهله، ولم ينكر على أهل الرأي الثاني.

وقد كثر الكلام بين أهل بريدة في هذا الخصوص، ونظاهروا به ولم يستقر أمرهم على رأي واحد، ولم تكن حالهم منفتحة، وقيل: إن صدقي باشا على اتصال بإحدى هذه الأحزاب، ويشجعه على عمله سرًا، وكان ابن سعود على علم بما يجري ولا يجتعل شيء من أمورهم، ولكنه كعادته لا يحب التعمجل بالأمور، ويترك كل شيء للوقت المناسب، فتجاهل الأمر ظاهريًا، ولكنه نفّس يده منهم، ورجع إلى بلاده وفي نفسه ما فيها عليهم، وترك الميدان خاليًا لأهل القصيم وابن رشيد وركل إليهم أمر الدفاع عن أنفسهم، وكان قد حدث فتنة بين الشيخ قاسم بن ثاني وأخاه أحمد فاستجده الشيخ قاسم فرأى الفرصة سانحة له للابتعاد عن القصيم، وأهله، فصار لتجدة الشيخ قاسم وقضى على خصوم الشيخ قاسم وهرب أحمد بن ثاني إلى البحرين.

أما ابن رشيد عندما علم أن ابن سعود رجع إلى بلاده لخلاف بينه

وبين أهل القصيم، أو بالأحرى بينه وبين ابن مهنا تجهز سرية يقودها حسين ابن عساف وصالح بن عدل فدخلا بلد الرس واستولوا عليها، وأخرج أمير ابن مهنا منها فاشتد ساعد أنصار ابن سعود من أهل بريدة على خصماتهم، وبن عجز ابن مهنا عن الدفاع عن بلدان القصيم، فأرسل جماعة من الموالين لابن سعود كتابًا إلى الشيخ مبارك يرجونه أن يصلح حالهم مع ابن سعود، فكتب ابن صباح إلى عبد العزيز بن سعود يرجوه أن يسمح عن أهل القصيم وأن لا يؤاخذهم، وكرر الرجاء أن يمدّهم بالمساعدة قبل أن يتمكن ابن رشيد من القصيم فتخسروه معًا.

فوصل كتاب مبارك وابن سعود في أطراف الحسا راجعًا من قطر، فرجع إلى الرياض.

أما صالح الحزن بن مهنا فقد تجهز سرية عدد رجالها نحو المائتين، يرأسهم أحد إخوانه وأرسل إلى أهل عنيزة يرجوهم أن يمدوه، فأرسلوا له سرية يقودها صالح العلي السليم، وعدد رجالها نحو المائة، فانضموا إلي سرية ابن مهنا، ونزلوا بوسط القصيم لحماية بلداته، ومعهم من البوادي قبيلة عنبة ضابطين أمواء القصيم شرقيهم ابن ريعان على الدويحرة، وجنوبهم ابن حميد على البراكية والبدائع، ومعهم الحميداني من مطير، ولكن البادية لا يعتمد عليها في الدفاع، فقد شد ابن حميد والحميداني ونزلوا الشقيقة خوفًا من ابن رشيد، أن يهجم عليهم، وقد بلغهم أنه نزل الفوارة.

وفي الحقيقة أنه لم يتصد البادية وإنما جُلّ قصده أن يحول على السرية ويقتلهم أجمعين.

جاء صالح بن سليم أمير سرية عنيزة إلى ابن مهنا كبير سرية بريدة، وقال: إن البادية ابتعدت عنا وصرنا الآن شجرة شفا، ولا نأمن هجوم ابن رشيد علينا، فالأولى أن نرتحل وننزل أحد القرى المجاورة لنا نتحصن فيها، ونكون مراقبين لما يجري حولنا، قال ابن مهنا: نحن ما خرجنا إلاً لحماية أطراف البلدان، ولا يمكن أن نرتحل من موضعنا.

قال ابن سليم: أما أنا وجماعتي حالاً ماشين إلى أقرب قرية توالينا، ولا يمكن أن نكون لقمة سائغة إلى ابن رشيد ارتحل ابن سليم من موضعه ونزل الشفة قرية تبعد عن بريدة نحو ساعتين، وأقاموا خارج البلد في مزارع مسورة على قدر الثامنة وياتوا ليلتهم.

أما ابن مهنا فقد قام عليه جماعته وأجبروه. أن يرتحل ويتبع أهل عنيزة، فرحل في أول الليل وأسري في ليلته، ومن الصدق أن ابن رشيد كان على أثرهم لأنه بات قريباً منهم، ولم يشأ أن يتجم عليهم ليلاً لئلا يفوته منهم أحد، فأخّر الهجوم إلى الصباح ليستحوذ عليهم، ثم بلغه رجولهم، فرحل في أثرهم ولم يدركهم إلا بعد أن أقبلوا على الشفة، فأخذوا يقاتلون وهم سائرون كل ما قرب منهم أبعده إلى أن وصلوا البلد، فانضموا إلى أهل عنيزة، وكانوا على غير تعبئة، فمَنِهم من دخل القرية وتحصن فيها، ومنهم من نزل في المزارع التي خارج البلد.

فأحاط بهم ابن رشيد من كل جانب، وفصل أهل القرية عن السرية التي في المزارع إذ جعل قوة تحول دون اتصال بعضهم ببعض، فأيقن الجميع بالهلاك، ولكن اليأس يحدث قوة وشجاعة، فأبدت هذه السرية من الشجاعة والاستبسال، ما يتصر دونه الوصف، وساعدهم أهل القرية

فأشغلوا قسماً ليس بالقليل من قوات ابن رشيد، واستمر القتال من طلوع الشمس إلى بعد الظهر، وهو على أشد ما يكون، ولم ينل منهم مثلاً، فلما كان بعد الظهر ما راع ابن رشيد إلا وقد طلعت عليه الخيل، ثم تبعهم أهل الجيش ومن بعدهم الرجالة، وكان قد انطلق أحد خيالة السرية إلى بريدة يستنجدهم، فصاح بوسط البلد بأعلا صوته: النجدة النجدة، فإن ابن رشيد قد أحاط بالسرية على الشقة وما أراكم تدركونهم، وكان أكثرهم قد دخل مسجد الجامع لصلاة الجمعة، فخرجوا منه سراعاً إلى بيوتهم وأخذوا سلاحهم، وركبوا ما وجدوا من الخيل والجيش، ومن لم يجد سار ماشياً ولم يستغرق سيرهم أكثر من ساعة.

فوصلوا والسرية لم تزل محافظة على مراكزها، إلا أنهم قد نهكهم التعب والمعش، ولو تأخرت النجدة قليلاً لهلكوا، ولكن لطف الله بهم بوصول النجدة إليهم.

أما ابن رشيد لما رأى النجدة قد أقبلت إليهم اتحب ورجع من حيث أتى بعد أن تكبد خسائر فادحة، ولم يقتل من السرية إلا قليل.

أخبرني بهذا الخبر رئيس سرية عنيزة صالح العلي السليم بعد هذه الواقعة بأقل من سنة، لأنني يومئذ في البحرين، ووصلت عنيزة في أثناء هذه السنة ووقفت على هذا الخبر منه تفصيلاً وهو يتفق مع ما رويته من مصادر أخرى، ولكني رجحت رواية صالح لأنه هو أمير السرية، وشاهد عيان، فدونها عندي ولم أعلم أنني سأحتاج إليها بين أوراق قديمة.

بعد هذه الحوادث اضطر صالح بن حسن المينا فأرسل أخاه مهنا

إلى عبد العزيز عبد الله بن سليم أمير عنيزة يرجوه أن يرسل معه أحد أولادهم وبعض أعيان أهل عنيزة ليساعدوه على استرضاء ابن سعود، فأجابه إلى ذلك وأرسل معه وفدًا من وجهاء أهل عنيزة، فوصلوا الرياض وعبد العزيز لم ينزل في قطر، وبعد أيام قليلة وصل عبد العزيز بن سعود واستقبلهم وأكرمهم وأجاب ملتمسهم وعفى عن ابن منته، وأوعدهم بالمسير إلى القصيم على أنهم، وفي أواخر شهر رجب خرج محمد بن عبد الرحمن على رأس سرية، فأغار على فريق حرب الموالين إلى ابن رشيد وأخذهم، وعاد فنزل السر ثم دخل ونزل بريدة في أول شعبان.

وفي عاشر شعبان وصل الإمام عبد العزيز ونزل عنيزة، فلما بلغ ابن رشيد وصول ابن سعود القصيم خرج من الكيفة غازيًا يريد قبائل القصيم، فلم يدرك مرأته، ورجع خائبًا وجعل طريقه على بريدة فحفظها، وأغارته خيله على أطراف البلاد فخرج إليه محمد بن عبد الرحمن ومعه أهل بريدة، فحصل بينهم مناوشة بين أهل انخيل وطردوه، فبلغ الإمام عبد العزيز الخبر وهو في عنيزة، فخرج قازعًا ومعه أهل عنيزة، فوجدوا ابن رشيد قد انهمز فنزل عبد العزيز بريدة، ورجع أهل عنيزة إلى بلادهم، فأرسل ابن سعود إلى بلدان الجنوب، وأمر على غزوانهم أن يوافوه إلى القصيم، فلما أقبل غزؤهم خرج الإمام من بريدة بمن عنده وانضم إليه غزو الجنوب، وسار قاصدًا قبيلة عتيبة الموالين لابن رشيد، وأغار عليهم في عالية نجد وأخذهم، فبلغ ابن رشيد أن ابن سعود غزى في قله، فسار على أثره يريد أن يهاجمه بالوقت الذي هو يهاجم عتيبة ليضربه من خلفه، ولكن ابن سعود سبقه إلى مهاجمة عتيبة، ولما بلغ ابن رشيد ذلك تهيّب مصادمة ابن سعود، ورجع عنه، ورجع ابن سعود إلى بريدة.

وفاة الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم

وفي شهر شوال من هذه السنة، توفي المرحوم الشيخ يوسف بن عبد الله بن إبراهيم المشهور والخمسة الألد للشيخ مبارك الصباح.

١٣٢٤هـ

وقعة روضة مهنا وقتل ابن رشيد

ذكرنا في آخر حوادث السنة الماضية وفاة الشيخ يوسف بن إبراهيم، وأحدثت وفاته تغيراً كبيراً في سياسة ابن صباح لأن ابن إبراهيم هو أصل، وسبب العداوة بين ابن رشيد وابن صباح، ولم يقم ابن صباح لحرب ابن رشيد إلا بعد أن نزل ابن إبراهيم بساحة ابن رشيد وإنجاده على خصمه، حيث بدأ بمساعدة ابن صباح لابن سعود، لا محبة فيه ولا رغبة منه في استرجاع ملك ابن سعود، وإنما جعله وسيلة للانتقام به من ابن رشيد، ومن ابن إبراهيم.

أما وقد مات خصمه اللدود فقد قلب ظهر المعجن لصديقه الودود، وأخذ ينظر إليه نظر العدا، وأخذ يحسب لمواقب امتداد نفوذ ابن سعود ألف حساب، فانقلب ظهراً لبطن وعكس خطته السياسية عكساً تاماً، فأظهر الجفاء لابن سعود، وأخذ يتودد إلى ابن رشيد ويستميله، وكان ابن رشيد في أشد الحاجة إلى مثل هذا الصديق الجديد حين انقطع أمله من حكومة الترك، ففي انضمام ابن صباح لجانبه يكتسب قوة جديدة كانت الركن الأقوى سابقاً لخصمه، جرت المراجعات وتم الصلح بينهما، ولم يكتفِ ابن صباح بهذا العمل، بل أراد أن يسعى في فصل ابن مهنا عن ابن سعود، وإدخاله في حلفه مع ابن رشيد، فكاتب ابن مهنا

بهذا الخصوص، ولكن شاء ربك أن يحبط عمله فكشف عن سوء نيه.

كان ابن صباح يجري هذه المشاورات وهو على عادته مع ابن سعود لم تتغير لهجته ولم يندر بخلد ابن سعود أن مبارك الصباح بعد هذا العداء مع ابن رشيد ينقلب بهذه السرعة، فلتترك ابن صباح وأعماله ونرجع قليلاً لنلحق ما سبق هذا الانقلاب من الحوادث.

ففي ٢٥ من شهر الحجة سنة ١٢٢٢هـ: خرج ابن سعود من الرياض ومعه غزو الرياض ونواحيها، ونزل الأسياح وانضم إليه غزو القصيم أميره صالح الحسن بن مينا، وغزو عنيزة أميره صالح الزامل السليم، فأقام فيها عشرين يوماً، ثم بلغه أن ابن رشيد سار غازياً نحو الجنوب، فخشى أن يحصل من اعتداء على بعض القرى، فسار في أثره فلما وصل الزلفى بلغه أن ابن رشيد نزل المجمة، التي لم تزل موالية له، فتمرن منها، ورجع شمالاً فرجل ابن سعود ونزل مجمع البطنان، فاستأذن صالح الحسن بن مينا بالرجوع إلى بريدة فأذن له، فرجع بنفسه وبقي أخوه مينا أميراً على الغزو مع ابن سعود، وكان نائب ابن هذال بن بصيص رئيس بريه من مطير نازلاً بموضع قريب من ابن سعود. وكان موالياً لابن رشيد، فأراد أن يأخذه على غرة، فسار إليه وأغار عليه، وكان قد سبقه النذير، فانهزم وتبعه ابن سعود، وأخذ عليه بعض من الحلال، وتزين ابن رشيد وانضم إليه كما انضم إليه قسم من قبيلة حرب كان قد استدعاهم.

أما ابن سعود فرجع ونزل النقية بالمستوى، وانضم إليه قبيلة مطير يرأسها فيصل الدويش، فجاءه نجاب من الشيخ مبارك يحمل كتاباً كان عنوانه لابن سعود، والكتاب باسم عبد العزيز بن رشيد ويتضمن إمضاء

الصلح بينهما، ويقول فيه أنه كتب لابن مهنا يدعو له ليدخل في صلحهما، وكان كتاب ابن صباح لابن مهنا مع رسول مبارك، فأخذه منه وأشرف على ما فيه، فعلم حينئذ حقيقة الأمر، فكتم هذا الخبر.

وفي اليوم الثاني علم أن ابن رشيد أغار على ابن عثوان ومسمار، وهوامل معهم الجميع من مطير، وأخذهم على أم جريف موضع قريب من جراب جنوباً عنه، وقد علم ابن رشيد أن قافلة مقبلة من الكويت لأهل القصيم، فأخذ يرصد لها، ولكنه أخطأها وأغار على العرب وأخذهم، ورجع وجاء الصريخ لابن سعود من القبيلة التي أخذها ابن رشيد يستجدونه، وصادف أن قافلة إلى أهل القصيم نزلت عند بن سعود لاجئة إليه خوفاً من ابن رشيد، فأخذ منهم بعض لزاد وبعض الجيش، وأخذ من رجال القافلة عدداً غير قليل، واستغنى من رجاله أمل ألف ذلول وأربعمائة خيال، وسار على أثر ابن رشيد ومعه مطير، فأسرى تلك الليلة واليوم الثاني.

وفي ليلة اليوم الثالثة ١٧ صفر سنة ١٢٢٤هـ: جاءت كشافية تخبره أن ابن رشيد نازل في روضة مهنا شمالي المستوى، ولم يكن بينهما إلا مسافة أربع ساعات، فنزل في موضعه وترك الجيش والخيل، وأبقى عندها بعض رجاله، ومشى في بقية الجند مشاة، ومعهم بعض الخيل، فلما كان الساعة السابعة ليلاً، وإذا هم بطالعون مخيم ابن رشيد وقد أخذ خبرهم، فتنبأ للقتال وعي جنده وأرسل أولاده متعباً ومشعلاً إلى موضع بعيد عن محل القتال، ومعهم بعض خدامهم، وقال: راقبوا الأمور من بعيد، فإن كانت لنا أرسلنا لكم وإلا فأنجوا بأنفسكم.

فلما كانت الساعة الثامنة ليلاً ليلة ١٨ من شهر صفر سنة ١٢٢٤هـ: هجم ابن سعود على ابن رشيد فتصادم الجيشان والنجم الفريقان واشتد وطيس القتال فتأخر جيش ابن رشيد واحتل جند ابن سعود مراكزه، وزحف بعضهم إلى بعض واختلط الفريقان، وصار القتال بالسلاح الأبيض، فتجالدوا بالسيوف مدة ثم انهزم جيش ابن رشيد، وكان ابن رشيد راكباً حصانه يدور في معسكره يحرضهم ويشجعهم، فجاء إلى موضع جيشه وكان قد احتله جيش ابن سعود ولم يعلم، فأخذ يحرضهم فعرفوه وصاح بعضهم على بعض ابن رشيد رأس الحية صوبت إليه البنادق فخرّ قتيلاً لوقته، وتمت هزيمة جنده.

فأصبح ابن سعود في معسكر ابن رشيد واستولى على ما فيه وأرسل إلى جيشه وخيله التي تركها بموضع قريب منه، فجاءه، ولم يشج المنهزمين بل تركهم، وقد أسر من جند ابن رشيد نحو ستين رجلاً فأحسن إليهم وأطلقهم وجيهم إلى بلادهم، وكان عدد القتلى في هذه الواقعة نحو الثلاثة من الطرفين.

متعب ابن عبد العزيز ابن رشيد

دخل متعب بن عبد العزيز الرشيد بلاده، ولم يحضر الواقعة وتلافى عليه فلول جنده، وبابعه أهله وشكر عمل ابن سعود في الأسرى، فقابله بالمثل وأطلق سراح من عنده من المسجونين من آل سعود، ومن آل سليم أهل عنيزة وهم عبد الله ومحمد أبناء زامل، وأما عبد الرحمن بن زامل فقد توفي في السجن قبل عام، وإبراهيم وسليمان ابني حمد البراهيم السليم، ومن عنده من عائلات آل سعود.

ابن سعود

أما ابن سعود فقد أرسل إلى مخيمه الذي تركه في مجمع البطان فجاهه ثم رحل ونزل بريدة.

وفي اليوم الثاني من ربيع الأول خرج من بريدة غازيًا وأغار على ناهس الذريسي من حرب وأخذه عند أبانات الجيلان المعروفان في القصيم، وقتل في هذه الواقعة يحيى الخالد السليم، وكان خرج مع ابن سعود رأسه، فقتله ابن ريف من حرب صبرا رجع ابن سعود، ونزل قصر ابن عقيل فأرسل إلى حسين ابن عساف أمير الرس يدعوه إلى الطاعة، فاستأمنه فأتته، وخرج إليه هو وصالح ابن عدل فبايعاه، وأراد إرجاعهما إلى موضعهما، فاختارا الإقامة بخدمته، ثم عيّن صالح بن عبد العزيز أميرها السابق أميرًا في الرس، ورجع ونزل بريدة في ١٥ ربيع الأول ثم غزا وأغار على قبائل من حرب ومعيهم بني عبد الله من مطير، وأخذهم على أبي منير، وفي غزوته هذه مر السبعان من قرى حائل ونجيه ورجع إلى بريدة.

القبض على صالح الحسن ابن مهنا

كان ابن سعود نائمًا على صالح بن حسن أمورًا كثيرة تجهل أساليبها. وسنورد جميع ما وقفنا عليه من المصادر التي استقينا منها، وكنت أنا يومئذ في عنيزة، ولكنني صغير السن، ولا أقف على بواطن الأمور. وأما الإشاعات التي راجت يومئذ فلا يعتمد عليها، وإنما على طول الزمن أخذنا نبحت عن أسباب ذلك، فلم ينف على شيء يصح ترجيحه، وإنما أذكره كما تلقية على اختلاف في الرواية قليل.

أما كيفية القبض فإليك بيانه :

ففي اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني رتب ابن سعود بعض الجنود بقيادة أحد آل سعود وأعطاهم التعليمات اللازمة، وأظهر أنه يريد أن يرسل عمالاً يستحصلون الزكاة من البوادي، فلم يسترب صالح الحسن في أمره، فأرسل بعض الجند إلى القصر بحجة تجهيز العمال، ثم تبعهم هو ومعه ثلة من الجند، فدخلوا القصر وأغلقوا أبوابه، وتفرق الجند بالمواقع التي هيئها لهم، وكان صالح بن مهنا وإخوته في القصر عدى سليمان الحسن، فإنه خارج القصر، ثم تقدم إلى صالح الحسن وإخوته فقبض عليهم وأرسل إلى ابن عمه محمد بن عبد الله المينا، وأرسل إلى أعيان أهل بريدة، وأخبرهم بأعمال صالح وقبضه عليه، وأمرهم أن يبايعوا ابن عمه محمد العهد الله فبايعوه، وقد اضطرب عامة أهل بريدة لهذه المفاجأة، وكاد يحدث فتنة لولا أن أعيانهم تطوهم، وقالوا: الأمر بين آل مهنا فيما بينهم فما هو مدخلكم في الأمر، ولم ينعيم ذلك لأن صالحاً كان محبوباً لديهم، ولكنهم لم يجدوا لهم ريثاً يترددهم، وكان سليمان الحسن قد هرب إلى صدقي باشا في الشيعة.

فأرسل ابن سعود صالحاً الحسن وإخوته ليلاً إلى الرياض وحبسهم هناك، ووقع الأمر على أمراء عنيزة وقوع الصاحفة لأنهم خشوا على أنفسهم، واستغربوا هذا الأمر من ابن سعود بعد تلك العهود التي كانت بين ابن مهنا وابن سعود، وبين ابن سعود وآل سليم على يد الشيخ مبارك الصباح.

وفيما يظهر من حالة أهل عنيزة أمران: إما أنهم يجهلون أعمال ابن

مهنّا التي اطلع عليها ابن سعود ولم يخبرهم عنها، أو أن الأمر حقيقة جرى باتفاق بين محمد المهنّا وابن سعود، وهذه الإشاعات ضدّ صالح إنّما هي تشويه لسمعة ليهيئون على الناس أمر القبض عليه.

أما أمراء عنيزة فقد تمكّنت من قلوبهم الوحشة خوفاً من أن يكون مصيرهم مصير ابن مهنّا. بعد أن رتب ابن سعود أمور القصيم وإجلاء آل حسن من بريدة عاد إلى الرياض وكتب لأمير عنيزة عبد العزيز العبد الله وصالح الزامل يدعوهما لمواجهة خارج البلد، فازدادتا وبيتتهما من ابن سعود ولماذا لم يدخل البلد كمادته، ويفضي إليهما بما يريد، فترددا في إجابته ولكنهما أخيراً أجابا طلبه وخربجا لمواجهته، ولكن أهل البلد لم يطمثوا عليهما فخرج منهم جمع غفير متسللين مستعدين بسلاحهم فثشقوا في أماكن متعددة قريبة من محل الاجتماع دون أن يظهروا للعيان.

فجاء ابن سعود في قلة من خدامه لأنه لم يدر بخلدة شيء مما ظنوا إنّما جاء ليشرح لهم الأسباب التي أوجبت هذه الإجراءات مع صالح الحسن، لأنه يعلم صدقهم وإخلاصهم له، فسلموا عليه وجلسوا يتحدثون، فرأى الناس زمراً هنا وهناك، وكان الوقت ليلاً، فقال ابن سعود من هؤلاء الناس المجتمعين، هل داخلكم الريب مني، قالوا: نعم يا طويل العمر إنّ دعوتك لنا في مثل هذا الوقت من الليل خارج البلد وبعد عملكم في صالح الحسن مع ما بينكم وبيننا على يد ابن صباح من العهود والمواثيق، جعلنا نرتاب، قال: أخطأتم في ظنكم فطريقكم غير طريق ابن مهنّا، لأنكم وقّيتم بما بيني وبينكم وزيادة، وأما صالح الحسن فأنا ما جئت هنا إلّا لأبين لكم أعماله التي تعلمونها والتي خفيت عليكم، ثم أخذ يقبض بأعمال صالح ويشرح لهم موقفه مع المشير ومع

صدقي بعده، ثم موقفه مع ابن صباح في توسطه للتصالح بينه وبين ابن رشيد، وعرض عليهم جميع ما قام به صالح من الأعمال ضده بمستنداتها.

ثم قال أيضًا: قد احتملت كل هذا من صالح ولم أفكر في شيله، ولكن جاءني وجهاء أهل بريدة وأعيانهم ومحمد العبد الله المهنا وشكوا إليّ أعمال صالح فيهم وجراءته على أموالهم لسد نفقاته، وتدخلوا عليّ إما تشيل صالح عتًا فحنًا نترك بريدة له، وأنتم تعلمون أنني في حاجة إليهم اليوم، وخشيت إذا لم أوافقهم يتنقضون، وأنتم تعرفون أحوال أهل بريدة، فأنا ما أقدمت على ما أقدمت عليه إلا مراعاة للمصلحة العامة، لأننا غير آمنين منه بوجود هذا العسكر مع ما تقدم بينه وبينهم، فالآن هذا ما جئت لأبيته لكم، وها أنا راجع إلى الرياض، وقبل ذلك يجب أن نزيل هذه الوحشة بعهد جديد فقاموا فعاهدوه عهدًا وثيقًا أنهم لا يحولون عما بينهم وبينه من العهود السابقة، وأكد ذلك هو انهم وركب راجعًا إلى الرياض.

الأسباب التي غيّرت خاطر ابن سعود

على ابن مهنا وأوجبت القبض عليه

حرصت كل المحرمين لتحقيق الأسباب، وأكثر من سؤالات الرجال الذين أظن فيهم الاطلاع على مثل هذه الأمور، فلم أجدهم في القصيم كله من يزيد التهم الموجبة إلى ابن مهنا كموالاته العسكر أو الميل إلى الصلح مع ابن رشيد، وينفون ذلك نفياً باتاً، ويقولون لو كان عمل شيء من ذلك لأخذ حذره من ابن سعود واحتاط لنفسه ولو سرًا، ولكن غفلته وانقياده وجعله القصر بما فيه تحت تصرف ابن سعود ورجاله أي

وقت شاموا ليلاً أر نهّاراً بدل على أن ضميره مرتاح، ونفسه مطمئنة لما بينه وبين ابن سعود من العهد، وأنه لم يأت ما ينتقضها، هذا عذرهم ودفاعهم عن ابن مينا.

سامي باشا الفاروقي

كانت حكومة الترك قائمة على صدقي باشا وخطته، ولا حرب ولا سلم ولا مفاوضات، فأرسلت سامي باشا الفاروقي الذي كان يومئذ في المدينة إلى حائل للمفاوضة مع ابن رشيد، فاجتمع ومتعب في مسيراء الماء المعروف قرب حائل، فاتفق وإياه أن يكون التقسيم في حوزة الدولة، فوافق على ذلك، ثم رحل الفاروقي إلى القصيم ليفاوض الفريق الثاني الذي قد ظن أنه كالفریق الأول، فلما وصل الشبحة في أواخر جمادى الأولى عزل صدقي باشا، وتولى قيادة الجيش، وأرسل إلى ابن سعود يطلب مقابلته للمفاوضة، فوافاه إلى البكيرية القريبة المعروفة في ناحية القصيم، فكان الاجتماع بين مخيم أهل عنيزة والبلد بالركن الجنوبي الغربي منها في خيمة أعدت خصيصاً لذلك، فاستمرت المفاوضات نحو ساعتين، فلم يحصل نتيجة لأن سامي باشا ذونزعة عسكرية، وكأنه أراد أن يملئ إرادته على ابن سعود وأهل القصيم، ويجبرهم على قبولها معتزاً بقوته جاهلاً مركزه، فلو تأمل حاله التي هو فيها ومركزه، وأنه في وسط صحراء بعيد عن العمران، وفي وسط بلاد معادية وهو في قلة من الجند، لو تأمل ذلك لما غالى في مطالبه.

وقد أخطأ من قال أنه من أكبر رجال الدولة وماسستها، فلو كان كذلك لجرى في مفاوضاته غير مجراء، أما طلبه أن يكون التقسيم تابعاً

للدولة فهذا قد قاله من قبله في جميع المفاوضات التي تقدمته ولكن سامي
باشا قال غير ذلك، قال: بأن الأوامر التي لديه تخوله أن ينيي قصرين في
عنيزة وبريدة، ويجعل لمي كل منهما طابور عسكر ولما اعترض ابن سعود
وأهل النصيم على ذلك قال: إنكم تجهلون صالحكم، وتترهمون حقوقاً
ليست لكم وما جئنا لنسترضيكم، أو نأخذ رأيكم، وإنما جئنا لنعلمكم
الطاعة والإخلاص للدولة العلية.

عندئذ احترم ابن سعود غيظاً وقال: إني آسف أن الدولة تترك
أمورها إلى مثلك ما كان العرب يا سامي ليطيعون صاغرين، وأقسم بالله
لولا أنك ضيف عندنا لما تركتكم تقوم من مكانك، فأنقض للاجتماع،
وقام ابن سعود وخرج وهو لا يكاد يميز طريقه من الغضب، وخرج سامي
باشا ومعه أربعة من ضباط العسكر ورجعوا إلى معسكرهم في الشيحة
على مسافة ساعتين من البكيرية.

ركب ابن سعود ومن معه من إخوته وأبناء عمه على خيلهم
واستعرضوا الجند، فبدأ بمخيم أهل عنيزة وهو الذي يليه غربي البلد،
فاصطفوا صفيين وأخذ ابن سعود ومن معه يقبلون ويدبرون على خيلهم بين
صفيي الجند يستحثونهم ويحرضونهم والجند يجاوبه بالثبية بحماسة
شديدة، وكنت أنا يومئذ مع من خرج من الغزو وأخذ على هذا الحال نحو
نصف ساعة، ثم قصد مخيم أهل بريدة شمالي البلد وفعل مثل ذلك ولم
يكن معه يومئذ غير أهل النصيم.

وفي الحال أرسل إلى بريدة وعنيزة بطلب زيادة رجال وأكد عليهم
بالسرعة، وأرسل سامي باشا بعد وصوله إلى الشيحة ذياب أبو بكر إلى

ابن سعود يعرض عليه على لسان سامي باشا أن يقبل عشرين ألف ليرة تدفعها لك الدولة مقابل اعترافك بسيادتها على القصيم، فجن جنون ابن سعود، وأراد أن يفتك بذياب، وقال: أتجاسر يا خبيث أن تنقل إلي مثل هذا الكلام، فطار صواب ذياب ولُبه، فركب ذلوله هاربًا وهو لا يصدق بالنجاة، عندئذ أرسل ابن سعود ثلاثة من رجاله إلى سامي باشا ينبه أنه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر، وما كان جادًا فيما يقول، ولكنها كما يقول الريحاني تهويله أنت بالفائدة.

وما أظن ابن سعود يحاول الهجوم على العسكر لأن عددهم يفوق عدد من معه ثلاثة أضعاف، وعندهم من الاستعداد الحربي ما ليس عنده، ثم إنهم بمدة إقامتهم الطويلة قد حصّنوا قصور الشيعة وأحكموها وسكنوها فهم داخل قصور حصينة، وفيها من العدد والعُدّة ما يصد عنها أكبر قوة، ولكن سامي باشا أدرك ما كان بجيئل، وبدأ ينظر الأمور بعقله فرأى أنه في منتطع من العمران وبعيد عن المعادر التي يستمد منها قواته وأقواته، فأدرك خطأه في ما بدا منه من المطالب.

فأرسل إلى ابن سعود ثلاثة من ضباطه يترضونه، ويقولون: إن سامي باشا ومن معه من العسكر ضيوف عليكم، وكان ابن سعود قد رحل من البكيرية فتزل طرف المليدا من الغرب، فوافته الرسل هناك فأجابهم وطئن خراطهم ورجع إلى بريدة، ثم رحل منها وعاد إلى الرياض، وكان ذلك في شهر جمادى الثاني.

وأخذ سامي باشا إلى السكوت الظاهري ولكنه بدأ يدسّ الدسائس ويحرك سليمان الحسن المينا الذي كان عندهم منذ أن قبض ابن سعود

على أخيه صالح، فارتبط مع سامي باشا على أن يهجم على محمد
العبد الله المهنا أمير بريدة ويقبض القصر على أن يرتحل سامي باشا
ويتزل البصر، قرية تبعد عن بريدة ساعتين ليؤيده ويشد أزره، فيما لو قام
أهل البلد ضده، فكتب سليمان إلى بعض أشخاص في بريدة يثق بهم،
وفيهم عمه عبد الرحمن بن مهنا فأجابوه إلى مساعدته، وأمره أن يقدم
إليهم.

وفعلًا دخل سليمان إلى البلد سرًا واجتمع بحزبه، وتقرر عزم هذه
العصبة على أن عبد الرحمن المهنا يستدعي ابن أخيه محمد الأمير على
القهوة كجاري العادة، ثم يفتكون به فسمي الخبر إلى الأمير محمد بن
عبد الله بهذه المؤامرة وأسماء المؤتمرين فأخذ حذره واعتذر عن إجابة
دعوة عمه، ولم يد ليم أنه عالم بما أرادوا، فلما أصبح أمر على أهل
البلاد أن يعرضوا ليعرض قواهم، وهي عادة في نجد يعملها أهل البلد
عند توقع أي حادث، فلما تكاملوا أخذ الأمير بغضب على أفراد المؤتمرين
وسجنهم ما عدى عبد الرحمن العينا وسليمان الحسن، فأنبها أحنا
بالأمر وأنبها إلى المعسكر قبل أن يتمكن من القبض عليهما.

استجوب المسجونين فأنكروا وكان فيهم أحد أولاد الربذي من
أعيان أهل بريدة فجاءه وجيأاء البلد يتشفعون بالعفو عن المسجونين،
وكان قد رفع الأمر إلى ابن سعود وأخبره بمطلبهم فأجابهم: إني قد رفعت
الأمر إلى ابن سعود والأمر إليه فركب وفد من الأعيان إلى ابن سعود
وطلبوا منه العفو عن المسجونين فأجاب طلبهم، وكتب إلى محمد بن
عبد الله يأمره بإطلاق سراحهم فأطلقهم.

مقاطعة أهل القصيم العسكر

بعدما جرت هذه الحادثة علم أهل القصيم أن سامي باشا هو المحرك لباء، فكتب أمير بريدة بالتضامن مع ابن سليم أمير عنيزة إلى سامي باشا يلتون عليه بقصة ما حدث، فكتب إليهم يقول: إنه لا علم له بهذه الحركة، فكتبوا إليه ثانيًا إن كان الأمر كما تقول فإنني من عندك من آل مهنا وأبعدهم، وإلا فنحن نلقي تبعه ما يحدث عليك، لأن وجودهم عندك موجب للريبة، فكبر على سامي باشا أن يخاطبوه بمثل هذا الجواب ولم يجاوبهم، فتوitt الشبهة عليه عند أهل القصيم، فقررُوا مقاطعته ومنعه من الامتياز من القصيم، وكتبوا إلى ابن سعود يقولون: إن بقاء العسكر بهذا الموضع مما يلي ابن رشيد أمر ما هو صلاح، ولا تروح نفوسنا إليه، لأننا غير آمنين من دسائسهم، فهم الآن صائرون مركزًا للدسائس، فيذا سليمان الحسن وعبد الرحمن المهنا بعد عملياً في بريدة رجعا إلى سامي باشا.

متعب بن عبد العزيز الرشيد

تقدم الكلام أنه دخل حابل بعد الوقعة وبايعه أهل حابل وشمر بعد أبيه، وأطلق سراح المسجونين في حابل من آل سعود، وآل سليم كما تقدم، وكان راغبًا في السلم لأنه خشي أن يعاجله ابن سعود فيقضي عليه قبل أن يلم شعث، ولكن ابن سعود لديه من المشاكل ما يصده عن ذلك.

أرسل متعب إلى ابن سعود يطلب الصلح فأجابه إلى ذلك على أن شمر وحابل وتوابعها لابن رشيد، وما عدى ذلك فهو لابن سعود فقبله وتم الصلح بينهما، فبقي مرعيًا مدة حكم متعب.

رجوعًا إلى تنمة الحوادث :

ذكرنا مقاطعة أهل القصيم إلى العسكر، وكان أحد تجار عنيزة قد التزم إحضار ما يلزمهم من الطعام شهريًا بقيمة معلومة، وكانوا يأتون على رأس كل شهر ويقبضون ذلك ويسلمون ثمنه، ولكن إمارة عنيزة منعت هذا التاجر من معاملتهم بعد الحوادث التي جرت، فتوسل سامي باشا بكل وسيلة فلم ينجح، لأن الشبهة قد تمكنت من نفوسهم وساءت ظنونهم بنوابه، فصاروا يراقبون حركاته وأحاطوه بجواسيس يحصون عليه أعماله على الخصوص، ابن مهنا أمير بريدة، لأن الخوف عليه أكثر بسبب وجود سليمان الحسن عند العسكر الذي هو خصمه.

أرسل سامي باشا بعض الضباط ومعيهم خدام إلى عنيزة في أول شهر رجب يريد الامتياز للعسكر من بريدة ومن عنيزة، ولكنهم ردوه محتجين أن البلاد خالية من الطعام وليس فيها ما يكفي أهلها، فتضايق سامي باشا وخشي أن يهلك وعسكره جوعًا بوسط هذه الصحراء الفاحشة، فكرر محاولته وأرسل ضابطًا من ضباطه إلى عنيزة ومعه خمسمائة ليرة ومائة وخمسين جندي، فدخل الضابط عنيزة بعد الظهور وترك الجند بموضع يبعد عن البلد نحو نصف ساعة.

بلاغ كاذب

واجه الأمير وطلب منه السماح ليم بأن يمشروا من البلد فأجابه الأمير أنني لم أمنعكم إلا لأن البلد خالية من الطعام والسعر الموجود أكبر شاهد على ما أقول، قال الضابط: نحن لا نبالي بالزيادة، أجابه الأمير إذا لم تبالي فنحن الذي نبالي فلسنا في العراق، فيهدي نجد زراعتها لا تقوم

بحاجة أهلنا، وهذا المبلغ الذي أثبت لشعري به هو مقابل لتصف قيمة حاصلات زراعتنا السنوية، فكيف تكون الحالة بعد أن نقضوا لزامكم وتركوا البلد خالية وموسم الزراعة بعيد.

فبينما هم في هذه المحاورة إذ ورد كتاب من محمد العبد الله بن مهنا أمير بريدة يقول: إنه قد جاءه إحدى خدامه الذين قد جعلهم في الشحية يخبره أن العسكر عندهم حركة استعداد، وأنه أخذ خبر أنهم قد قرروا الهجوم ليلة النصف من رجب.

إما على بريدة وإلا على عشيرة فأنتم كونوا على حذر وموعدهم الليلة، فإن صار الهجوم عليكم أرسلوا لنا نمدكم، وإن صار الهجوم علينا أرسلنا لكم تمدوننا، وكان هذا البلاغ كاذباً، ولكن صادف وصول هذا الخبر بالوقت الذي كان فيه الضابط يطلب من الأمير الإذن لدخول العسكر إلى البلاد لأجل الميرة، فتويت الريبة في نفس أهل البلاد وزادها قوة، أن القوة التي مع الضابط بهذه الدفعة مضاعفة ثلاثة أضعاف عما هي عليه بالثقات التي قبلها، فإذا أضفنا هذه القوة إلى القوة التي في البلاد التي قد تضاعفت هي أيضاً صار المجموع قوة لا يستبان بها.

أوجدت رسالة ابن مهنا إرجافات وشوائع أكبر من الحقيقة، فخرج خفيف الناس الذين لا يتقيدون بأمر حاكم، ولا أمير وتبعهم سواقط من أهل البادية التي لا معاش لديهم إلا من السلب والنهب، وذلك بدون علم من الأمير.

فأخذوا يشاغبون على العسكر فيأخذون ما وصلت إليه أيديهم من السلاح بدون قتال، إذ لا سلاح مع المشاغبين، وإنما يستغفلونهم، بحيث

صاروا قسمين، قسم يشاغب العسكر ليشغلهم، وقسم يغير فيأخذ ما تصل إليه أيديهم، فلما كان بعد العصر رأى العسكر أن اللصوص تتكاثر عليهم، ولم يستطيعوا أن يستعملوا السلاح خوفاً من العواقب، فسار العسكر قاصداً البلاد ليحتمي بها.

هذا والأمير وأهل البلد لم يعلموا بما حدث فما راعهم إلا والعسكر مندفع نحو البلد بسرعة، فراهم الأمر؛ سيما وقد تكهروا الجور من الإشاعات السالف ذكرها، فجاء المستصرخ بقول: إن العسكر أقبلوا وسيهاجمون البلد فظفر أهل البلد والأمير بسلاحهم خارج البلد يستكشفون الخبر، وأرسل الأمير إلى رئيس القوة العسكرية التي داخل البلد فأمره بمخابرة العسكر فخابرهم بواسطة البرزان فجابوه أنهم إنما جازوا مستأمنين، فأوقفهم بمكانهم، وأرسل لهم قوة تحوطهم وتدافع عنهم، فدخل أهل البلد ودخل العسكر بعدهم، وانضموا إلى العسكر الذي في البلد فكساهم الأمير وأخذ يتبع ما فقد من سلاحهم، فأرجع إليهم ما وجد.

وباليوم التالي أمرهم بالرجوع إلى الشبيحة، فلما وصلوا إليها قام سامي باشا يرغي ويزيد ريتهدد ويتوعد أهل عنيزة وأميرها، فكتب أهل القصيم إلى ابن سعود بخبر العسكر وما كاد أن يحدث من الفتنة من جراء أعمالهم، وأنهم لا راحة لهم والعسكر بهذا الموضع.

أما سامي باشا فإنه قد تأثر مما حدث، وتوترت العلاقات بينه وبين أهل القصيم، فأخذ يفارض متعب بن رشيد نكاية بأهل القصيم من جهة، واضطراً للأطعمة من جهة ثانية، لأن القصيم أوصدت أبوابها دونه،

فقرر الأمر بينه وبين ابن رشيد أن يرسل له رحلة يرحل عليها العسكر إلى بلاد ابن رشيد إلى أن تأتيه الأوامر من الدولة، إما بتعزيز قواته أو الانسحاب من نجد، وقدم تقريرًا عن حالة القصيم وحوادثه، والحالة الراحنة التي هو فيها، وأرسل البريد من طريق المدينة فصادفه غزو من عتيبة وأخذوه، فعلم ابن سعود وأرسل من يسترجعه ممن أخذه، فجازوا به على ختمه، فأرسله ابن سعود إلى سامي باشا، فصار له أحسن وقع في نفسه وشكر ابن سعود عمله.

ترحيل العسكر من نجد

إلى المدينة وإلى العراق

بلغ ابن سعود مفاوضة سامي باشا ابن رشيد، فخشي من انضمام العسكر إلى ابن رشيد، فخرج من بلاده ومعه غزو إلى الرياض وأهل الجنوب، وأغار على مطير وأخذهم على الأسياح، ونزل عتيبة في العاشر من شعبان، وكان ابن رشيد قد خرج من بلاده غازيًا، وأغار على حريم فسبته النذير إليهم فامتنعوا عليه، ورجع عنهم ونزل سميراء، وأرسل إلى سامي باشا ستمانة جمل لأجل ترحيل العسكر، فلما قاربوا الوصول إليه بلغهم أن ابن سعود وأهل القصيم نزلوا البكيرية يريدون العسكر، ولم يكن الخبر صحيحًا، ولكنهم تخوفوا ورجعوا قبل أن يتسلوا العسكر.

ركب ابن سعود إلى بريدة وجمع رجلاء وأعيان بريدة وأميرها وأمير عتيبة وجماعته، وراجعهم في خصوص العسكر وما يجب عمله معهم، فقرروا وجوب إبعادهم عن نجد إما بطريق المفاوضة أو بالقوة إن أحوج الأمر إلى ذلك.

فلما كان في آخر يوم من شعبان خرج أهل القصيم ومعهم ابن سعود وحاشيته فقط، وأما جنوده فقد رجعوا إلى الرياض، فنزل البكيرية، القرية التي صار فيها المؤتمر الأول في جمادى الثاني، فأرسل حراساً أحاطوا بمنزل العسكر بحيث لا يشعرون بهم، وأمرهم أن يمنعوا أي اتصال يكون بين العسكر وغيرهم، وأرسل إلى سامي باشا يخبره بين أمرين، إما أن يرتحل من موضعه هذا ويتزل السر جنوبي القصيم ليقطع الصلة بينه وبين ابن رشيد، وإما أن يرتحل ابن سعود العساكر من نجد فيرسل الجنود العراقية إلى العراق والجنود الشامية إلى المدينة. وإذا رفض كلا الأمرين فهو يلقي عليه تبعة ما سيحدث، وكان الجنود والضباط قد سثموا الحالة، فأجبروا سامي باشا على قبول ترحيل العساكر، وقيل إنهم تهددوه فيما لو رفض، فأذعن سامي باشا مكرماً، ووافق على الشرط الثاني على أن يضمن ابن سعود سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق.

فأجابهم إلى ذلك على شرط اشترطه هو أيضاً، وهو أن يحتفظ بالجنود العراقية إلى أن يصل خبر سامي باشا ومن معه إلى المدينة خوفاً من أن ينضم إلى ابن رشيد لما يعلمه من ميوله ونواياه، وقد صارحه ابن سعود بذلك، ثم دعا ابن سعود شيوخ حرب وقال: أنتم الذين حملتم العسكر من المدينة إلى نجد، فعليكم أن ترجعوا إلى المكان الذي أتيتهم بهم منه.

رحل سامي باشا (١٥) رمضان ومن معه من عسكر الشام إلى المدينة بعد أن اتاروا من البكيرية واستبقى شيوخ حرب عنده رهينة إلى أن يصل العسكر إلى المدينة، وبعد أسبوعين جاء الخبر بوصول سامي باشا إلى الحناكية، فأطلق مشايخ حرب.

وأما عسكر العراق فقد رحلهم من موضعهم ونزلوا الشماس قرية قرب بريدة، فلما وصل سامي باشا إلى المدينة أمر بتجهيز عسكر العراق الذي تحت رئاسة ميرالاي بسيم بك، فرحلوا إلى العراق في الثالث عشر من شوال من هذه السنة، وفارقوا نجد إلى الأبد إنشاء الله، ولم يبق منهم حتى الذين في البلدان أخرجوهم وسبّوهم مع عسكر العراق، ثم رجع ابن سعود إلى الرياض وكتب إلى والي ولاية البصرة وقومندان العسكر يخبرهم بإجراءاته بترحيل العسكر، وما بذله من الوسائل لتأمينهم وتأمين راحتهم، والظاهر أن سامي باشا قد كتب بخط ابن سعود كلام جميل.

شكر الحكومة العثمانية لابن سعود

وفي شهر الحج ورد تلغراف من العاين موجب إرادة شاهانية للأمير ابن سعود، يتضمن شكر الحكومة عمله مع العسكر وتأمين راحتهم، وتحثه على تأمين الطرق وإصلاح العشائر، وتطلب أن يرسل ابن سعود أحد إخوانه أو من يعتمد عليه على نفقة الحكومة إلى دار الخلافة العظمى ليحظى بالشول لدى أمير المؤمنين وتعطفاته، والتلغراف مطوّل لم تقف على كامل عبارته، ورد التلغراف عن يد أحمد عزو باشا وهذا سلمه إلى يوسف باشا المنديل معتمد ابن سعود، فأرسله إليه مع ولد الأحيدب في ٦ محرم سنة ١٣٢٥هـ، وفي ١٢ محرم ورد تلغراف ثاني من المقامات العالية في الأسنانة إلى أمير الأمراء وشيخ مشايخ عشائر الأقطار النجدية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، تشكره على خدماته التي قدمها للمساكر الشاهانية، وإخلاصه لسدة الخلافة العظمى، ويطلبون منه أن يقدم مطالبه ويستحثونه على سرعة إرسال وفد يمثله لدى أمير المؤمنين ليحظى بتعطفاته.

فأسل هذا التلغراف إلى يوسف باشا المتدليل، وهذا أرسله إلى ابن سعود، وكذلك صدر كتبًا من والي ولاية البصرة، ومن الفريق عزرو باشا وصدقي باشا إلى ابن سعود يبيّنونه بتعطّفات أمير المؤمنين، ويشيرون عليه بالحضور شخصيًا إلى نواحي البصرة لعرض مطلبه ورفع واجب الإخلاص للذات الشاهانية لقطع السنة المنفرتين والمفسدين، وكذلك مبارك الصباح وسعدون حسنا له الحضور إلى أطراف البصرة والاجتماع بوالي البصرة.

أما ابن سعود فلم يعد يوالي في الدولة بعد ذهاب ابن رشيد وثبتت أمره، سيما بعد قتل أولاد عبد العزيز واختلاف الرشيد، وإنما لا يرى بأسًا من المجاملة، جاوب على تلغرافات المايين بما يقتضيه الواجب، وكتب إلى الوالي وعزة باشا وصدقي باشا بما يقتضيه المقام وشكرهم، وأرسل وفدًا يمثله إلى دار الخلافة رئيسه صالح بن عدل، فنال من عطف الحكومة فوق المأمول ومنحتهم الألقاب والنياشين، فرجع صالح بن عدل يحمل وسام الباشوية، فصار يدعى صالح باشا العدل.

أما سبب تخير سياسة الحكومة مع ابن سعود فلم يكن خدماته للمعسكر وتأمينهم فقط وإنما كثرة الجرائم في بيت آل الرشيد جعلها تنفض يدها منهم، وتترقب من ابن سعود.

قتل أولاد عبد العزيز المتعبد

تقدّم الكلام على ولاية متعبد ابن رشيد بعد أبيه، وذكرنا ما كان من ركونه إلى السلم وانعقاد الصلح بينه وبين ابن سعود، وسكنت الأمور وجرت المواصلة التجارية بين رعايا ابن سعود، (وسكنت الأمور وجرت المواصلة التجارية بين رعايا ابن سعود) ورعايا ابن رشيد.

(١) ذكره ياشار الصفوح باسم عزرو باشا ٤٥١

(٢) حاييه، هو سبيح حنر

ولكن أولاد حمود العبد الرشيد أخذوا يطمحون بأنظاريهم إلى الحكم ويرون أنفسهم أحق فيه، وكبر عليهم أن يذعنوا إلى متعب، ولكنهم لم يتظاهروا وكان متعب أحس بما في نفوسهم، فأخذ يعمل للتضييق عليهم سرًا.

ضاق ذرع كبيرهم سلطان بن حمود العبد، فذهب إلى الآستانة يتقرب إلى السلطان، ولكن الأمير متعبًا كتب يخبر الدولة عن أعمال سلطان ومناصده، فأعرضت عن سماع كلامه فرجع إلى الشام، وبلغ متعبًا رجوعه إلى الشام، فالتمس من الدولة اعتقاله، فصدر الأمر لناظم باشا وإليها يومئذ بالقبض عليه، فجاء من أنذر سلطانًا في الحال فقر من دمشق إلى جبل الدروز، وأول قرية وصل إليها الصورة الكبرى قرية ابن ظهير الدين من مشايخ الدروز، وهي من وادي اللوخي على مسافة سبع ساعات من دمشق، فأسرع ناظم باشا بإرسال خيل في أثر سلطان فلم تدركه إلا في الصورة في منزل ابن ظهير الدين، وكان هذا لا يعرف أن ضيفه سلطان بن رشيد، فلما علم بذلك طرد خيالة الدولة، واجتمع الدروز حول سلطان وساروا به إلى قرية شيبا، فنزل عند شيخها أبي طلال العامري، ومن هناك ذهبوا به إلى المقرف القبلي عند مصطفى باشا الأطرش شيخ ذلك المقرف، فأقام بشيافة مصطفى باشا نحو شهر، ثم رغب أن يعود إلى نجد فرؤدوه بما يلزمه، وأرسل معه رفاقًا يرأسهم الشيخ العبي رنعات بن ماضي حتى وصلوا به إلى نجد.

رجع إلى حابل دون أن يظهر عليه أنه عالم بما كتب عنه متعب إلى الدولة، فأسرّها في نفسه وحقدّها عليه، واختمرت رأسه فكرة الانتقام وحب الاستئثار، فأقر وأخويه على قتل أولاد عبد العزيز والقيام مقامهم،

فراق لهم الأمر ووافقوه وأخذوا يدبرون أمرهم ويعملون الوسائل، فأخذوا يتملقون الأمير ويتودّدون إليه ويتقرّبون منه لينزلوا عنه أثر الوحشة منهم، فركن إليهم.

وفي يوم من أيام الربيع اقترحوا على الأمير متعب الخروج إلى الصيد للأنس والانشراح، فخرجوا في اليوم العشرين من شهر ذي القعدة من هذه السنة أولاد عبد العزيز: متعب، ومشعل، ومحمد، وأولاد حمود ثلاثة: سلطان، وفيصل، وسعود. وأتباع كل منهم، ساروا يطلبون الصيد فكان في طريقهم جبل من الجبال، فأشار أولاد حمود على الأمير متعب أن يتركوا المسير مع الحملة والخدام، ويسيروا على حدّتهم من الجانب الثاني لنلا ينفروا الصيد، عطف الأمير وإخوته وأولاد حمود من يسار الجبل وتركوا الجملة تسير من الجانب الثاني ليلتقوا بها عند نهايته، وحال الجبل بينهم وبين غوياهم فتأخّر أولاد حمود قليلاً وصار كل واحد منهم يمشي خلف واحد من أولاد عبد العزيز، ثم حمل كل واحد منهم على واحد من أولاد عبد العزيز وقتلوه، أما متعب ومشعل فقد ماتا في الحال، وأما محمد فكان صوابه غير مميت ولكنه تظاهر بالموت خوفاً أن يجهزوا عليه، وكان معهم طلال بن نازف فقتلوه، وبالحال رجعوا إلى غوياهم وأخبروهم بالأمر، وقالوا: من أراد العافية يلزم السكوت فلم يعترضهم أحد وسلموا الأمر، رجعوا بالحال إلى حاييل واستولوا على القصر بما فيه وعلى جميع ما كان لآل عبد الله.

أما ولد عبد العزيز محمد الذي قلنا أنه لم يمت فقد حمّله أحد خدامهم وأدخله عند جده حمود العبيد، فعلم أولاد حمود بذلك فدخلوا عليه وهو عند أمه التي هي أختهم وأرادوا أخذه منها، فتدخلت عليهم.

وحالت بينهم وبينه وهي تناشدتهم الله والأخوة أن يتركوه لها بعد أن فجعوها بإخوته، فلم تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً ولم يفتتروا إلى ترشلاتها، فسحبوه من بين يديها وقتلوه على مرأى منها، ومن والدهم، فكان مشهداً مريعاً مخيفاً تمثلت فيه القسوة والوحشية بكامل معانيها. وأجلى مظاهرها نسال الله الحماية من موجبات سخطه.

أما ولد عبد العزيز الرابع سمود بن عبد العزيز، فقد كان عند أخواله السبهان فمعره، وقالوا: هذا طفل لم يبلغ العاشرة من عمره، ولا محاذرة عليكم منه ونحن نكفله أي وقت تريدونه نسلمه لكم، فتركوه خوفاً من شقاق يحدث بينهم وبين السبهان.

سكنت الزوينة واستقر الأمر إلى سلطان الحمود، كتب إلى ابن سمود يخبره بالأمر ويطلب منه تقرير الصلح، ولم يكن راغباً فيه إنما يريد اكتساب الرقت يدل على ذلك ما كتبه في الرقت نفسه إلى أمراء القصيم، وإلى رؤساء البوادي يخطب ودّهم ويستنصرهم، فأرسل الأمراء والرؤساء الكتب التي جاءتهم من سلطان إلى ابن سمود فاستشاط غضباً وهم بطرد رسول سلطان لأنه رأى في الكتب التي كتبها لغيره ما يتنافى رغبته، ولكن والده الإمام عبد الرحمن أشار عليه بقول ما جاء من أجله، فجأوه ابن سمود وأعطاء ما أعطى سلفه على حابل وتوابعها وشمر ولم يقبل سلطاناً بذلك لأنه آنس ميل من بعض أهل القصيم إلى مخالفته، وبلغه ماعى فيصل الدويش ونايف بن بصيص واغراؤهما ابن مهنا على الخروج عن طاعة ابن سمود، وأوعده بمساعدتهما وشدهما أزره، ولكن ابن مهنا بقي متذبذباً ولم يتظاهر بشيء ضد ابن سمود على أن ذلك أبقى أثراً في نفسه وأذكاه وزينه محمد العوني الشاعر المشهور.

خرج ابن رشيد ونزل مع شمر في أول شهر الحج، ثم سار غازيًا وأغار على العواجي من عنزة وأخذه، فلما بلغ الأمر ابن سعود خرج من الرياض ونزل (المعز) غدير قرب الشقة في القصيم، ثم رحل وقصد شمر فانتذروا به وشردوا، فرجع ابن سعود ونزل مع مطير في الأسياح ودخل هو بنفسه بريدة.

عدى ابن رشيد وقصد مطير في الأسياح فقبضوا على بعض عيونه ورجع الآخرون وأبلغوا سلطانًا أن ابن سعود مع مطير، فرجع عنهم إلى بلاده.

أمر ابن سعود على أهل القصيم فخرجوا معه، وشذ فتزل العاقل، الموضع المعروف في القصيم، فما كان من ابن رشيد إلا أن أغار على أطراف القصيم من الشمال، وأخذ بعض أدبаш لأهل الشحية، فأطلبه ابن سعود ولكنه فاته، فأرسل ابن سعود إلى أهل الرشم وأهل سدبر يطلب غزوهم فجأؤوه، ثم رحل قاصدًا أطراف ابن رشيد، فلما وصل العمون بلنه أن ابن رشيد نزل العدو وشمر انتذروا وزيّنوا (سلمى) أحد الجبلين المشهورين.

وفاة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم

قاضي القصيم

وفي هذه السنة توفي الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، قاضي القصيم في بريدة، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة رحمه الله.

وفي شهر شوال من هذه السنة استعفى الشيخ إبراهيم بن جاسر عن قضاء عنيزة، فأعفى ويقت البلد نحو شهرين ليس فيها قاضي، ثم ألزموا

الشيخ صالح بن عثمان القاضي في منصب القضاء بعد أن كاد لا يجيب،
وعين الإمام عبد العزيز الشيخ صالح القرناس قاضياً في بريدة.

١٣٢٥ هـ

بوادر الخلاف بين أهل بريدة وابن سعود

تقدمت الإشارة إلى مساعي فيصل الدويش ونافذ بن بصيص
وإغرائهما ابن مهنا بمساعدتهما له إذا هو خرج عن طاعة ابن سعود،
وقلنا: إنه لم يبت في الأمر بالرغم من لحاح وزيره محمد العوني، الشاعر
المعروف، وكان أهل بريدة أو أكثرهم ناعمين على ابن سعود عمله في
صالح الحسن وجارحة خواطرم جدًّا، فلما حصلت المساعي المذكورة
ضد ابن سعود انقسم أهل بريدة قسمين:

الأول: الذين يفضلون بقاء الحالة الحاضرة على ما هي عليه
محتجين أن خروجهم على ابن سعود غير مشروع وأنه يثير فتناً ليست من
مصلحتهم.

والثاني: يزيد محمد العبد الله ويرى رأيه في الخروج على
ابن سعود ومخالفة ابن رشيد والاتفاق معه.

وحجة هؤلاء أن مصلحتهم مرتبطة مع ابن رشيد وشعر وباديتهم، لأن
ليس لهم تجارة إلا ما يصدرونه إلى سوريا من الإبل والغنم والسمن،
وليس لهم طريق إلا من بلاد ابن رشيد وعشائره.

الوجه الثاني: أن لهم مع شعر خاصة روابط ومنافع متبادلة مع أهل
بريدة وقراها عامة، وأنه قد انقطعت مصلحتهم وتوقفت تجارتهم وحصل
لهم أضرار من ذلك جسيمة بسبب وقوف التجارة مدة الأربع السنوات

الماضية، وذهبت رؤوس أموالهم من كثرة الضرائب التي توضع عليهم أثناء الحرب التي استمرت نحو أربع سنين، وكان ابن مهنا الأمير ضعيف الإرادة وليس هو على شيء من الدماء وقوة الإرادة، فتغلب عليه أهل هذا الرأي وحملوه على مفاوضة ابن رشيد، فكتب له بهذا الخصوص بالوقت الذي كان ابن سعود غازيًا على شمر الذي قدمنا ذكره، وفي رجوعه صادف رسول ابن مهنا إلى ابن رشيد فقبض عليه، وبعد ما عرف مضمون الكتب قتل الرسول وأقبل راجعًا.

وكان خبر أهل بريدة قد بلغ أمير عنيزة، فركب صالح الزامل إلى ابن سعود فوافاه، وقد وصل الشقة فسأل ابن سعود صالِحًا عن سبب قدومه، قال: جئت أسألك عما عزمت على عمله، قال: لم أفهم المقصود من هذا السؤال، قال: المقصود أن أهل بريدة وأميرهم علومهم ما هي طيبة، وبلغنا أنهم كتبوا إلى ابن رشيد بمفاوضته بالصلح ويستجلبونه، وجئت أخبرك خوفًا أن ترجع إلى بريدة، فأخرج ابن سعود الكتب التي وجدها مع رسول ابن مهنا لابن رشيد منه ومن جماعة، وعرضها على صالح.

فلما قرأها أرجعها لابن سعود قال ابن سليم والآن ماذا تريد أن تعمل؟ قال الإمام: لم أقرر شيئًا بعد وقصدي أواجه ابن مهنا لأرى ما عنده، أرخص ابن سعود لمن معه من البوادي يرجعون إلى أهلهم وأظهر أنه يريد الرجوع إلى الرياض، وأسر لمحمد بن هندي رئيس برق من عنيزة أن يتزل وجماعة الجعلة، وأما مطير فقد رجعوا إلى أهلهم معلنين أن ابن سعود انكف إلى الرياض، وكان ابن سعود يريد إبعاد مطير عنه خوفًا أن ينفذوا به، لأنه يريد غزوا الدويش.

ركب ابن سعود وقصد بريدة ودخلها وليس معه إلا بعض حاشية فوجد القصر مقفلاً، فخرج الباب فسأل من أنت؟ قال: أنا ابن سعود، فلم يسعهم إلا أن يفتحوا له لأنهم حتى الآن لم يتظاهروا بالعداء، وكان معه صالح الزامل، فقال ابن سعود لابن مهنا: ما هذا الأمر الذي سمعته وما هو الأمر الذي أوجب ذلك، قال ابن مهنا وأي أمر تعني، فإني لم أفهم معنى ذلك قال بل فهمت ولكنك تتجاهل ولكن اصدقني الخبر قال ليس عندي علم بشيء ولا شك أن الذي بلغك كله افتراء من الأعداء.

وكان ابن سعود يرغب في لغة الأمور ولا يريد إخراجهم خوفاً من انتفاص عام، ولم يبد عليه ما يدل على أنه واقف على ما دار بينهم وبين ابن رشيد، وظنوا أنه إنما بلغه إشاعات بادروا إلى تكذيبها، فتظاهر ابن سعود بتصديقهم، وقال لابن مهنا: إذا كان الأمر كما تقول فقم جدد العهد وعاهدني، فعاهده ابن مهنا على السمع والطاعة، وأنه عدو لعدوه وصديق لصديقه، وزيادة للتأكيد أخذ ابن مهنا السيف وجعله على عنق نفسه، وقال: إذا خنتك فأرجو أن تقتلني بسيفي هذا، فقبل منه ابن سعود وخرج من بريدة والتحق بمعسكره، وانضم إليه قبيلة يرقا والروق.

وقعة المجمععة

سار ابن سعود يقصد رأس الفتنة فيصل الدويش، وكان نازلاً في سدير فانتذر به ورحل، ونزل المجمععة وكانت لم تزل على ولائها مع ابن رشيد، ولكن ابن سعود لم يقصد الدويش لأجل الطمع، وإنما أراد الانتقام فيه لخيانته مع ابن مهنا وابن رشيد، لهذا صتم على مطاردته ولم يكن معه يومئذ من البادية إلا قبيلة عتيبة، وأحب أن يخبرهم قبل أن يقدم

على مهاجمة العدو، فأرسل إلى محمد بن هندي وأخبره أن الدويش انتذر بنا وتزل المجمعة، وأنه ربما يتحصن فيها قال ابن حميد: أمشي وتوكل على الله.

وكان مع الدويش جميع علوي وبعض من بويه اشتد ساعد ابن سعود، ولما أصبح أغار على الدويش ومن معه وحصل بينهم قتال شديد، أبلى فيها الطرفان بلاءً حسناً، فساعد أهل المجمعة الدويش وأمدوه، استمر القتال على أشده إلى الظهر ثم انبزم الدويش ومن معه، وقتل منهم عدد كثير منهم سبعة من الدوشان، أصيب فيصل الدويش إصابةً بليغة، أصابه ^(١) فاختر بن شليويح الروقي، طعنه عدة طعنات في الرمح في مجاورة الخيل وطرده حتى دخل بيته.

واستولى ابن سعود على جميع حلالهم ويوتنيم بما فيها، ولم يسلم لهم إلا التزر اليسير جداً، وقتل من أهل المجمعة عدة قتلى، فخرج أهل المجمعة إلى ابن سعود ورجوا منه أن يتوسع عن البلاد لتلا تضر الجنود بأهل البلاد فأجابهم وانتزع عنهم قليلاً، وأرجع إلى أهل البلاد ما كان قد أخذ منهم ثم جاء الدويش إلى ابن سعود واسترضاه فرضي وعفى عنه وأعطى الدوشان على أربع وخمس من الإبل يرتحلون عليها، ثم رحل عبد العزيز ونزل شقراء، ثم رجع إلى الرياض في أواخر ربيع الثاني.

افتقاضي أهل بريدة

تقدم الكلام على ظهور بواذر الخلاف من أهل بريدة وذكرنا ما كان من اجتماع ابن سعود وابن مينا، وإنكار هذا ما نسب إليه ومعاذته إياه من جديد تأكيداً لابن سعود بعدم صحة ما نسب إليه، ولكن الحقيقة غير

هذا فقد كانوا مصممين على الانتفاض، ولكنهم أرادوا اكتساب الوقت إلى أن يكمل استعدادهم، فأخذت الرسل تردد بينهم فأحكموا الرابطة مع ابن رشيد وأرسلوا قافلة بإسم التجارة إلى الكويت، فتزودوا من الكويت ما ينقصهم من السلاح والذخيرة تحت سمع ابن صباح وبصره، ويقال إنه هو الذي أحكم الأمر بينهم وبين ابن رشيد لأنه قد أصلح هو الآخر مع ابن رشيد، فخرجت القافلة من الكويت ليس معها غير أحمال السلاح والذخيرة، فوصلت بريدة في أواخر شهر ربيع الثاني حيث أعلنوا انضمامهم واتفاقهم مع ابن رشيد ضد ابن سعود وكتبوا إلى ابن رشيد يستدعونه ليشهد به مساعدتهم على انضمام أهل القصيم إليهم.

بلغ الخبر عبد العزيز بن سليم أمير عنيزة فأرسل يحيى العلي السليم وبعض أعيان أهل عنيزة ليتحققوا صحة الخبر فلما وصلوا بريدة ثبت عندهم ذلك، وأراد يحيى مفاوضتهم وإتباعهم بخطأ رأيهم فوجدتهم مصممين على الحرب فرجع وأخبر الأمير بذلك معه.

محاولة أهل بريدة جذب

أهل عنيزة لجانبهم وفشلهم

وبعد ثلاثة أيام أرسل ابن مهنا ابن عمه محمد العلي ومعه ابن جبروع لمفاوضة ابن سليم أمير عنيزة للدخول فيما دخلوا فيه، وأن تكون يدهم واحدة، فتفاوضوا مع الأمير بهذا الخصوص.

فقال لهم: أولاً أخبرونا بالأمر الذي حملكم على هذا قالوا: الأسباب التي حملتنا كثيرة.

منها أننا صايرين طعمة للحكام من تولانا منهم وطأننا واذهبونا بكثرة

الخصاير وسوق الرجال للحرب، فالغرم علينا والغنم لهم وإذا اتحدنا على حال أنفسنا ومنعنا أنفسنا عن الطرفين أعز لنا عند الجميع، وكل ياتق على حدة وتشتق الذين منا.

قال ابن سليم: لكن أنتم الآن ما اتحدتوا على أنفسكم إنما صرتوا تبعاً لابن رشيد قالوا: لستنا تبعاً لأحد وإنما أصلحنا مع ابن رشيد على شروط منها: أنه ليس له مدخل في أمورنا وبلداننا، وإنما له علينا المساعدة ولنا عليه مثل ذلك فيما لو اعتدى ابن سعود على أحد الطرفين، ولهذا جئنا نعرض عليكم أمرين:

إما أن تدخلوا معنا فيما اتفقنا عليه نحن وابن رشيد، والأمر الثاني إذا ما ترغبون الاتفاق مع ابن رشيد فيكون الاتفاق بيننا وبينكم وننتهي ابن رشيد وابن سعود ولا يكون لأحد منهما سلطة علينا، فإن نفوسنا قد سبغت أعمالهم فينا.

قال ابن سليم: متى تكونت هذه الفكرة عندكم؟ وابن سعود متى رايح من عندكم بعد أن أعطيتوه عبيد الله وموابيته على السمع والطاعة، وإن عدوه عدوكم وصديقه صديقكم، ولم يمض علي ذلك إلا مدة قليلة، فهل جاءكم من بعد هذه المعاهدة أمر يوجب نقض البيعة؟ فإن كان قد جاءكم منه شيء فبينوه حتى نعلمكم.

قالوا: ما جاءنا فيه شيء لكن من قبضه على صالح الحسن وإخوانه والوحشة واقعة بيننا وبينه.

قال ابن سليم مسألة صالح الحسن أنتم الذي حملتوه عليه وقد صارحكم بذلك، قالوا: ما حملناه ولا رفيقنا بذلك لكن ما نقدر نكذبه.

قال ابن سليم إذا فرضنا أنكم ما رضيتوا، أستم تعلمون أن صالحًا قد حاول الاتفاق مع المشير ضد ابن سعود وضدنا، وأراد أن يحتمي بالدولة ولما لم يفلح اتفق وابن رشيد بواسطة ابن صباح وأراد أن يطمعن ابن سعود من ظهره بأشد الأوقات حربًا لولا أن الله لطف بالمسلمين بذهاب ابن رشيد.

قال أبا الخيل: كل هذه الأقوال غير صحيحة ولكنهم أرادوا تشويه سمعة صالح لتبرير أعمالهم، نعم لا نكر أنه يوجد من أراد أن يحمل صالحًا على مصالحة ابن رشيد ولكنه رفض ذلك رفضًا باتًا، وقال: إن بيننا وبين ابن سعود هيود وموائيق على يد ابن صباح، ولا يمكن أن نحيد عنها ما استقام عليها.

قال ابن سليم: إذا سلطنا بما تقولون من هذه الناحية يبقى علينا أن ننظر إلى المصلحة وننظر بين أعمال ابن سعود وأعمال ابن رشيد إزاء أهل القصيم بالماضي والمستقبل، فهل نسيتم أعمال ابن رشيد بعد وقعة الصريف التي لا زالت ماثلة أمام أعينكم من قتل الرجال صبرًا وسبي الأموال واستذلال الأشراف.

فيل عمل معكم ابن سعود شيء من ذلك فاتفقوا الله يا محمد العلي وارجعوا إلى صوابكم لا تكونوا سبيًا لإشغال نار الفتنة بين المسلمين بعد أن أطفأها الله واستراحوا منها تردونها جذعة بدون مبرر.

قال أبا الخيل: وأي مبرر أكبر من هذا، فإذا كان ابن رشيد أجرى ما ذكرتم فقد أجرى ابن سعود أكبر من ذلك فابن رشيد من سنة المليدا إلى اليوم لم يخرج معه منا غير غزو العادة السنوي.

وأما ابن سعود فقد حارب بأموالنا ورجالنا أكثر من ثلاث سنوات ولم يكفه ذلك منا بل الضريبة تلو الضريبة، بحيث لا يمر ثلاثة أشهر إلا ويطلب منا ما لا نستطيع، كأنه يقول: إنما أحارب ابن رشيد دفاعاً عنكم فإذا لم تسلموا فأنا لا أستطيع أحارب ابن رشيد، وشأنكم وأنفسكم، وشواهد ذلك ما هي بعيدة حتى نذكركم إياها، بل هي قريبة تعرفونها.

وتعرفون أيضاً أنه مدة الحرب الذي وقع بينه وبين ابن رشيد كل نفقات الحرب والتجنيد كله من القصيم، وقد تحملنا ذلك على حسب أنه يدافع عنا ويساعدنا على عدونا وعدوه، ولكن لما قتل ابن رشيد وظن أن نجداً قد صفت له لم يمض شهر واحد حتى ظهرت نواياه فينا، وقبض على صالح الحسن وإخوته وسجنهم في الرياض ولا يعد ذلك إلا يقبض على الباقيين ويضم القصيم ويجعل عندنا عبد من عبيده يتحكم بنا.

قال ابن سليم: وهل تؤملون أن ابن رشيد يحارب ابن سعود لأجلكم لوجه الله ويترك لكم القصيم؟ قالوا: لا، ولكنه سيكون أخف علينا وطأة من ابن سعود ويرضى منا بالمحافضة والمساعدة عند اللزوم.

قال ابن سليم: يا محمد العلي هذه كلها تصورات وأوهام فلا يفرم بفرجة ابن رشيد وأوعاده، فهو الآن ضعيف يبي عطبك على ما تريدون ليستعين بكم وبأموالكم على ابن سعود، فإن فشل وإذا هو ما خسر شيء. وإن نجح لا قدر الله ذلك فسترون منه ما لا يخطر لكم على بال، انظر إلى أعمالهم معكم من مبادئ الأمور إلى نهايتها، وانظروا الأعمال والمساعدات التي قدمها حسن المهنا إلى محمد بن رشيد حينما تحالف وإياه وساعده على تقويض أركان حكومة آل سعود فماذا كانت النتيجة؟

كانت نهايتها الحرب الذي تعلمونها والقبض على حسن وأولاده وزجهم في السجن حتى مات فيه.

وأما قولكم نقف معكم ضد ابن رشيد وابن سعود، فهذا أمر غير معقول فهل في استطاعة أهل القصيم أن يثقفوا موقف العداء للإمارتين المجاورتين، ابن سعود من الجنوب، وابن رشيد من الشمال، وكل واحدة منهما أقوى من القصيم بما لديها من القوات وما يتبعها من العشائر.

فلا ابن سعود يتركهم ولا ابن رشيد يتركهم هذه أمور لم تتدبروا عواقبها، ولكن حب النصيحة والمحبة نبدي لكم رأينا.

وهو أن لا تتعجلوا الأمور قبل أن تتدبروا عواقبها، ولا تفتحوا باب الشر على أنفسكم وعلى ضعفاء أهل القصيم، فإن ابن رشيد قد أيس منكم، ولكن أنتم الذين أطمعتموه بأنفسكم، وابن سعود الآن ما عنده لكم إلا الزين، فإن كان قصدكم الوحشة التي وقعت بينكم فأنا أتعهد لكم بإزالتها من خاطره، وإن كان في خواطركم مطالب فأنا أعرضها عليه نيابة عنكم، وأزمل أن يجيئكم إلى ما تريدون بشرط أن تعطوني عهود بالله أن تنفون ابن رشيد وتقطعون ما بينكم وبينه، وإن أجبتكم أن يكون الأمر بينكم وبين ابن سعود فترسلون وفد من قبلكم لعرض مطالبكم وأتعهد لكم أن أركب معه أنا وابن سليم وأساعده على حصول كل أمر يوافق لكم من ابن سعود، فإن وافقتم على ذلك فأنا مستعد لمساعدتكم بكل ما تريدون وإن أبيتم إلا المضي فيما اعتزمتوا عليه فنحن لا نوافقكم عليه.

هذا آخر ما عندنا لكم من النصيحة، ولكم أن تختاروا إحدى الحالين وتخبرونا إلى مدة ثلاثة أيام، فإذا لم يأت منكم خبر بهذه المدة

فنحن نضطر إلى رفع الأمر إلى ابن سعود ونخبره بحقيقة الواقع .

قال محمد العلي: نحن نعرض الأمر على الأمير والجماعة، ونخبركم بما يفتضي نظرهم، فرجع وقد أهل بريدة ومضت الأيام ولم يجاوبوا، فكتب ابن سليم إلى الإمام عبد العزيز يخبره بما وقع بينهم وشرح له حقيقة الأمر وبين له مطالب أهل بريدة، وكان الإمام راغب في تلافي الأمور وتسكين بوادر الفتنة، فكتب إلى ابن سليم يقول: إن ابن مهنا وأهل بريدة مشتهين الفتنة شئوة وإلّا ما جاءهم منا أمر يوجب ذلك، بالحاضر الأمر الذي تبونه منا لهم نحن مفوضينكم فيه وأعطيكُم عيد الله وميثاقه أن أتمم لهم الأمر الذي تعطونهم عليه.

فلما وصل كتاب ابن سعود لابن سليم كتب إلى ابن مهنا وجماعته وأرسل لهم خط ابن سعود وقال لهم: هذا جواب ابن سعود وفيه قبول مطالبكم التي تزعمون أنها هي التي حملتكم على هذا الأمر، فإن كان هي المطلب فقد أدركتموها وإن كان المقصد أمور ثانية وشئوة للحرب فهذا آخر عذرنا معكم، ولكن أهل بريدة قد صمموا وجرت المراجعات بينهم وبين ابن رشيد ثانية، وتم الاتفاق بينهم على أن ينزل القصيم، وأخبروه أن أهل القصيم كلهم وافقونا ما عدى أهل عنيزة، فهم لم يزالوا مترددين، ونؤمل أن ندركهم إذا أنت رحلت ونزلت القصيم.

فكتب لهم ابن رشيد يؤمليهم وأرسل حملة إلى العراق لجلب أطعمة . فتعلقهم خلق كثير من الحضر والبدر فبلغ عدد الحملة نحو ألفين وخمسمائة جمل، فلما خرجوا من العراق عارضهم ابن ضويحي ومعه أربعمئة هجان من الظفير، فلما أقبل عليهم هاله كثرتهم فنكس عنهم

وسبقهم، ورصد لهم على الشبكة الماء المعروف بطريق الحراق من حائل، ولما قربت الحملة من الماء رأوا أنه لا يكفيهم مجتمعين، فانقسموا قسمين: الحضر على حديثهم، والبدو على حديثهم.

فتقدم البدو إلى الماء حتى إذا فرغوا منه تبعهم الحضر، فلما وردوا الماء وجدوا ابن ضويحي نازلاً عليه، فأغار عليهم وأخذهم، فأقيل الحضر الذين تخلفوا ولم يعلموا بما صار على من قلوبهم، فثلاثاهم ابن ضويحي فقاتلوه ودافعوا دفاعاً شديداً، ولكنه تمكن منهم وأخذ ما يقارب من نصف الحملة.

ومن أعجب الأمور وأغربها أن يقوم ابن صباح مقام المحامي عن حقوق ابن رشيد فقد كتب إلى ابن سعود إذا لم تردوا أموال ابن رشيد التي نهبها ابن ضويحي فإني سأعلن الحرب عليك.

كثيرة هي غرائب مبارك ولكن لا أظن أن فيها على كثرتها أشد غرابة من هذه فابن رشيد، لما وصل إليه فلول حملته خرج غازياً وأغار على عتية وهم على سبيل^① وعفيف الماءان المعروفان بطريق الحجاز، وأخذ عليهم بعض الحلال، وفي رجوعه أراد أن يتزل الشعب الماء المعروف في عالية نجد ليشرب منه، وكان على ضماً توجد فيه فريقاً من عتية، فأغاروا عليهم غيل ابن رشيد وهزموها، ثم هجم عليهم بخيله وجيشه فصمدوا له واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه رجال من الطرفين وصدروا عن الماء، فانسحب ونزل ماء قريباً من الشعب، ثم رحل منه ونزل الكعشة.

أما أهل بريدة فقد استعطأوا قدوم ابن رشيد، وخافوا أن يصل ابن سعود إلى القصيم قبل مجيء ابن رشيد، فأرسلوا سليمان بن عيسى

الطمل أحد وجهاتهم إلى ابن سليم أمير عنيزة يطلبون منه أن يتوسط بينهم وبين ابن سعود بالصلح، وما كاد رسولهم يصل عنيزة حتى أرسلوا إليه يأمرونه بالرجوع عن ذلك، لأنه بلغهم وصول ابن رشيد الكهنة قادمًا إليهم.

فأرسل أمير عنيزة ابن سليم محمد المرزوقي إلى ابن سعود يخبره بإقبال ابن رشيد، وأنه على شك الوصول، ويستحثونه على المجيء قبل أن يتمكن ابن رشيد في القصيم، ويتابعه أهل القرى. ولكن ابن سعود تباطأ في المجيء.

وصل ابن رشيد في ٨ رجب ونزل أغشى، موضع معروف بوسط القصيم، وأقام فيه أيامًا، ثم رحل ونزل الشنة، قرية تبعد عن بريدة نحو ساعتين شمالًا، وأقام فيها خمسة عشر يومًا، ثم رحل ونزل الهلالية، إحدى قرى القصيم، وأقام فيها نحو خمسة عشر يومًا، فركب إليه وفود أهل الخبر وأهل البدائع وأصلحوه.

أما أهل البكيرية فقد كانوا قسین: ابن عمير، والرواجح وأتباعهما.

أما ابن عمير، فقد ركب لابن رشيد وأصلح معه؛ وأما الرواجح، فقد أبرأ وحصنوا محلّتهم.

فأرسل لهم ابن مهنا سرية هاجمت الرواجح بمساعدة ابن عمير وجماعته، فتغلّبوا عليهم وقتلوا بعض الرواجح، واننزم باقيهم إلى عنيزة. وتابعه ابن رشيد بقية بلدان القصيم وقراه الشمالية.

وهذا الذي تخوّف منه أهل عنيزة عندما كتبوا إلى ابن سعود

ويستحثونه على المجيء، ولكن ابن مسعود تأخر أكثر من شهر ونصف بعد وصول ابن رشيد إلى القصيم، فاضطروا إلى متابعتها، ولم يبق إلا أهل عنيزة أخذوا يستعدون خوفاً من مفاجأة ابن رشيد قبل وصول ابن مسعود، ولكن ابن رشيد لم يقطع الأمل منهم وأراد أن يستميلهم، فأمر ابن مهنا أن يرسل وفداً من جماعته يرأسهم أحد رجال ابن رشيد لمفاوضة أهل عنيزة لعلهم يدخلون فيما دخل فيه أهل القصيم.

سار الوفد إلى عنيزة بدون علم من الأمير ابن سليم، فلما دخل الوفد من باب السور الشرقي الخارجي (باب الغرفانية) الذي يبعد عن البلد نحو نصف ساعة، سبقتهم رسول حارس الباب للأمير فأخبره بقدوم أهل بريدة ومعهم رجال ابن رشيد، فأمر بالحال بعض من خذامه أن يستقبلوهم ويرجعونهم من المحل الذي يجدونهم فيه، ولا يرجعون عنهم إلا من بعد أن يجتازوا الوادي، فإن مانعوا فأرجعهم في القوة ولو باستعمال السلاح، فراحوا يثذون الأمر فوافقتهم وقد أقبلوا على البلد، فأمرهم بالرجوع فمانعوا وأرادوا إقناع الخدام بوجوب مواجهتهم للأمير، فأبوا إلا أن يرجعهم، فطلبوا أن يسمح لواحد منهم بمواجهة الأمير فرفضوا، فأخذ الخدام يسوقون ركائبهم بالرغم منهم، وقد اجتمع عليهم غوغاء من أهل البلد ومن الصبيان فأخذوا يرمونهم بالحجارة، وأصيب بعضهم بإصابات مختلفة ودعهم الخونة، ولولا أن الخدام حالوا دونهم ودون الوفد، وفرقهم لأنفخهم، امتنعوا عن رمي الحجارة، ولكنهم لم يمتنعوا من رمي قوارص الكلام الذي هو أشد من الحجارة، رجع الوفد بأسوأ الحالات عندئذ يش ابن رشيد من أهل عنيزة.

وكذلك أهل عنيزة عقدوا النية على الحرب والدفاع، فأرسلوا رسولا

إلى ابن سعود يبلغونه بما وصلت إليه الحالة، وأنهم يتوقعون هجوم ابن رشيد وأهل بريدة في كل لحظة، خرج عبد العزيز من الرياض ومعه غزوا الجنوب ونزل عريف بيان، وأرسل أخاه محمد إلى عتيبة، فأقبل بهم ونزل الدواومي، القرية المعروفة بعالية نجد.

وفي هذه الأثناء وصل عبد العزيز الحسن راعي طريف رسول من ابن صباح ظاهر أمره الصلح بين أهل بريدة وابن سعود، وباطن أمره أنه واسطة لعقد الروابط بين ابن رشيد وأهل بريدة، لأن ابن صباح هو أول من سمى باتفاق أهل بريدة وابن رشيد بعد أن أصلح هو مع ابن رشيد، لأنه خشي من عواقب امتداد نفوذ ابن سعود، وأخذ يسعى لإضعافه والتأليب عليه لجعله دائماً في حاجة إليه، وهذه هي سياسته منذ أن مات الشيخ يوسف بن إبراهيم عدوه اللدود الذي استخدم ابن سعود للقضاء عليه، وعلى من ساعده، فلما قضى إربه انقلب ظيئراً لبطن يظن أنه بمجرد رفع يده عن ابن سعود ومساعدة خصومه يبلغ إربه في إضعاف ابن سعود.

رجع عبد العزيز الحسن من بعد قضاء مهمته في بريدة إلى عتيبة، فسأله صالح الزامل عن نتيجة مسعاه عند ابن مينا، فحنى عنه الحقيقة، وقال: ما وجدت هندهم جواب ثابت ولم يستقر أمرهم على شيء، ثم رجع إلى الكويت. تقدم ابن سعود إلى التقسيم ونزل السر وانضم إليه أخوه محمد ومعه عتيبة، ولما بلغ ابن رشيد نزول ابن سعود السر رحل ونزل الشبيحة، ثم رحل منها ونزل المتينات، قرب بريدة تبعد عنها ساعة واحدة، وأرسل إلى فيصل الدويش ونأيف بن بصيص فأنوه ونزل العلانية.

وقعة الطرفية

رحل ابن سعود ونزل عنيزة في ١٥ شعبان وأقام فيها يوماً واحداً، ثم رحل منها قاصداً ابن رشيد على المتنبات وانضم إليه من أهل عنيزة نحو الثمانمائة على أربعمائة ذلول، أميرهم صالح الزامل، وكان ابن رشيد قد رحل ونزل بريدة وأرسل إلى فيصل الدويش ونايف بن هذال بن بصيص يستدعيهما، فأقبلا في جريدة خيل وجيش.

فأغار خيل ابن سعود على أطراف بريدة ولما لم يظهر له أحد منهم عدل عنهم وقصد الدويش على الطرفية، فصادفه بالطريق آتياً لنجدة ابن رشيد وابن مهنا، فأغار عليه وأخذه وانهمز فلولهم إلى الطرفية، فتبعهم ابن سعود وأغار على الحي في نزلهم وأخذهم، ونزل بالطرفية فأنهمز فلول مطير ودخلوا بريدة، جرى ذلك وابن رشيد قابع في بريدة.

عقد العزم ابن رشيد وأهل بريدة أن يأتوا ابن سعود على غرة ويهاجموه ليلاً، لأن جنود ابن سعود قد أصابهم التعب والإعياء من بعد طول سيرهم ذلك اليوم ومطاردتهم الدويش.

وكان ابن سعود قد كتب به فرسه ذلك اليوم فكسر عظم من كتفه اليسرى وأغمي عليه، رأى ابن رشيد أن هذه الأسباب مشجعة له على الهجوم فرتب أمره استعداداً لذلك.

فلما كان أول الليل رتب ابن سعود الحرس خوفاً من الهجوم، ولكن الحرس قد أصابه ما أصاب الجنود من التعب فناموا، خرج ابن رشيد وأهل بريدة في أول الليل قاصدين الهجوم على ابن سعود وسلخوا غير الطريق المعروف ليأتوا من طريق مخالف لما يظن أنهم يسلكونه، وفي

الساعة الثامنة من الليل عندما قاربوا منزل ابن سعود عيسى ابن رشيد جنوده فجعل البادية على حده، والحضر على حده، ورتب لكل منهما خطة.

تقدموا هادئين لباغتوا ابن سعود وجنوده وهم نيام، فهجمت البادية من ناحية وهجم ابن رشيد وأهل بريدة من الناحية الأخرى، أطلقت البنادق فانتبه عسكر ابن سعود مذعورًا لهذه المفاجأة ولكنهم صمدوا لهم، والشحم القتال واستمر إلى الفجر فانهزمت بادية ابن سعود في أول الأمر، وثبت الحضر من جيش ابن سعود، واشتد القتال واختلط الغريشان وصار القتال بالسلاح الأبيض، فلما أسفر الفجر انهزم أهل بريدة وابن رشيد فتبعهم ابن سعود حتى دخلوا البلد وبلغ القتلى من الغريقين نحو المائتين أو يزيدون.

رحل ابن سعود ونزل الزرقا وأرخص لجنوده من أطراف بريدة فعاثوا في القرى التي ساعدت ابن رشيد ونهبوا ثمار النخيل التي كانت قد أينعت، فركب أهل القرى وطاحوا على ابن سعود، وطلبوا العفو فعفى عنهم ومنع جنوده التعرض إليهم.

أما ابن رشيد فقد انهزم ومعه قسم قليل من أهل حایل، ولم يدخل بريدة، وأما أخوه فيصل فقد دخل بريدة ليشجع أهلها، وأما سلطان قصد حایل، ولكنه وَجَدَ برغش ابن طوالة في العيون، إحدى قرى القصيم الشمالية، ونزل عنده، واستشاره فيماذا يفعل. قال ابن طوالة: ما يليق بك أن تترك أهل حایل في بريدة تحت رحمة ابن سعود، قال: إني تركت عندهم أخي فيصل وسأذهب إلى حایل لأستعد وأرجع إليهم.

قال ابن طوالة: هذا ما هو رأي. الرأي أن ترسل من يكشف خبر ابن

سعود إن كان هو رجع إلى بريدة، فنحن نرجع إليهم ونسندهم، وإن كان ابن سعود رحل عنها فنحن نرحل إلى بلادنا فحتمي بها، فأرسلوا من يكشف لهم الخير، وكان ابن سعود يومئذ بأطراف بريدة فأخبرهم الرسول بذلك، فرجعوا ودخلوا بريدة ليلاً فتشجع أهل البلد بمجيئهم، فلما بلغ ابن سعود خبر دخول ابن رشيد إلى بريدة رحل ونزل بموضع يبعد عن البلد نحو ساعة فخرج إليه ابن رشيد وأهل بريدة، وحصل بينهم قتال قتل فيه من أهل بريدة نحو عشرين رجلاً، ثم انهزموا ودخلوا البلد واحتصروا فيها.

ثم رحل ابن سعود آخر يوم من شعبان ونزل عنيزة، وأقام فيها يوماً واحداً، ثم رحل ونزل البكيرية وأقام فيها خمسة عشر يوماً بترصد إلى سلطان بن رشيد لعله يخرج من بريدة فلم يخرج.

فرحل ابن سعود من البكيرية ونزل الرس، فخرج ابن رشيد من بريدة وقد ترك فيها أخاه فيصلاً ومعه أهل ثلاثين ذلولاً وعشرين خيلاً ليكون عوناً لابن ميناء إلى أن يستعد ويرجع إليهم.

ولكن ابن رشيد بقي في حائل ولم يرجع إلى بريدة، واختلف فيصل وابن مهنا فعاد إلى الجبل واجتمع بأخيه فأغضبه رجوعه، فأرسله إلى الجوف بمهمة وما قصده إلا إبعاده رضي فيصل بمتصبه الجديد وأقام في الجوف.

أما ابن سعود فقد رحل من الرس ونزل قرب سواج، الجبل المعروف بطريق الحجاز، وأرسل من يستكشف له منازل مطير، فرجع الرسول وأخبره أن الدويش نزل القرعا، ماء بمتصف الطريق بين النصيم

والكويث. وأما بربه فهم نازلين قبة الماء المعروف بفسح عروق الأسباح من الشرق، فقصدهم ابن سعود فانتفدروا به وارتحلوا من موضعهم قاصدين بلاد ابن رشيد، ونزلوا قصبًا فتبعهم ابن سعود فرحلوا ونزلوا الكيفة، وهو على أثرهم فارتحلوا ونزلوا سلمى، أحد جبلي طيء، فرجع ابن سعود ولم يدرك منهم مرقًا، فنزل سقف ماء من أمواه الجبل، وكان قريبًا منه قبائل من حرب، فأغار عليهم وملا أيديه من أمواليهم، ثم رجع ودخل الرياض في أوائل شهر شوال.

دخل ابن رشيد بلاده ودخل ابن سعود بلاده وحالة أهل القصيم على ما هي عليه، فاشتبك القتال بين أهل عنيزة وأهل بريدة فبدأ أهل بريدة يشنون الغارات على الوادي وأطراف عنيزة، فقابلهم أهل عنيزة بالدفاع، ولم يحدث بينهم وقائع مهمة إلا ما كان من الإغارات المتقطعة، فلما استحکم الأمر أرسل ابن سليم لابن مينا يقول: رجع الأمر بيننا وبينكم ولا زلنا متخذين خطة الدفاع، ومانعين أتباعنا من الاعتداء على أطرافكم خوفًا من أضرار تقع على ضعفاء القصيم فيكونوا ضحية طيش الجيل من الطرفين، فإنا أن تمنعوا أتباعكم، وإلا سطر إلى مقابلتكم بالمثل فلم يرعو ابن مينا، بل سار على خطته العدائية، وجيَّز سرية من أهل بريدة ومن بعض القرى التابعة لها، وهاجموا البكيرية وكان ابن سعود قد نصب فيها عبد الله الراجحي وقتلوه واثنين من جمولته، وهرب الباقيون وزين بعضهم عنيزة، وبعضهم سار إلى ابن سعود، وبما أن البكيرية تبغ إمارة بريدة، فقد استرجعها ابن مينا في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢٥هـ.

حوادث سنة ١٣٢٨هـ

بأواخر سنة ١٣٢٨هـ كانت حذرة قافلة، لأهل عنيزة خارجة من الكويت، مشدودها - أي حمول البضائع التي معهم - قريب خمسمائة حمل، وعدد رجالها مائة وأربعون رجلاً، منهم ٤٥ رجلاً فقط مسلحين بالبنادق، وكبار رجال هذه القافلة صالح العبد العزيز السحيمي، وعبد الله الحمد القاضي، وسليمان العلي الغماس، وغيرهم من الجماعة، فالتقوا بغزو من شمر عدد رجالهم قريب مائة وخمسون رجلاً، عقيدهم عمش الفريز، ومعهم غزو من قبيلة مطير على ^(١) عفيرين: أحدهما الحميداني، والآخر الشور، ومطير آنذاك مُعادين لابن سعود ورعاياه التتوا يوم بمقطع الدهناء من الغرب، قرب الأرطارية قبل أن تُسكن، أي يوم كانت مورداً للبادية والقوافل.

وكان مع أهل عنيزة رفق عن شمر هو راشد بن فييد العديم شمري، فلما تراءت الفئتان أناخ كل منهما بمكانه، وخرج الرفق الشمري وقصد الغزو وقتها، منهم قال: هذول - أي هؤلاء - أهل عنيزة، وهم في وجهي، فلم يلتفتوا له ولم يعبؤوا به طامعين بأموال القافلة، فرجع إلى رجال القافلة وأخبرهم بما رآه عليه رجال الغزو، وصاح يستحثهم على الدفاع والمقاومة، فأمره أن يرجع ثانية ويقول لعقيد القوم عَمَشَ الفريد أن أهل عنيزة مستعدين أن يعطوهم عشرة حمول رز، أي عشرون كيساً، وكيسين سكر، وكيسين قهوة، وربطة عبي، وربطة خام، فرجع إليهم وعرض عليهم ذلك، فصاروا يستهزؤون به، ويقول عمش: والله يا منطباتهم هذه - أي حمولتهم - أن يخرج عليها لسوق حايل فلما تبين للجماعة أن شمر طامعين فيهم، وأنهم لم يعبؤوا بوجه الرفق حسبما هو

(١) عفيرين

جار بقوانين البدو أن الرفق يرفق - أي بحمي - خوياه عن جميع قبيلته
لما تبين لهم ذلك استعانوا بالله ورفضوا راية الحرب، حملها حمد القطعي
وصاروا يغنون غناء الحماس.

أما المطران فقد أرسلوا إلى الجماعة أهل عنيزة وبلغوهم أنهم
سيحتلون عن شمر، وقالوا: كونوا آمين منا، وشجعوهم على مقاومة
شمر، فجاؤوا الشامرة مغيرين هاجمين، وكان الجماعة قد استعدوا
لمقابلتهم وجعلوا حولهم متاريس لهم، فلما قرب منهم المهاجمون
أطلق عليهم نيران بنادقهم فقتلوا من رجالهم ومن ركانبهم، فرجع
المهاجمون متشتين، ثم أعادوا الكرة وهجموا ثانية فقابلوهم أهل عنيزة
بنار حامية من بنادقهم وحمي وطيس المعركة، إلا أن البدو لم يثبتوا لما
رأوا كثرة القتل فيهم، وفي ركانبهم، فثروا هاربين لا يلون على شيء
وقد أعذروا وعلموا أن لا طمع لهم بهذه القافلة، وكانت المعركة بعد
الظهر، وكان السماء متلبدة بالغيوم وبثلك الساعة حطل عليهم مطر غزير،
حجب رؤية بعضهم البعض، وبعد أن أفلعت السماء، وقف المطر، وإذا
هم لا يرون للبدو أثرا، حيث إنهم استمروا بيزيمتهم طامعين بالسلامة،
بقوا الجماعة متحصرين ومأنوسين، وبقوا ليلتهم يغنون أغاني النصر وخشية
من أن يعود البدو لمهاجمتهم ليلاً، وقد ذهبوا من ركانب البدو التي
وجودها محل المعركة، ويقدر أن قتل البدو قريب ثلاثين رجلاً، ومثلهم
جرحاً ومن ركانبهم التي ذهبت والتي أصيبت بالكسور قدر خمسين
ذلولاً، أما المطران فقد أتوا إلى الجماعة في صباح اليوم الثاني فشكروا
لهم الجماعة حياتهم وأكرمهم بشيء أعطوه لهم ولم يفقد من الجماعة
أحد والله الحمد.

خُرُوت هذه عن إملاء صالح السحيبي أحد رجال القافلة مع بعض
النصرف.

١٣٢٦هـ

غدر ابن رشيد في أهل بريدة

دخلت هذه السنة والحالة كما أسلفنا ذكره، ابن سعود وابن رشيد
في بلدانهم، وأهل بريدة لم يزالوا مواليين لابن رشيد، والحالة بينهم وبين
أهل عنيزة على ما هي عليه والمتاوشات بينهم يومياً، ولم يزل أهل بريدة
معلقين آمالهم برجوع ابن رشيد، ولكن ابن رشيد كافأهم مكافأة جميلة.

فقد كان تجار الإبل الذين يجلبون على الشام من أهل بريدة قد
وضعوا إبلهم في ديار ابن رشيد مع بواديه، لكن إذا جاء أوان السفر إلى
الشام تميزوا من بريدة وأخذوا إبلهم وساروا بها.

ولكن ابن رشيد قد مدّ يده إليها وأخذها في أول هذه السنة وأرسلها
إلى المشهد لجلب الطعام منها.

فركب أصحاب الإبل لابن رشيد يطلبون أداءها لكونهم حلفاء،
أو بالحري من رعيته، فقال لهم: إننا أخذناها ظناً منا أنها لأهل عنيزة،
وأرسلناها للمشهد، قالوا: نحن نتظر رجوعها، قال لهم: الأمر مضى ولا
مسيل إليها، فرجعوا من عنده خائبين، والظاهر أن هذه الحادثة غيرت فكر
كثير من أهل بريدة، وانضموا إلى أنصار ابن سعود، ولم يبق في بريدة من
يميل إلى ابن رشيد إلا ابن مهنا وأنصاره القليلين.

فتمجّل بعض أنصار ابن سعود عندما رأى كثرة الناقمين على ابن
رشيد وابن مهنا، وكتب إلى ابن سعود يخبره بالحالة ويقول: إن أهل البلد

إجمالاً ناقمين على ابن مهنا، وأظن أنهم [...]»^(١).

غزو ابن رشيد بوادي العراق

قلنا: إن ابن رشيد أرسل حملة تمتاز من العراق وتعلقهم كثير من البوادي بلغ عدد الحملة نحو خمسة آلاف جمل، ثم تبعهم غازياً وأغار على الزباد قبيلة من بوادي العراق، وأخذ الفصم والبيوت بما فيها، وسلمت الإبل «قرب السماوة» ولكن الزباد انتقموا منه وترعدوا للحملة التي في المشهد، ولما أقبلت من المشهد أغاروا عليها وأخذوها، ولم يسلم منها إلا القليل.

لما وصلت كتب أهل بريدة إلى ابن سعود خرج من الرياض معه غزو أهل الجنوب في أوائل ربيع الأول، فلما وصل المستوى موضع يبعد عن بريدة مسافة يوم جاءه رسول من أهل بريدة يستقدمونه، فواصل سيره ونزل عنيزة، فجاءه رسول آخر من أهل بريدة يقولون: إنهم لم يتمكنوا بعد من تهيئة الأمور فيتم يستميلونه أياً ما أخر.

أما أهل القرى فقد أرسلوا وفودهم إلى ابن سعود يطلبون الصلح فأجابهم وأمنهم.

سار ابن سعود من عنيزة وخرج معه غزو من أهلها ثم نزل الخضر على مسافة ساعة ونصف عن بريدة، فلم يخرج إليه أحد من أهل بريدة لا معارين ولا مصالحين، فعاث الجند في زروع أهل الصباح، ثم سار ونزل الشقة إحدى قرى بريدة الشمالية تبعد عنها مسافة ساعتين.

(١) بياض في الأصل.

بلغه أن سلطان ابن رشيد قد أقبل من حائل لنجدة أهل بريدة، فرحل من الشقة قاصداً ابن رشيد ليصده عن نجدة أهل بريدة، فلما وصل الكهفة بلغه أن الخبر مختلف، وأن ابن رشيد لم يخرج من بلده، وأن شمرًا انتلروا وساروا شمالاً ولم يبق إلا برغش بن طوالة نازلاً ^(١) فيه القرية المعروفة قرب سلمى أحد جبلي طيء، فقصده ابن سعود فوجده قد تحصن في القرية فنزل قبائله، ولما طلع الفجر أركب ابن طوالة نساءه وبناته في الهودج يستعطفن ابن سعود، وكانت هذه عادة القبائل وهي آخر ما يلجأ إليه المستعطف، وليس بعد ذلك شيء من الخضوع وقل [...](١) وأن يكون من رعاياه المخلصين.

فأراد ابن طوالة يتوسط الأمر بين ابن سعود وابن رشيد فأجابه إلى ذلك وأعطاه الشروط التي يريدونها من سلطان وهي لا تخرج عن معنى ما تقدم. وهي أن حائل وثوابيعها وشمر إلى ابن رشيد، وبثينة نجد وقبائلها إلى ابن سعود وما كان سلطاناً يطمح بذلك من ابن سعود، ولكن هذا تساهل معه لقطع الصلة بينه وبين أهل بريدة.

فقال ابن طوالة: إن قبل ابن رشيد بهذه الشروط وإلا سأقطع كل صلة بيني وبينه، رجع ابن سعود إلى التميم ونزل البكيرية، ومضى ابن طوالة إلى ابن رشيد وعرض عليه شروط ابن سعود فتقبلها، وتم الصلح، وأرسل رسولاً إلى ابن سعود يزيده قبوله ما تم على يد ابن طوالة.

أما ابن سعود فقد نزل البكيرية وأخرج منها سرية ابن مهنا بالأمان وسيرهم إلى بريدة، وسار هو وبعض حاشيته ودخل عنيزة، فجاءه رسول

(١) بياض في الأصل.

من أهل بريدة يستدعونه وقرروا له وقتًا معلومًا، فرجع إلى معسكره بالكبيرة، وسار منها قاصدًا بريدة، فلما قرب منها خرج إليه رسول من أهلها سرًا وقرروا أن يكون عند الباب الشمالي الساعة الثانية من الليل، فانتخب ثلاثمائة من رجاله جعلهم بالمحل المعين، وأمرهم أن يفصدوا البيوت المجاورة للقصر ويحتلوها تَوًّا، وأن لا يتعرضوا لأهل البلاد ما لم يروا منهم مقاومة.

فلما كان الوقت المقرر فتح الباب ودخل ابن سعود ورجاله الذين عينهم وعارضهم أعوان ابن مينا وقاوموهم في الأسواق، ورئيسهم محمد العلي أبا الخيل، ولم يساعدهم أحد من أهل بريدة، فتغلب عليهم رجال ابن سعود وتحصن ابن مينا ورجاله في القصر واستولى ابن سعود على البلد وباعه أهلها، وباليوم الثاني طلب ابن مينا الأمان على نفسه ومن معه وما معهم، فأجابهم ابن سعود وأمنه ومن معه وما معهم إلا السلاح، فسلموا له القصر بما فيه من السلاح والذخيرة فاستولى عليه، وبالتالي استولى على القصيم وأمر أحمد بن محمد السديري على القصيم، ونزل القصر ابن رشيد ومعه إثبات الصلح فجنز ابن مينا وخدامه وأتباعه وسيرهم إلى العراق يصحبهم عبد العزيز الرباعي أحد خدام ابن سعود.

وكان التسليم في العشرين من ربيع الآخر من هذه السنة، فسكنت الفتنة، واستراح الناس، رتب ابن سعود أمور القصيم وسار من بريدة ونزل قصر ابن عُقَيْل «بالتصغير» وأرسل عماله إلى قبائل مطير وعتيبة وبنو عبد الله وحرب وغيرهم من قبائل نجد عدى شمر لجبي الزكاة، وقد جاء رؤساء شمر يطلبون منه أن يرسل لهم عمالاً فأبى، وقال: إني قد تنازلت عنكم لمصاحبتكم وأنتم في أمان مني.

ولكن محسن العزم^(١) أحد رؤساء حرب لم تكن زكاته مرضية حيث قد أخفوا كثيراً من إبلهم ولم يزدوا عنها الزكاة، فغزاهم ابن سعود وأخذهم في العشر الأخير من جمادى الأولى، ثم ركب إليه العزم فطلب منه العفو فمضى عنه، وأصلحوا معه فرجع إلى القصيم، ثم رجع إلى الرياض في أولى جمادى الثانية.

قتل سلطان الحمود وقيام أخيه مقامه

بعدما أصلح سلطان بن رشيد وابن سعود وانبزم آل السبهان وتوابعهم، ومعههم سعود بن عبد العزيز بن رشيد إلى المدينة، وهو الوحيد الذي نجا من أولاد عبد العزيز بن متعب لصغر سنه ولحماية أخواله آل السبهان له.

كذلك حمود العبيد استرخى من أولاده في سكن المدينة محتجاً بكبر السن، وأنه قد ضعف عن الأمور ومحتاج إلى الراحة في آخر عمره، وانفزع للعبادة، فأذنوا له، فسار إلى المدينة وأقام فيها مدة قليلة وتوفي فيها في آخر هذه السنة، وقد تجاوز عمره الثمانين سنة، الله يعفوا عنا وعن.

أما سبب رواحه إلى المدينة فهو كراهة لعمل أولاده في أولاد عبد العزيز الذين هم أولاد ابنته، وقد جزع حليم جزعاً شديداً لازمه حتى وفاته.

وقد قال في ذلك أشعاراً قلم يأبىوا به وجفوه، مما زاد عليه ألم المصيبة فاضطر إلى فراقهم ولكنه لم يمت حتى نكب أولاده.

أما أهل حائل فقد كرموا إمارة آل عبيد واستتلوها، فالتحق كثير من

وجهاء البلد بابن سعود، وقسم آخر التحق بالسبهان في المدينة، ولم يبق في حائل أحد يشار إليه لأن أساطينها قد فارقوها.

أسباب قتل سلطان

اختلفت الروايات في أسباب قتل سلطان، فبعضهم من يقول: إنه تنازل عن الإمارة لأخيه سعود، ومنهم من يقول: إنه لم يتنازل وإنما قتله سعود الحمود ليحل محله.

أما الحقيقة فإن سلطانًا بعدما انهزم آل السبهان من سعود ابن عبد العزيز إلى المدينة ورأى كثرة من هاجر إليهم وإلى ابن سعود من أعيان أهل حائل، ولم يبق عنده من فيه خير، تجسست الأخطار في عينيه، وعلم أنه محاط بالأعداء بالداخل وفي الخارج، واضطرب فكره فاتفق نظره أن يأخذ ما يتمكن عليه من النفوذ والجيش وينهزم، وفعلًا نفذ الأمر وخرج وابنه علي ومعه خمسون هجائنًا، وقصد الجيش وأخذ منه خمسين ذلولاً من خيار ما عندهم، وانهزم عليها هو وأتباعه، وفي اليوم التالي علم أخاه سعودًا بما عمل فركب ومعه ثلة من أهل حائل، وأدركهم فقبض على سلطان وابنه، ورجع بهما إلى حائل وحبسهما، ثم قتلها في آخر جمادى الأولى، وتولى الإمارة أخوه سعود بن حمود العبد فكانت مدة ولاية سلطان سنة وستة أشهر وأيامًا.

قتل سعود بن حمود آل عبيد

وتولي حمود السبهان بالنيابة عن سعود الرشيد
أرسل سعود الحمود إلى ابن سعود يخبره بالأمر الواقع وطلب منه

عقد الصلح على ما كان بينه وبين سلطان فأجابه ابن مسعود إلى ذلك،
وانعقد الصلح على ما كانوا عليه قبل ذلك.

أما مسعود الحمود فلم يطل أمره فقد كان مرشه مزعزعا وولايته
مفقونة، بل ضاق ذرع أهل حائل وشمر في ولاية آل عبيد. رأى
آل السبهان الفرصة سانحة لهم باسترجاع الإمارة إلى بيت آل عبد الله وضد
آل عبيد عنها، فكاتبوا أهل حائل فشجعوهم على القدوم إليهم لإنتقاذ البلاد
من هذه الفرغى، فتكررت المراجعات وتقرر وقت معين لقدم
آل سبهان، فجاء الوقت المذكور واستعد أهل البلاد لمساعدتهم.

فلما كان في شهر رمضان من هذه السنة خرج آل سبهان وأتباعهم
من المدينة وخرج معهم من هناك من المهاجرين من أهل حائل، فلما
قاربوا البلد أرسلوا رسولا لأهلها يخبرونهم بقدومهم ويستنجزونهم
وعدهم بالمساعدة فأجابوهم فدخلوا البلد وقام أهلها معهم واحتصر سعید
في القصر، ثم تمكنوا من الاستيلاء على القصر بواسطة طوارف
آل عبد الله، فقبضوا على مسعود وقتلوه وقتلوا معه تسعة من آل عبيد، ولم
ينج من آل عبيد إلا عبد الله ولد عبيد الحمود الذي قتل في عنيزة، وأولاد
مهنا بن حمود آل عبيد.

وفصل الحمود الذي كان نصبه سلطان في جوف أميرا فيها على ما
قد مناء وكأنه قنع في ولايته وبقي فيها ولم يشارك أخويه في الحكم ولم
يشترك في الخلاف الذي وقع بينهما.

ولكن لما تولى آل السبهان أمر حائل خاف على نفسه وخرج من
الجوف وسار ورمى نفسه على ابن مسعود وبقي عنده إلى أن مات سنة
١٣٤٢هـ في الرياض.

ثم استيلاء آل السبهان على حایل وثوابعها، وتولى أمر الإمارة حمود بن سبهان السلامة بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز القاصر، فأرسل إلى ابن سعود يخبره بالأمر وولايته بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز، ويطلب منه تقرير الصلح بينهما على ما كان عليه سلفه، فلم يوافق بل اشترط عليه شروطاً لم يقبلها.

خرج ابن سبهان من حایل وقصد القصيم، وأغار على الحميداني من مطير شمالي بريدة وأخذه.

وفاة حمود السبهان

وتولي زامل بن سالم السبهان بالنيابة

ولم يلبث بعد رجوعه إلى حائل حتى مرض وتوفي في شهر الحج سنة ١٣٢٦، فكانت إمارته أقل من أربعة أشهر، وتولى بعده أمر الإمارة في حایل زامل بن سالم السبهان بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز.

سنة ١٣٢٧هـ: بلغ ابن سعود غزوة ابن رشيد على مطير فخرج من الرياض في أواخر شهر الحج، وقصد قبائل ابن رشيد، فلما وصل الأجفر علم أن شمر انتذروا به وانهمزوا قاصدين الشمال فرجع ابن سعود إلى القصيم ونزل بريدة.

وفي أواخر شهر صفر بلغه أن ابن رشيد خرج من حایل غازياً ومعه شمر وأنه قصد عتيبة فسار ابن سعود من بريدة إلى أطراف ابن رشيد، وأغار على قبائل مجتمعه من قبائل ابن رشيد، وأخذ الجنفاوي والثويفان والمذعور والعطاعطة، والنفعان والشميلي الجميع من شمر، وابن مزيان والمذعوب وابن صميم وابن عيان، وولد سويلم، وابن ربيع الجميع من حرب، وملاً يديه من أموالهم.

أما ابن رشيد فقد بلغه وهو بمنتصف الطريق أنه ابن سعود خالفه على قبائله، فأجبره من كان معه من شمر وحرب على الرجوع فرجع وعلم أن ابن سعود بعدما أخذ هذه البوادي ونزل الشعبة فأراد أن يهاجمه ليلاً، وكان ابن سعود قد رحل ونزل الأشعلي موضع في النفود، يبعد عن الشعبة مرحلة جنوباً، فتبعه ابن رشيد.

وبلغ ابن سعود أن ابن رشيد سيهاجمه في هذه الليلة فأخذ يتأهب وأبعد البدو عن المعسكر، وأخرج الحضر إلى رأس النفود وترك الخيام نخالية، وأمر أن لا تقتل الإبل التي قد غنموها من شمر وحرب، أواد بذلك أن يغري البوادي الذين مع ابن رشيد بالطمع فيثربوا عن ابن رشيد، لأن الإبل متى سمعت طلق البنادق تفر هاربة إذا كانت غير معقولة فيشتغل بها جند العدو، فلما كان منتصف الليل هجم ابن سببان وأهل حاييل على مخيم ابن سعود الفارغ، ففرت الإبل عندما سمعت طلق البنادق فلاحقتها بادية ابن رشيد، وهذا ما أراده ابن سعود، وكذلك فرت بادية ابن سعود تحت ظلام الليل محتفظين ببعض غنائمهم، فلم يبق غير الحضر في الجيشين، فأرسل ابن سعود قسماً قليلاً لصد هجوم ابن رشيد وأمرهم أن يطعموه بأنفسهم وينسحبوا انسحاباً تدريجياً، وكمن هو وبقية الجند في أماكنهم، فلما التحم القتال فعل جند ابن سعود ما أمروا به، فطمع بهم ابن رشيد وظن أن هذه هي قوة ابن سعود أنه معهم.

فلما اجتازهم ابن رشيد متعباً جند ابن سعود المتيزم أطبق عليه ابن سعود وقطع عليه خط الرجعة وصدمه صدمة شديدة، فانهزم ابن رشيد بعد أن فقد عددًا غير قليل من رجاله، وعادا إلى الشعبة هو ومن سلم من جنده. أقام ابن سعود في موضعه ذلك اليوم ثم رحل عائداً إلى القصيم،

ونزل قبة - الماء المعروف بسطح عروق الأسياح من الشرق - ، ثم رجع إلى الرياض ودخلها في ربيع الأول من هذه السنة .

قتل أولاد آل مهنا الصغار في الربيعية

عندما قبض ابن سعود على صالح الحسن وإخوته ترك إخوته وأبناء عمومته الصغار، ولم يتعرض لأحد منهم، وأقام بعضهم في بريدة والبعض الآخر في الربيعية، وهي قرية صغيرة فيها نخل آل مهنا، وكان [...] ^(١) مقيم في الربيعية، وقد تزوج والدة بعضهم، وكأنه رأى منهم تطاول عليه ومعاكسة له، فأراد أن يخض منهم فوشى بهم إلى ابن سعود أنهم يكاتبون ابن رشيد، فعده بذلك أن ابن سعود يقبض عليهم ويبيدهم عنه، ولم يعلم أن الأمر يزول إلى ما آل إليه .

أرسل ابن سعود فيد الزيري ومعه سرية فقبض على أولاد آل مهنا الذين في الربيعية، وهم سبعة أولاد أكبرهم لا يتجاوز الخامسة وعشرين من عمره، فسار بهم ولما وصل الشماسية قتلهم، فذهبوا ضحية وشاية سافلة دون أن يتحققوا صحة ما نسب إليهم، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ قَائِلٌ يُبَشِّرُهُمْ أَنَّ تُبَيِّبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، والحقيقة أن الإمام حفظه الله قد تمجّل في هذا الأمر مع هؤلاء الأطفال خلافا لما عُرف عنه واتصف به من الحلم والأناة، والله المستعان، وكان ذلك لشهر جماد الأول سنة ١٣٢٧ هـ .

خرج ابن سعود من الرياض ونزل القصيم ثم سار منه غازيا وأبقى

(١) رياضي في الأصل .

رحلته في نفى القرية المعروفة من العالية، وأغار على فرقان من عتية وبني عبد الله وحرب، وأخذهم على الصلاة مريض معروف في عالية نجد، وعاد إلى نفى.

أما ابن سبهان فلم يخرج من حائل، وفي شهر رجب أمر ابن سعود على بعض أشخاص من أهل بريدة أن يغادروا بريدة إلى أي محل يريدونه، وهم صالح الدحيم الربدي وعلي الحميدة، وسليمان بن عيسى الطمل، وفهد الرشودي، وصالح الدخيل، لأنهم من أركان الفتنة التي أشعلها محمد العبد الله المهنا على ابن سعود، وخشي أنهم يحدثون مثلاً فأمروهم بالجلاء.

أما صالح الدخيل فقد نزل عنيزة وركب الباقيون ومعهم بعض أعيان بريدة، وقصدوا الرياض يسترضون ابن سعود فأكرمهم ورضي وعفى عنهم، فرجعوا إلى بلدتهم مكرمين.

رحل ابن سعود من نفى وعاد إلى القصيم وهزل أحمد السديري من إمارة القصيم، واستعمل عليها عبد الله بن جلوي بن تركي، ثم رجع إلى الرياض.



وكان ابن سعود يفكر دائماً باحتلال الأحساء، ولكنه ينتظر الظروف الملائمة: وليس في هذا الوقت ما يشجع عبد العزيز لمثل هذا الأمر، لوجود حركة العرائف، وحركات الشريف الحسين، ولكن جواب جمال باشا عجل بوقوع الأمر، فصمم عبد العزيز على المغامرة كعادته، وكانت مغامرة موفقة.

خرج من الرياض في شهر ربيع الأول، ونزل الخفص - الماء المعروف - حتى آخر الشهر. ثم رحل من موضعه غازیاً آل مرة، وقد حدث منهم مخالقات أوجبت تأديبهم. فأغار عليهم وأخذهم، ونزل بالقرب من الأحساء بحجة الامتياز، وغرضه الحقيقي تمجيد الأمور، وجس نبض أهل البلاد. فأرسلت حكومة الأحساء التركية تستطلع خبره ونواياه، فقال: إنما قصدي الامتياز ثم ابتاع ما كان في حاجة إليه، وعاد إلى الرياض بعد أن علم ما يريد، وترك حملته على الخفص.

ولما هم بالهجوم على الأحساء، أخذ يعمل لإبعاد قبيلة العجمان، خوفاً من انضمامها لحكومة الترك، لما هو معروف من عداة العجمان لآل السعود قديماً وحديثاً، فهم يفضلون بقاء حكومة الترك في الأحساء على أن يستولي عليها ابن سعود، فضلاً عن ما هو مشهور عن مطالبهم في الأحساء. ولكن ابن سعود جعلهم أمام أمر واقع، فدبر إبعادهم عن منطقة الأحساء، وانقض عليها انتقضاخ العقاب على فريسته رحل من الخفص، ولم يعلم أحد أين يقصد. ولم يكن معه إلا أربعمائة من جنوده اختارهم، ونزل بالقرب من الأحساء يوم الأحد ٢٦ جمادى الأولى.

وأرسل سرّاً إلى إبراهيم القصبي، ويوسف بن عبد العزيز بن

سويلم، وإبراهيم بالغنيم، يخبرهم بمكانه، وأنه هاجم على البلد في هذه الليلة، ويأمرهم أن يجهزوا له الأسباب ما يمكنهم من تسلق السور، وأن يختاروا له المكان المناسب للهجوم. فأعلموه وأحضروا له ما يلزم له وجعلوه بالقرب من المحل المقصود بخارج البلد.

فلما كان في الساعة السادسة من ليلة الاثنين ٢٨ جمادي الأولى، تسلقوا السلالم المعدة لهم، فتكامل عددهم نحو مائتين وخمسين، فصار كل فرقة منهم إلى موضعها الذي عين لها عبد العزيز، وكان الحراس قد أحسوا بشيء من الضوضاء، ولكنهم لم يجسروا على تخطي أماكنهم، فصاروا يسألون: من أنتم ولم يجيبهم أحد فأخذوا يرمون على غير هدي، ولم يجاوبهم أحد. فانتبه العسكر، فقاوموا مقاومة ضعيفة، فأخذهم الرعب عندما علموا أن المهاجم لهم ابن سعود.

أما عبد العزيز، فلم يستطع الصعود على السلم لعلو السور، ففتحوا له كوة في أسفل السور، فدخل منها وذهب توجاً إلى بيت الشيخ عبد اللطيف الملا، وطلب مواجيتته، فنبهوه وجاء، فسلم على عبد العزيز، وبقي عنده ومعه بعض أتباعه، وفي ذلك الوقت، كانت جنود عبد العزيز قد احتلت بعض الحصون من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية، وبقيت الحصون التي على أبواب المدينة والقصور: قصر إبراهيم، وقصر العبيد، لم تزل في يد الترك، وعدد العسكر نحو ألف ومائتي جندي، وعندهم من الأسلحة والذخيرة والمؤن والأطعمة ما يكفيهم مدة طويلة فيما لو حاصروهم ابن سعود ومع ذلك فقد أخذهم الرعب، واستسلموا المائتين وخمسين جندياً، لا يملكون غير بنادقهم، وبعضاً من الخرطوش مع كل جندي.

تحصن العسكر والمتصرف وموظفيه في قصر إبراهيم، وبقي الحرس الذي في الحصون التي على أبواب المدينة محافظين على مراكزهم فأصبحت مدينة الكوت في حصار، وابن سعود في نفس البلد، وليس معه قوة تدفع عنه فيما لو هاجمه الترك وأنى لهم ذلك، وقد ملؤا رعباً، ولم يكن عبد العزيز في كل مغامرته بأشد خطراً مما هو فيه الآن إنها لجراحة غريبة خطيرة، تفوق الروايات الخيالية.

مضت تلك الليلة واليوم الذي بعدها وعبد العزيز في المدينة، والمدينة مغلقة الأبواب والحصون التي على الأبواب لم تزل بيد الترك، والعسكر والمتصرف داخل قصر إبراهيم، ولم يحركوا ساكناً ولم يمدوا أهل الحصون، ومع ذلك، فلم يتمكن عبد العزيز من التغلب عليهم، فكيف لو تحرك العسكر؟ لكانت العاقبة وخيمة، ولكن الله لطيف.

أما أهل البلد وأهل القرى، فلم يتحرك منهم أحد، لا مع ابن سعود ولا ضده، أرسل عبد العزيز إلى أعيان البلد وأعيان أهل القبائل والرفعة يدعوهم للحضور فجاؤوا مع الفتحة التي أحدثت في السور، التي دخل منها عبد العزيز في السور، لأن الأبواب الشرقي والشمالي لم تزل بيد الترك فاجتمعوا في بيت الشيخ عبد اللطيف الملا، وطلب منهم أن يبايعوه، فبايعوه، ثم جاء محمد أفندي أحد موظفي الترك، وكان أميناً للصندوق في حكومة الترك، فبايع ابن سعود، وسلم له المفاتيح، وكان بعد ذلك وكيلاً لابن سعود إلى أن توفي.

تفاوض الإمام عبد العزيز مع الشيخ عبد اللطيف الملا والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل مبارك، فاتفقوا نظراً أن يكتبوا كتاباً إلى

المنصرف، وقومندان العسكر، يدعوانهما إلى التسليم، ويبينا لهما عدم جدوى مقاومتهما لأن ابن سعود استولى على البلد وبايعه أهلها، وأرسل الكتاب مع محمد أفندي، الأنف الذكر وسلم لهما الكتاب، وأخبرهم أن أعيان البلد قد بايعوا ابن سعود، ولم يبق فائدة للمقاومة بعد هذا. فجاء منهما القبول بالتسليم على شرطين:

أولاً: أن يكتب العشائخ وأعيان البلد أنهم لا يرغبون في بقاء العسكر، وأنهم يفضلون ولاية ابن سعود على ولاية الدولة.

ثانياً: أن يبذل لهما وللمن معهما الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وجميع ما لديهم من الأسلحة والذخائر والمؤن الحربية التي للحكومة.

قبل ابن سعود الشرط الأول، وعدل الشرط الثاني بأن يبذل لهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم، وأن يترك للعسكر، لكل نفر بندقية وما يتبعها، أما الأسلحة التي للحكومة من المدافع والذخائر وغيرها، فهي له فقبلاً بذلك وسلموا، فاستلم الإمام، وائر الحكومة أولاً.

ثم أحضر بعض الجند ليستلم القصر بما فيه، فرقفوا هند بابها وأخذ العسكر يخرجون واحداً واحداً، كل منهم يحمل سلاحه. فلما تكامل خروجهم، احتل الجند القصر، وكان عدد العسكر ألف ومائتي جندي، فجهزهم وسبرهم إلى العقير، يخفونهم أحد رجال ابن سعود، حتى وصلوا العقير. وجيزهم بالسفن إلى البحرين. ولم يرجع أحمد بن ثيان، حتى فارقت سفنهم العقير بطريقها إلى البحرين.

ولما فرغ من ترتيب شؤون الحساء، استعمل عليه عبد الله بن جلوي

أميرًا، وأرسل سرية إلى القطيف بقيادة عبد الرحمن بن عبد الله بن سويلم، فلم يجد له مقاومة؛ لأن الحامية التركية التي فيه هربت إلى البحرين، عندما علمت باستيلاء ابن سعود على الأحساء. واستعمل عبد الرحمن بن سويلم أميرًا في القطيف.

محاولة الترك استرجاع الأحساء

ذكرنا عبور العسكر الذين أجلاهم ابن سعود من الأحساء. وعندما وصلوا البحرين، كان قد وصلها قوماندانًا جديدًا آتيا من البصرة، فاتفقت بهم في البحرين. وكان فيه نزعة عسكرية، فحاول الهجوم على الأحساء واسترجاعها من ابن سعود. وكان في ميناء البحرين باخرة تجارية لآل عبد الله الباسم، قاصداً العقير لتحميل تمر منها، فاستأجرها القوماندان الجديد، وعاد فيها إلى العقير. فنزل وعسكره من الجانب الجنوبي الغربي من ميناء العقير وكان بينهم وبين قصر العقير برج مبني لحماية الماء وهو الوحيد في العقير، وفيه حامية قليلة، أما قصر العقير فلا تزيد حاميته عن ثلاثين رجلاً. مشى العسكر يريدون العقير، واستولوا على الحصن الذي على الماء، وأقبلوا على التصحر، فانضم إلى حاميته الموجودة فيه من أهل نجد، المقيمين والمسافرين، وكان أمير الحامية قد طير الخبر إلى ابن سعود في الأحساء، فركب ومعه بعض الجنود، وقدم قبله كوكبة من الفرسان لتشجيع الحامية على الدفاع إلى أن يصلهم المدد، فوجدوا الحامية قد صلت هجوماً مقدمة الترك، وأسرت منهم نحو ثلاثين جندياً.

وفي تلك الساعة، وصل مقدم الخيل فما كان من الترك، إلا أن

انهزموا ليختموا السلامة قبل أن يحول ابن سعود بينهم وبين البحر فركبوا السفن، ورجعوا من حيث أتوا وألحقهم ابن سعود من أسر منهم، بعد أن أخذ منهم سلاحهم، وقد ظن ابن سعود أن العسكر لم يرجع إلا بتشجيع من أناس في البحرين فكتب إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين وإلى الوكيل السياسي فيها لحكومة الإنكليز، يقول: إنه لا يلين بكم أن تحرضوا علينا، ونحن أصدقاءكم فجاءه الجواب من كل منهما: على أن العسكر ركبوا في الباخرة على أنهم سائرون إلى البصرة، ولا علم لنا برجوعهم إلى العقير.

رجع ابن سعود إلى الأحساء وبعد أن رتب الأمور توجه إلى القطيف لتنظيم أموره، ولأجل النظر في قضايا كانت بين الأهالي، وبين بني خالد بخصوص أملاكهم، الذين يزعمون أن الأهالي تغلبوا عليها بواسطة حكومة الترك، فأقام فيها مدة، نظر في خلالها الدعاوى المرفوعة إليه من بني خالد، وحسمها، وطلب منه أهل القطيف النظر في رسوم الزكاة المفروضة على النخيل فأجابهم وخفض لهم خمس بارات عن كل نخلة واحدة من الرسوم التي كان الترك يتقاضونها.

أما عبد الحسين بن جمعة، فقد خس بتخفيض خاص، حيث جعل له عشر بارات عن كل نخلة، وكان في دقاتر حكومة الترك على عبد الحسين ألفا ليرة، ومائتي ليرة، وأربعون ليرة متأخرة عليه من الزكاة فطلبها منه، فتضرر من ذلك، وادعى أنه قد سدد الكثير منها. فطلب الإثبات لما يدعيه، فلم يأت بما يثبت دعواه فطلب من الإمام النظر في أمره، فوضع عنه سبعمائة وأربعين ليرة، وطلب منه تسديد الباقي فادعى أن ليس لديه شيء الآن، وطلب إنظاره، فأجاب.

ولما فرغ من شؤون القطيف ورتبته، رجع إلى الأحساء، ولم يلبث عبد الحسين بعد رجوع ابن سعود، حتى هرب إلى البحرين، ولم يلبث ما عليه من متخلفات الزكاة وقبل هربه، نظم مضبطة تحت إمضائه هو وأخذ إمضاءات عن بعض الأهالي، قدمها إلى حكومة البصرة، طعن فيها طعناً مراراً في ابن سعود ويحث الحكومة التركية على استرجاع الأحساء والقطيف من أيدي هؤلاء الخوارج وقال: إنه مجرد وصول طابور واحد من الجنود المظفرة، يتعهد لهم بثورة الأهالي ضد ابن سعود، ويسلمها إلى مأموري الدولة العلية.

ولكن لحسن الحظ أن السيد طالب النقيب قد أخذ علماً عن هذه المضبطة من كتب جاءته من القطيف فانتصها قبل أن تصل إلى المراجع المختصة وأرجعها إلى ابن سعود في شهر شوال. فعلمها ابن سعود مع فراره من القطيف، مؤيدة لما قيل فيه، فأسر الأمر في نفسه.

وكان مقبل بن عبد الرحمن الذكر قد أراد أن يتوسط في أمر ابن جمعة لدى الإمام عبد العزيز، ويستعطفه ليأذن برجوع ابن جمعة وليسمع له، وكان ذلك قبل أن يعلموا بمساعيه لدى حكومة التركي وفعلاً كتب مقبل للإمام بهذا الخصوص، فجاءه الجواب مؤرخ ١٣ شعبان سنة ١٣٣١هـ، قال فيه: كتابكم وصل خصوصاً من طرف ابن جمعة، أخي حنا يوم ألقينا القطيف، وإذا الناس أهل غرض فيه، وأهنا أنفسنا، ونزلنا عنده، وأجربنا معه من الإكرام والحشمة شيئاً ما يخفى على أحد. قصدنا كنف الناس، إذا شافوا فعلنا به وصار لنا عليه ألقان ومثان وأربعون ليرة بقايا، وألف وخمسمائة ريال عليها سند من طرف الباج، وقام يعتذر أنه،

مظلوم وأن الناس أهل غرض فيه، وسامحناه، ما خيلنا إلا ألف
وخمسماية ليلة ويوم طلبناها منه، فر إلى البحرين.

والحقيقة أنه لننيم وإلا كيف هذا فعلنا معه، وهذي مجازاته لنا؟ عاد
أخي حنا ما لنا غرض في الناس إلا دورة الراحة والسكون وحنا كتبنا له
خط، لا بد تشرف عليه عرفناه بما يلزم أن قبله، فالحمد لله، وهو آخر ما
عندنا فإن أبي، فلا يتأسف إلا فاعل السوء إن شاء منه هذا أما لزم.
انتهى.

أما كتاب ابن سعود، فلم أطلع عليه، ولا أعرف مضمونه
ولكن الذي نستتج من عبارة ابن سعود أنه اشترط للإذن له بالرجوع أن
يسلم ما عليه من مختلفات الزكاة والباي كمالاً، وألني السماح الذي
كان منحه إياه. ولم يمتنع ابن جمعة من الرجوع خوفاً من تسليم ما عليه،
وإنما امتنع انتظاراً لنتيجة المضبطة التي قدمها إلى حكومة العراق، ولم
يعلم أن السيد طالب حال دون وصولها، ولما يس من حكومة العراق
بعد انتظار طويل، رأى أن إقامته في البحرين وتركه أملاكه وأعماله في
القطيف غير مجدية. ولكن كيف السبيل، وقد أغضب ابن سعود بعدم
قبول ما عرضه عليه.

وكان ابن سعود قد رجع إلى الرياض في أواخر شهر رمضان، لهذا
لم يجسر أن يتوجه إلى القطيف إلا بإذن من ابن سعود، فانتضى رأيه أن
يتوجه إلى الأحساء ويراجع الإمام عبد العزيز، وفعلاً سافر، ونزل بشيافة
الأمير عبد الله بن جلوي، وأنزله بيتاً من بيوت الحكومة، وراجع الإمام
بشأنه وكان السيد طالب قد أرسل للإمام عبد العزيز المضبطة التي أرسلها

عبد الحسين لحكومة التركي في العراق، فأصدر أمره للأمير عبد الله بن جلوي باعتقاله، فزجه بالسجن وصادر أملاكه في القطيف من النخيل والبيوت والسفن، وأدخلها بيت المال.

تابعنا حوادث القطيف ذكر هنا قطعياً، وحالت دون حوادث كانت قبلها.

وفي شهر شعبان، خرج العرايف بأمر من الشريف حسين، وأغاروا على بني عبد الله، وابن سميان، وابن ضمة من يطردهم على نفى - القرية المعروفة في عالية نجد - وأخذهم، ورجع العرايف إلى وادي سبيع.

الصلح بين ابن سعود والشريف حسين

وفي شهر شوال من هذه السنة، صار مناوغة بين الإمام عبد العزيز وأمير مكة الشريف حسين، وانعقد الصلح بينهما على أن لا يتعدى أحد منهما على حدود الآخر، ولا على رعاباء فتوقف الحركات العدائية من الطرفين.

قتل آل عبيد وآل رخيص

وفي ٢٨ شعبان من هذه السنة، قتل ابن سميان سبعة من أولاد آل عبيد بن رشيد، وأربعة من آل رخيص أخوال آل عبيد بحجة أنهم يريدون الفرار، وجبوا جماعة من آل رخيص الذين وقعت عليهم التهمة أن لهم يدافع المقتولين، ونهبوا أكثر من ثلاثين بيتاً من بيوتهم، وبيوت أتباعهم نسأل الله الحماية من موجبات غضبه.

حوادث عامة

فتنة شقراء:

وفي أواخر هذه السنة، وصل عبد اللطيف المنديل، مندوباً من قبل حكومة التركي من العراق، للتوسط في أمر الصلح بينها وبين ابن سعود. فقبل عبد العزيز الوساطة وأجل النظر في المسألة إلى الربيع، وسنذكر نتيجة ذلك في حوادث سنة ١٣٣٢هـ.

وفي ١٤ من شهر شعبان: توفي المرحوم الشيخ قاسم بن ثاني، شيخ قطر.

دخلت هذه السنة، والحالة بين ابن رشيد والشريف من جهة، وبين ابن سعود من جهة ثانية صالحة، وفي شهر...^(١) خرج الإمام عبد العزيز من الرياض إلى الحسا، لمقابلة الركيل السياسي لحكومة بريطانيا في البحرين، فقابله في العتير فلم تسفر هذه المقابلة عن نتيجة. ثم عاد إلى الرياض فبلغه خبر دسيه في التظيف وقد أسلفنا الكلام على خبر المضابط التي أرسلت إلى حكومة التركي في البصرة من أهل القطيف وأنها أرجعت إلى ابن سعود فخشي أن الأهالي استأنفوا عملهم، فخرج من الرياض في النصف من ربيع الثاني، ومعه أهل الرياض وغزوا أهل القصيم وغيرهم، فنزل الجبيل.

وكانت حكومة التركي بعد أن تولى ابن سعود الحسا والقطيف تفكر في أمر استرداد هذه البلاد، ولو أدى الأمر إلى الحرب، ولكن في هذا الوقت الذي نحن بصدده، قد تولى نظارة الحربية العثمانية أنور باشا.

(١) يياض في الأصل.

وكان برنامج سياسته اتحاد المسلمين تجاه الأخطار المحدقة بهم جميعاً، وليس عنده كما يقال عنه، روح النفاسة لقوة العرب ولهذا أخذ يرسل الأسلحة والعدد الحربية إلى ابن رشيد والإمام يحيى، قصد تقويتيهما للدفاع عن أنفسهما، فيما لو وقعت حرب بين تركيا وإحدى الدول تحول دون إمدادهما.

فلهذا وجه نظره إلى ابن سعود، فأرسل وفداً يرأسه يياور من باربريته، ومن أعضائه: السيد طالب النقيب فقابليم ابن سعود في الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت فطلب الوفد أن يكون للدولة معتمدون في الأحساء والقطيف، فأبى ابن سعود وانهى الأمر بالاتفاق على الاعتراف بإمارة ابن سعود على الأحساء والقطيف وسائر لواء نجد، والاعتراف بإمارته على ما كان في يده من قبل، وما دخل فيما من بعد على شرط أن يعترف هو بسيادة السلطان.

ثم جاءت بركة فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية، مفروضاً بالشكر (ابن سعود والإنعام عليه برتبة المشربة ولكنها قبل مفارضة لابن سعود والإنعام عليه برتبة المشربة، والاتفاق معه بشهرين قد اتفق سليمان كمالي باشا والي البصرة يومئذ وزامل البيان بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز الرشيد، وتم الاتفاق بينهما على أمور، لم تنق على فحواها. ولكنها قدمت إلى ابن رشيد عشرة آلاف بندقية، وكثيراً من الذخائر، ومبلغاً من المال، ولم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق، والمساعدات التي قدمت إلى ابن رشيد إلا بعد رجوعه إلى الرياض، وفيما يقال: إن الحكومة التركية قد أمدت ابن رشيد بهذه القوات للغرض الذي أسلفنا ذكره، وهو أن يتمكن من الدفاع عن نفسه.

ولكن ابن رشيد قد جعله وسيلة للقضاء على ابن سعود، واسترجاع ما فقدته من البلاد، كما ستقف عليه في حوادث السنة التالية.

قتل زامل السبهان الوصي على الإمارة

كان زامل السبهان قائماً بشؤون الإمارة بالنيابة عن سعود بن عبد العزيز، القاصر عن الاضطلاع بمهامها. فقام بها زامل خير قيام، واستردت الإمارة شيئاً من قوتها وحيثتها. وكان عاقلاً حكيماً رأى أن الإمارة قد تخلخلت أركانها بتوالي الفتن والحروب ممن تولى شؤونها قبله فرأى أن الحكمة تقتضي عليه بمسألة ابن سعود، والافتصار على إصلاح ما بقي بيده من إمارة حائل وما يتبعها من القرى والقبائل التي اعترف له ابن سعود فيها، ليتفرغ لتنظيم شؤونها، وتثبيت قواعد مركز الإمارة، وقد اتفق مع ابن سعود على ما يحفظ حقوقها، التي كانت قديماً لأبائهم وأجدادهم. ولكن الجهل لا يدع المصلح يسير في طريقه، بل يقف حجر عثرة في سبيله. ولكن سعود الرشيد — كما قلنا — لم يزل قاصراً عن درجة بلوغ الرشيد، فاستولى على مشاعره أناس من طرازه بالعتل، لا بالسن، فما زالوا به حتى أرغروا صدره على من كان له الفضل عليه في تماسك أركان الإمارة، وحفظها له، فلما قفل راجعاً بعد مقابلة والي البصرة سليمان شفيق كمال، وانفاقه معه، كان سعود قد صمم على انفتك بزامل.

ففي نهاية المرحلة الثانية بعد رجوعهم، رتب أمره بمساعدة سعود الصالح السبهان، الذي له اليد الطولى في معبك خيوط هذه الجريمة، وقتلوا زاملاً، وأخاه عبد الكريم، وعمهما سبهان العلي، وولد

عبيد الحمود الذي أخواله السبهان، وبعض من خدام زامل المقربين.

قتل زامل السبهان

الوصي على إمارة آل الرشيد

فلما دخل البلد قتل إبراهيم السبهان أخا زامل، وعبد من عبيده، وولد الضعيفي من أتباع زامل المقربين منه ونهب ما في بيوتهم، ثم استقل سعود في شؤون الإمارة، وجعل سعود الصالح مستشاراً، فكتب إلى ابن سعود يخبره بالواقع، ويطلب منه تأييد ما بينهما من الاتفاق السابق.

وكان ابن سعود قد علم بالاتفاق مع حكومة الترك، وما أمدته به من الأسلحة والذخائر والنقود، فظن أن هذه الاتفاقية ضده، فكتب إليه ابن سعود على أي أساس يكون الاتفاق بيننا وبينك، وما بينك وبين الترك من الاتفاقية، فكتب إليه ابن رشيد: إني من رجال الدولة، والمصالحة بيننا وبينكم لا تكون إلا إذا وافقت عليه الحكومة العثمانية، فكتب إليه ابن سعود إذا كان الأمر كما تقول، فلا سبيل إلى الصلح، وفي هذه الأثناء، أخذ كل منهما حرية العمل ضد الآخر.

الأسباب التي دعت إلى قتل زامل السبهان

تضاربت الآراء في الأسباب التي دعت سعود ابن رشيد إلى الفتك بالسبهان أخواله، وأهل الفضل عليه في إرجاعه إلى الإمارة، حينما تغلب عليه آل عبيد، وطرده، وشرده إلى الحجاز.

ففرق من الناس: عزو هذه النكبة إلى دسائس سعود الصالح السبهان، الذي لا يزيد عمره عن عمر سعود بن عبد العزيز أكثر من خمس سنوات، فقد داخل سعود بن رشيد لتقاربهما بالسن، واستولى على

مشاعره. وكلاهما صنوان في الجهل، والغرور، وعدم إدراك عواقب الأمور، وإن الساعي قد أخذ مقابلة زامل لوالي البصرة ذريعة لتحكيم عقدة الوشا به، زاعمًا أن زاملًا قد استأثر بالحكم دونك. فهو الذي يعقد، ويرم، ويتنقض بدون علمك، وأخذ يدلل على صحة ذلك بمقابله مع شقيق كمالي، واتفاقه معه دون أن يرجع إليك في الأمر.

أما الفريق الثاني: فيزعمون أن شقيق كمالي باشا بعد مقابله إياه حذّره من آل سيهان، وأوضح له سمائتهم مع الإنكليز، وميلهم إليهم ويستدلون على صحة ذلك أن ابن رشيد فتك بهم بعد يومين من هذه المقابلة فقط.

أما من يعرف حالة الأمير ابن رشيد بتلك الوقت، لا يستغرب وقوع هذا الأمر بسبب أو بدون سبب، فضلاً عما اشتهر به أهل هذا اليت من القطيعة، والسفك، والفتك في بعضهم، ونظرة بسيطة في تاريخ هذه العائلة، تؤيد ما ذكرنا.

العرايف

لما انعقد الصلح بين ابن سعود والشريف حسين على ما تقدم ذكره، كان العرايف في وادي سبيع يوالون الغارات على قبائل ابن سعود قبل الاتفاق، فلما تم الاتفاق، منحهم الشريف منه ذلك. فلم يلبثوا إلا مدة قليلة، حتى بلغهم الاختلاف بين ابن سعود وابن رشيد، التحق سعود بن عبد العزيز بن سعود الفيصل - أحد العرايف - بابن رشيد، فأكرم وفادته، وفي هذه الأثناء قدم الذويبي - أحد رؤساء قبيلة حرب - إلى ابن رشيد، فأمره ابن رشيد أن ينضم تحت قيادة سعود العرافة، سار العرافة ومعه

الذويبي، فجهز معه قوة من حرب، وانضم إليهم آخرون. فتصدوا بعض القبائل الموالية لبني سعود، فأغاروا على ابن زوية، وابن جبرين وأخلاق معهم، فانتذروا بهم، وصعدوا لحربهم، فصدوهم وانسحب سعود العرافة ومن معه من قبيلة حرب. فتسبّحهم عتية، وأخذوا يعيشون فيهم طيلة يومهم، حتى حال بينهم الليل، فرجعوا عنهم.

وبعد مدة قليلة، رحل سعود العرافة من عند الذويبي قاصداً عتية، ملتجئاً إليهم، فلم يقبلوه، فرجع إلى ابن رشيد، وانضم إليه، وكانت المداوة قد استحسنت بين ابن سعود وابن رشيد على ما تقدم، إلا أنه لم يكن بينهما شيء حتى الآن، غير قطع العلاقات وعدم المواصلات بين الطرفين.

غير أن ابن سعود أغار على البيضاء والبيادر من قبيلة حرب^(١) الفياذين الموالية لابن رشيد، وأخذهم وهم نازلون على غول الماء المعروف في عالية نجد ورجع إلى بلاده في أواخر شهر ذي القعدة.

أما ابن رشيد، فقد خرج في أواخر هذه السنة من بلده، ونزل مع شمر، وأخذ بالاستعداد والتجهيز، فبلغ ابن سعود خبر تجهيز ابن رشيد، فتأمله بالمثل، وأخذ بالتجهيز والاستعداد، وأمر القبائل أن يوافوه على الخفس - الماء المعروف قرب سدير - وسيأتي تكميل هذه الحوادث بأخبار السنة الجديدة.

أخبار وحوادث عامة

في أواخر رمضان من هذه السنة، ثار الحرب بين النمسا وألمانيا من جهة، وبين الإنكليز وفرنسا وروسيا من جهة ثانية. وفي شهر الحجة من

هذه السنة، دخلت تركيا الحرب منضمة إلى جانب ألمانيا، وتناحرت الدول بالانضمام إلى أحد الجانبين بالتدرج. وهذه مقدمة الحرب العظمى التي استمرت إلى صفر سنة ١٣٣٧هـ، وهذه أسماء الدول المحاربة، ومن انضم إليها:

الفريق الأول: ألمانيا، النمسا، تركيا، بلغاريا.

الفريق الثاني: إنكلترا، الصرب، فرنسا، روسيا، ثم انضم إليها: إيطاليا، وأميركا، واليونان، ورومانيا، والبلجيكا. وثار الشريف الحسين على تركيا، وانضم إليهم.

وبالرغم من تفوق هؤلاء على خصماتهم بالعدد والعدد، فإن الحرب استمرت من رمضان سنة ١٣٣٢هـ إلى صفر سنة ١٣٣٧هـ. وانتهى الأمر بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وانهارت دولة النمسا وتقسيمها، وتقسيم تركيا التي فقدت القسم الأكبر من أملاكها. ولولا أن قبض الله لها مصطفى كمال ورفاقه الذين استرجعوا بعض بلداتهم، لما بقي لها أثر في الوجود.

دخلت تركيا الحرب في شهر الحجة من هذه السنة، وأرسلت حكومة الترك في العراق السيد طالب النقيب، (والسيد محمود إلى ابن سعود آللوسي^(١)) فاجتمعوا به في القصيم فردهما رداً حسناً، وقال لهما: إنه لا بمكتني مقاومة الإنكليز، بعد احتلالهم البصرة، فرجعا دون نتيجة. أما الوفد التركي الذي خرج من المدينة ومعه ١٠٠٠٠، فقد رجع منه قبله.

وكان ابن سعود قد أرسل للشريف كتاباً على أثر نشوب الحرب العظمى، كما أرسل إلى غيره من أمراء العرب، يطلب الاجتماع للمذاكرة، للنظر في ما يقتضي لنا عمله إزاء الحالة الحاضرة، لصون

حقوقنا، وتعزيز مصالحنا فأرسل الشريف ولده عبد الله للنظر في هذه المسألة، فاجتمع بوفد ابن سعود على الحدود، وانفردا دون أن يتفقا على شيء. وذلك أن الشريف كان قد عقد النية على ما أقدم عليه، مما ستراه بحوادث سنة ١٣٣٤هـ.

حوادث سنة ١٣٣٤هـ

دخلت هذه السنة والعالم في أتون من نار، لوقوع الحرب بين الدول الكبرى. وذكرنا ما كان من دخول حكومة التركي في هذا الحرب بجانب ألمانيا. وفي شهر محرم من هذه السنة، استولى الإنكليز على البصرة.

وفي شهر صفر، نزل ابن هديب ومن معه من قبيلة حرب في غميس عنيزة في مراعي أدباهشم، فأرسل إليه الأمير عبد العزيز العبد الله بن سليم، يأمره أن يرتحل عن مراعي البلاد، فلم يأبه لذلك، فكرر عليه الإنذار، وقال: إن لك منعاً عن مضايقة أهل البلاد في مراعي سوامهم فلم يقبل، بل أقام مراغة واستخفافاً، فخرج إليه الأمير بقوة من أهل البلد، ونزلوا حياله وأرسلوا إليه بناشدونه أن يرتحل، ولا يحوجهم إلى استعمال القوة.

فما كان منه إلا أن قابلهم بالسلاح، فلم يسعهم إلا مقابته، فاشتبك القتال بينهم. فانهزمت حرب بعد أن قتل رئيسهم علي بن هديب وأربعة من جماعته، وقتل من أهل عنيزة إبراهيم بن سعد الحماد، وصوب منهم خمسة. واستولى أهل عنيزة على كثير من الإبل والغنم، ورجعوا إلى بلادهم، فجاء وفد من حرب للأمير عبد العزيز يستعطفونه لرد ما أخذ

منهم قبل أن يرتحلوا، فأرجع عليهم ما كان لهم، وارتحلوا عن حمى البلد.

وقعة جراب

ذكرنا في حوادث السنة الماضية انتفاض الصلح بين ابن سعود وبين ابن رشيد، وذلك أن ابن رشيد بعدما أمدته الحكومة العثمانية بالسلح والذخيرة، التي قدمنا ذكره، اشتد ساعده ورأى أن يستعمل هذه القوة لخضن شوكة ابن سعود، فأخذ يستعد ويجهز. وفي أول هذه السنة، استلحق قبائله من حرب وهتيم، وانضموا إلى شمر. أما ابن سعود لما بلغه استعداد ابن رشيد، أمر على أهل القصيم والموشم وسدير وأهل الجنوب أن يجهزوا غزوهم، ويرافقوه في الخفس - الماء المعروف في القرب من سدير - وأرسل إلى القبائل الموالية، فوافاه منهم بعض من سبيع والسهول وقحطان، وبعض من قبيلة حرب والعجمان، وبلغه أن ابن رشيد قد نزل قبة - الماء المعروف بفتح عروق الأسياح من الشرق - فأقبل ابن سعود بجنوده، وأقبل ابن رشيد بجنوده.

فالتقى الفريقان بين شعيب الأرطاوي وبين جراب - الماء المعروف - في اليوم الثامن من ربيع الأول، فالتحم القتال بين الفريقين، وكان ابن رشيد على تعبئة تامة، فجعل معظم قوته تجاه رابة ابن سعود وأهل الرياض. فلما اشتد القتال، وحمي وطبسه، أغاروا شمر على جيش ابن سعود، وأخذوا قسماً منه. وأغاروا العجمان وبعض من حرب مع ابن سعود، وأخذوا البقية، أما مطير، فلم يصلوا إلا بعد اشتباك القتال، فأغاروا على جيش ابن رشيد، وأخذوه فصارت الغنيمة للبادية من الطرفين.

جرت هذه الأمور والحضر في ساحة القتال، إلا أن شمرًا بعد أن غنمت جيش ابن سعود، رجعت إلى ساحة القتال، فأسندت ابن رشيد بعد أن بدأ التضعف في صفوفه. أما قبائل ابن سعود الخائنة، فإنها انهزمت بغنيمتها. وصارت الأمور قروضي في جيش ابن سعود، فأخذت القبائل الموالية والمعادية، كل منهما ينهب من قبله. فعمت الهزيمة جيش ابن سعود، وانسحب ابن رشيد متمسكًا، ونزل قبة.

أما ابن سعود، فقد نزل الأوطاية، وتلاحق عليه فلول جيشه. أما القتلى من الطرفين، فيقدر بين الثلاثمائة والأربعمائة، المشهور منهم: محمد بن عبد الله بن جلوي، وصالح الزامل السليم - أمير غزو عنيزة، وولي عهد الإمارة - ومحمد بن شريد من وجيها أهل بريدة، ورجالهم المشهورين رحمهم الله تعالى.

أما ابن رشيد، فقد رحل من قبة، ونزل الأسياح بطرف القصيم من الشمال الشرقي، وكان قصده ينزل القصيم، حيث بلغه أن ابن سعود رجع إلى الرياض. ولكن ابن سعود قد سبقه، ونزل بريدة. فرحل ابن رشيد قاصدًا الشمال، ثم كر راجعًا، وأغار على فريق من العبيات من مطير، ولكنهم صدوه، فرجع من حيث أتى.

وقد فاتنا أن نذكر من بين القتلى: شكبير الإنكليزي، الذي كان وقتل عند ابن سعود موفدًا من قبل حكومته، فنصححه الإمام عبد العزيز أن يعتزل ساحة القتال، ويذهب إلى القصيم، ينتظروه هناك، إلى أن يفرغ من أمر ابن رشيد، فأبى، فقال له الإمام: إني لا أتحمل مسؤولية بقائك في ساحة القتال، فأعطاه شكبير ورقة بخطه وإمضاءه أن يقاءه رغبة منه، وأن

يسقط كل حق له، أو لورثته، أو لحكومته في إلقاء المسؤولية على ابن سعود.

فلما وقع القتال، جلس بরাية مرتفعة خلف صفوف القتال، ويده آلة التصوير ليأخذ بها مشاهد القتال من البداية إلى النهاية. ولكن جاءت رصاصة عائرة، كان فيها حثفه.

أما ابن سعود بعد أن نزل بريدة أمر على أهل القصيم أن يجهزوا غزوهم، وأرسل إلى قبائل عتيبة وبنو عبد الله من مطير، أمرهم أن يوافوه بالقصيم. وكان قد فقد كل ما معه من الجيش والراحلة، والأمتعة تقريباً في وقعة جراب. ويحتاج لمبلغ من المال ليستعيد به ما فقد منه، وهذا المال لا يمكن حصوله إلاً بوضع ضريبة جديدة على أهل القصيم، كان يتحاشاها، لما أصابهم أبغاً من الخسائر.

وفي هذه الأثناء، قدم صالح بن عثد من المدينة، ومعه عشرة آلاف ليرة تركية من الحكومة العثمانية، لشتيل بها ابن سعود أو على الأقل تأمين جانبيه. وكانت قد دخلت الحرب مع الألمان، كما قدمنا، فاستعاد بها ما كان ينقصه من المعدات. فرحل من القصيم في النصف من ربيع الثاني قاصداً قبائل ابن رشيد، وأغار على ابن صمير والفريان من حرب، وابن سعيد من شمر، وهم على الكهف - قرية على حدود ابن رشيد - فزبنوا كثيراً من حلالهم، وأخذ ما بقي متيناً، ورجع إلى بريدة.

رجوع العرايف إلى ابن عمهم

تقدم الكلام عن خروج العرايف من الحجاز، والتحاقهم بابن رشيد، فلم يزالوا معه إلى هذا الوقت. ولكنهم لم يجدوا من ابن رشيد

المعاملة التي ترضيهم، فلم يروا أجدى من الالتحاق بابن همهم، فركب فيصل بن سعد، وقدم على الإمام عبد العزيز بالقصيم، فأكرمه، وعفى عنه، فطلب منه العفو عن سعود بن عبد العزيز السعود، فأجابته لذلك، فأرسل ابنه تركي بن عبد العزيز إلى سعود، وهو عند عتيبة، فأتى به، وأكرمه الإمام. أما فهد بن سعد، فقد التحق بالعجمان.

وأما سلمان بن محمد، فقد التحق بعجمان، وقصد آل زايد، وغيرهم من أمراء عمان فاجتمع لديه مبلغ من المال والسلاح، ثم قصد سلطان الحمادي حاكم لنجد، فأعطاه نحو أربعة آلاف ربية، ومائة بندقية، ثم جاء إلى البحرين، ونزل عند الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، فأكرم وفادته، وأقام عنده، وأعطاه نحو اثني عشر ألف ربية، ومائة بندقية. وذلك في أواخر حرب العجمان في الأحساء الآتي ذكره.

وهير سلمان بن محمد جهة قطر، وأرسل ما تحصل معه من الدراهم والسلاح مع ثلاثة من خدامة من العجمان، وأوعدهم بمكان معلوم بين قطر والأحساء، يوافيهم إليه، فعبروا من البحرين، وكان عبد الرحمن بن سويلم أمير القطيف قد وضع لهم الأرصاء، فلما فارقوا حدود البحرين، ودخلوا حدود ابن سعود، هجمت عليهم السفينة المشحونة بالجنود من ابن سويلم، فحجزوها، وأخذوا ما فيها، وأسرُوا خدام سلمان، وأرسلوا الجميع إلى ابن سعود في الأحساء. وذلك أثناء هزيمة العجمان الآتي بيانها. ولكننا كرمنا قطع سياق الكلام.

مقدمات حرب العجمان في الأحساء

تقدم الكلام على خيانة العجمان، ونهبهم جيش ابن سعود أثناء

وقعة جراب، المتقدم ذكرها، فهربوا بنيتهم، وعلموا أن ابن سمود لا ينتظر لهم هذا العمل، وأبطنوا العداء، ونزلوا في أمراء الترية والنعيرية، وملج، ونطاع، وكثرت اعتداءاتهم على رعية ابن صباح، وابن سمود على السواء، فقد أغارت سرية منهم على محمد العبد المحسن الشمالان من أهل عنيزة، ومعه خيل للتجارة قاصداً ببا الكويت، وقتلوا منهم رجلاً، وركب الباقرن ظيور خيلهم، فنجوا بأنفسهم، وأخذ العجمان رحلتهم وأمتعتهم. وبعدها بأيام، أغارت سرية منهم وأخذت ثمانين بعيراً، لسليمان ابن غملاس من أهل الزبير، وكثر اعتداءهم على أطراف الكويت، حتى كاد يقف الطريق لعدم الأمانة.

محاصرة العجمان للأحساء

جهز ابن صباح سرية يرأسها علي بن خليفة الصباح، ونزل بأطراف الكويت للمحافظة على أموال رعايا الكويت، ولتأمين الطريق عن اعتداءات القبائل. وأرسل ابن صباح إلى ضيدان بن خالد بن حثلين - رئيس قبيلة العجمان - يطلب إرجاع المتبقيات التي أخذوها، فلم يجيبوه إلى ذلك فكتب إلى ابن سمود يقول: إن العجمان قد كثرت اعتداءاتهم، ونهبهم أموال أهل الكويت، وهم من رعيته، فيجب أن تأمرهم بتأدية أموال أهل الكويت فكتب إليه ابن سمود: أن العجمان قد عملوا معي ما قد علمتم، وضربوني من ظيوري أثناء وقعة جراب، ونهبوا جيشي أثناء القتال، فصبرت وتحملت خيانتهم. ونحن الآن في وقت القيظ، ولا نتمكن من شدة أن نسير إلى ديرة العجمان، والأولى تأخير المسألة إلى فصل الربيع.

وفي شهر جمادى، خرج ابن سعود من بريدة، ونزل بالقرب من الزلفى. ثم أرسل إلى القبائل فجاءه بعض من عتية، وبني عبد الله، وبني مطير، وسار إلى الشمال، قاصداً ابن رشيد وشمر. فبينما هو في الطريق، بلغه أن ابن رشيد دخل بلاده، وأن شمرًا قصدوا إلى العراق، فرجع ودخل بلاده في العشرين من جمادى الأولى. وبعد وصوله الرياض، قدم إليه وفد من ابن رشيد يطلب الصلح، فتم بينهما. وجددت المعاهدة السابقة، وتوقفت الغزوات بين الطرفين.

ويقال: إن حكومة التركي هي التي أوجت إليه بمالمة ابن سعود، وأنه ليس من صالحه مقاومة ابن سعود، لتعده للأمر الذي هي تريد. وجعلت عنده بعد ذلك البكباشي عزيز بك الكردي معتمداً، ثم أرسلت الشيخ صالح التونسي بمأمورية، ثم جعلت عبد الحميد بك بن إبراهيم باشا سعيد المصري، فبقي عند ابن رشيد أكثر مني الحرب، ليمنع الدسائس الأجنبية من التأثير على ابن رشيد، لا سيما وقد اشتهر عندهم مملأة السببان للإنكليز باطنًا. فبقي سعود معتصماً بحبل حكومة التركي وشد أزرها حتى دارت الدائرة عليها، ففقد التسخير.

رجوعاً إلى ابن صباح والعجمان

ألح ابن صباح على ابن سعود بوجوب استرجاع المنهوبات من العجمان ولو بالقوة، وتعهد بمساعدة ابن سعود مادياً وعسكرياً. ولكن ابن سعود لم يكن على ثقة من مبارك، لكثرة تقلباته. وبالرغم من ذلك، فقد أجابه بعد أن أضاف شرطاً ثالثاً، فهو فضلاً عن مساعدته المادية والعسكرية، يجب أن لا يسلك سياسته نحوهم سياسته غير سياسة ابن

سعود، وأن لا يستقبلهم إذا لجأوا إليه، ولا يتوسط بالصلح بينه وبينهم.
فأجابته لذلك، وعاهده عليه.

أما العجمان، فلم يعملوا مع ابن سعود ما عملوا، إلا وهم
مصممون على تنفيذ خطة، طالما منوا أنفسهم بها، منذ أن تولى ابن سعود
الأحساء والقطيف. ورأوا أن الفرصة سانحة لتنفيذها، فأجمعوها أمرهم،
وتعاقدوا على ذلك. ولم يتخلف منهم أحد. وساروا إلى الأحساء، ونزلوا
بالقرب منه، وأخذوا يشنون الغارات على أطراف البلاد، وبما أنه ليس في
الأحساء قوة كافية لصدّهم، أخذوا يعيشون في القرى.

ثم رحلوا، ونزلوا بالشمال الشرقي من النخيل هم وأدبائهم. وكان
الوقت قبض، وقد أبيع أول الثمار، فحصل منهم أضرار جسيمة على
البساتين والثمار. وحاصروا أهل البلاد، وحالوا بينهم وبين بساتينهم. طر
الخبر الأمير عبد الله بن جلوي إلى الإمام عبد العزيز على أول إقبالهم،
فخف الإمام عبد العزيز بقوة ضئيلة من الحضر، وقليل من البادية، وانضم
إليه بنو هاجر. وأبقى أخيه محمدًا في الرياض ليلتبعه بغزوان أهل نجد،
وكان قد أمر عليهم بالتجيز.

ولكن العجمان قد تغلغلوا في قرى الأحساء، وتحصنوا في
البساتين، وكثرت اعتداءاتهم على الأهالي. فلم ينتظر عبد العزيز وصول
النجدات من نجد، فجهّز جيشًا من أهل البلاد، وزحف بهم على
العجمان. وكانوا بموضع يسمى كتزان، بالشمال الشرقي من النخيل.

وبما أن الوقت قيظًا، والبلاد شديدة الحر في النهار، فقد اختار أن
يكون الهجوم ليلاً، فأسرى بهم. فبلغ العجمان خبرهم، وارتفعوا عن

منازلهم، وتركوها خالية. فلما قارب الجيش الأحساني - الموضع المذكور - ، رأوا كثرة الأشجار، فظنوها القوم. وأخذوا يطلقون الرصاص على غير هدى، وأسرفوا في ذلك، وليس عندهم أحد. فتركهم العجمان يستنفدون ذخيرتهم، ثم خرجوا عليهم من مكانهم، وهاجموهم، فالتحم القتال بقية تلك اليلة. ثم انهزم أهل الأحساء، وتبعهم بقية جنود ابن سعود. وأسروا من أهل الأحساء خلق كثير، افتدوا أنفسهم بمبالغ من الدراهم، تزيد وتنقص تبعاً لحالة الأسير ومركزه. وكان العجمان يعرفونهم تمام المعرفة، لكثرة اختلاطهم معهم.

أما القتلى فعددهم غير قليل. وقد قتل في تلك الليلة سعد بن عبد الرحمن الفيصل، وجاءه سهم عائس، لأصابه، وجرح الإمام عبد العزيز.

رحل العجمان بعد هذه الواقعة، ونزلوا بالبساتين، وكثر عيشهم، وصاروا يتجولون في النخيل، ويخربون الأثمار، ويعلمون أدهاشهم من الثمار. ولم يزل ذلك دأبهم ثلاثة أشهر القبط.

جاء محمد بن عبد الرحمن الفيصل بعد هذه الواقعة، ومعه قوة من أهل نجد. وجاء فيصل الدويش، ومعه غزو أهل الأرطاوية. وكذلك جاءت غزوان^① بعض الهجر الجديدة، التي كانت قد تأسست، واجتمع عند ابن سعود قوة لا بأس بها. وأخذ يث السرايا لمهاجمة العجمان،^① غزوان وطردهم من النخيل. وأخذت المناوشات يومياً، إلا أنهم لم يستطيعوا زخزعة العجمان من مراكزهم.

وكان الإمام عبد العزيز قد استنجد مبارك الصباح، حسب تعهده

بذلك. ولكن المذكور شباطاً في إرسال النجدة، فكتب إليه ابن سعود يستحثه، فأرسل ابنه سالمًا ومعه مائة وخمسون من الحضر، ومثلهم من البدو. فجاءوا إلى الأحساء، وانضموا إلى جيش ابن سعود. وبالرغم من اجتماع هذه القوات، قد ظل الأمر على ما هو عليه في الأشهر الثلاثة: شعبان، ورمضان، وشوال، لتحصن العجمان في النخيل. فلما أينعت الثمرة، امتارت البوادي المعادية والموالية من الأثمار.

ثم رحلوا العجمان، ونزلوا صويدرة - الموضع المعروف قرب قرية الكلابية -، فخرج إليهم ابن سعود، وقسم جنوده فرقتين: فرقة يرأسها محمد بن عبد الرحمن، ومعه سالم ابن صباح. وزحف عبد العزيز بالفرقة الثانية، ومعه بضعة مدافع إلى القارة، إحدى قرى الأحساء الشرقية، ونصب المدفع فوق جبل القارة، وأمر أخاه محمدًا وسالمًا بمطاردة العجمان، فيما لم يأنهزموا. وشرع هو يضربهم بالمدفع. ولم يكن يظن أنه يفيد، وإنما قصده الإرهاب فقط. ولكن بواسطة ارتفاع الرضع الذي يوضع فيه المدفع أثر فيهم أثرًا بليغًا واضطرهم إلى الرحيل من موضعهم.

فلما ارتحلوا، تبعهم محمد بن عبد الرحمن وابن صباح، وأراد مهاجمتهم، حسب التعليمات. ولكن ابن صباح أبى أن يساعده، زاعمًا أنه جاء مراقبًا لا مقاتلاً.

أرسل محمد يخبر أخاه بانقلاب سالم وميله إلى العجمان. فجاء الأمر بتركه وشأنه. أما العجمان، فقد رحلوا مطمئنين بصداقة ابن صباح، إذ كانوا قد علموا بخطته تجاههم من كتاب وقع بأيديهم من مبارك لابنه، يأمره أن لا يساعد ابن سعود على العجمان، ولعله عمل الأسباب لوقوع

هذا الكتاب بأيدي العجمان، فكتبوا خبر هذا الكتاب، ورحلوا مسرورين ملتجئين إلى حماية صديقهم السري فجعلوا طريقهم إلى العقير ليبتاروا ما يلزمهم من العيش في العقير، بعد أن أخذوا ميرتهم من الثمر.

ولكن الحامية التي في القصر ردتهم على أعقابهم، فانقلبوا قاصدين الكويت، لعلمهم أن ابن سعود لا يستطيع أن يتبعهم، لأنه قد أرسل جيشه إلى نجد لقلة المعرعى في أطراف الأحساء. فواصلوا سيرهم، وكان معهم فهد بن سعود المعرفة الذي أسلفنا ذكره، فأغاروا على بني خالد بأطراف الجبيل، فهزمهم الخوالد وطردوهم. وقتل في هذه الواقعة فهد ابن سعد ^(١) العرقي. ولم يبق من العرقي خارج من الطاعة إلا سلمان بن محمد في قطر، وعبر منها إلى أبو ظبي. وقد ذكرنا قصته في أول حوادث الأحساء.

وقد تابعنا خبر حرب العجمان خوفاً من انقطاعه، ولم نراع سرد الحوادث على حسب وقوعها، كما ينتضبه سياق التاريخ. وإلا قد وقع حوادث في نجد أثناء هذه الحوادث، آخرناها. والآن قد آن لنا أن نلحقها.

تقدم الكلام عن الصلح الذي تم بين ابن سعود وابن رشيد بعد وقعة جراب. ولكن ابن رشيد ليس من الذين يحترمون الانفاقيات. فما كاد يبلغه خبر وقعة كتزان، واشتغال ابن سعود في قمع حركة العجمان، حتى كشف عن أنياب الغدر، وخرج غازياً في أول شير رمضان. وكان أهل القصيم مطعنين للصلح الذي بينه وبين ابن سعود، فأغار على الصريف، القرية المعروفة بقرب بريدة، وأخذ اثنا عشر رعية من الإبل. ثم أغار على

الهدية، القرية المعروفة عند بريدة، وأخذ ستة دعايا من الإبل، وأربع فوق من الغنم. وأغار على الشوايا على الدويحرة، وأخذ منهم بعضاً من الإبل، وشيئاً من الأمتعة، والجميع لأهل بريدة. وكان أميرها يومئذٍ فهيد بن معمر.

رجع ابن رشيد، ونزل الطرفية، قرية تبعد نصف رحلة عن بريدة، وأشاع أن ابن سعود قتل، وهزم العجمان جنوده. وكتب إلى أمير بريدة وأمير عنيزة بهذا الخبر، ويدعوهم إلى الطاعة، ويعددهم ويمنيهم. فجاءه الجواب بما لا يحب، فأخذ يعيث في أطراف بريدة وقراها. فكتب ابن معمر يخبر الإمام بعمل ابن رشيد، وكتب إلي أهل عنيزة يستنجدهم. ثم خرج ابن معمر بقوة من أهل بريدة، وانضم إليهم مئتا مقاتل من أهل عنيزة، ورئيسهم عبدالله الخالد السليم، أمير عنيزة الحالي. فهاجموا ابن رشيد، وهزموه، حتى أبعدوه عن القرى. فرجع إلى الطرفية، وقتل من مشاهير قومه: ابن عثمان، وجرح سعود الصالح السبيان.

وفي هذه الأثناء، وصل سعود بن عبد العزيز العرافة في قوة من أهل الجنوب، ونزل عنيزة، فلما بلغ ابن رشيد قدوم سعود، رحل من الطرفية ونزل الجعيلة، ثم رحل قاصداً الشمال. أما سعود العرافة، فقد نزل بريدة. وفي ١٥ شوال، خرج من بريدة وقصد قبائل ابن رشيد وأغار على شمر وهتيم، وهم على الخفانصر، الماء المعروف، وأخذ منهم حتى ملأ يديه. وعاد إلى بريدة في آخر الشهر.

ثم خرج في الثامن من ذي القعدة، ومعه ثمانمائة هجان، وثلاثمائة من الخيل، قاصداً شمر. ولكنهم انتذروا به، وانهزموا من وجهه، فرجع.

وصادف في رجوعه قافلة لشمر نحر مائة جمل، فأخذها، وعاد إلى بريدة. وأقام فيها إلى آخر ذي القعدة، ثم قفل إلى الرياض.

رجوعًا إلى العجمان

قد أسلفنا الكلام في مبتدئ الكلام على عصيان العجمان: أن ابن صباح طلب من ابن سعود تأديبهم، وتعهده له أن يمدّه مادياً وعسكرياً، وعاهده أن لا يقبلهم إذا التجأوا إليه، ولا يتوسط في أمرهم بالصلح. أعدنا ذكر هذه التعهدات، لئلا يضطر القارئ إلى مراجعتها. فماذا كان؟ كتب ابن سعود إلى مبارك، يشكو إليه عمل سالم في عدم مراقبته على القضاء على العجمان، فنسي حضرة الوالد تعهّداته، وجاء منه الجواب، يقول: إنني لم أقل لك حارب العجمان، وأبعدهم عن ديارهم.

حل العجمان غيورًا كرامًا عند ابن صباح، وفتح لهم قلبه وخزائنه. وكان قبل ذلك قد أصلح مع ابن رشيد. ولكن لحسن الحظ أنه لم يبق بعد هذه الأعمال، إلا أياتًا يسيرة، حيث وافاه أجله المحتوم في ١٧ محرم سنة ١٣٣٤هـ، فطريت صحيفته.

الشريف الحسين

وفي شهر شوال، خرج الشريف حسين بن علي، أمير مكة المكرمة، ومعه الشلاوي والبقوم، واجتاز ديار حتيبة دون أن يعترضه أو يتبعه أحد. ثم أغار على الدياحين ذوي ميزان من مطير، وهم على الرشارية، الماء المعروف في العالية، فملا يديه غنائم من أموالهم، ونزل الشعري. ثم قفل واجتأ إلى مكة.

وكان الشريف يزعم أن غزوته هذه مساعدة لابن سعود، عندما هجم

ابن رشيد على القصيم، بالوقت الذي كان ابن سعود مشغولاً بحربه مع العجمان. ولما بلغه رجوع ابن رشيد عن بريدة، قفل هو راجعاً.

حوادث عامة

في شير شوال من هذه السنة، وصل إلى قطر بارجتان إنكليزيان، وأخرجتا الحامية التركية التي في قطر. وهربت الحامية، وضربت البوارج القلعة، وهدمتها، واستولت على ما فيها من السلاح والذخيرة، وعادت البوارج إلى البحرين.

وفاة الشيخ مبارك الصباح

في ٢٥ محرم سنة ١٢٢٤هـ: توفي مبارك ابن صباح حاكم الكويت، وتولى بعده ابنه جابر.

وسنأتي على ترجمة مبارك وأعماله وسياسة في ختام حوادث هذه السنة. وبما أنه أصبح في ذمة التاريخ، فسوفيه حقه. وإن تغاضينا عن بعض سيئاته، فلا تغاضى عنه ما نعلم من حسناته رحمه الله.

ذكر في حوادث السنة الماضية ما كان من الصلح بين مبارك الصباح، وبين سعود بن رشيد. وذكرنا التجاء العجمان إلى الكويت، وبسط مبارك حمايته عليهم، غير عابىء بما في ذلك من التحدي لابن سعود. أما ابن سعود، فقد خرج من الرياض قبل أن يبلغه خبر وفاة مبارك الصباح، فصدده تعقب العجمان. فبلغه الخبر، وهو بمتصف الطريق، فعدل عن ذلك، ليرى ما يكون من سياسة خلفه.

وفي هذه الأثناء جاءه رسول من السيربرسي كوكس، ممثل دولة

بريطانيا في الخليج العربي، يرجوه أن يوافيه إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة. وكان هم بريطانيا يومئذ أن تخرج الدولة التركية من البلاد العربية، وتؤمن لباخرها وجنودها في الخليج العربي وفي البحر الأحمر، فاتفقت مع الإدرسي في ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣هـ اتفاق مصالح، وهو: أن يعلن الحرب على تركيا، ويمده الإنكليز بالأموال والسلاح، دون أن يتقيد الإدرسي بما يخل باستقلاله، أو يمكن الإنكليز من التدخل في بلاده، لا أثناء الحرب، ولا بعدها. بل إنها تعهدت له أن تصد الاعتداء عليه من الخارج أثناء الحرب فقط. فكان في هذه الاتفاقية أبعد نظرًا وأشد تحرزًا، وأعلم بسياسات الدول وبواطنها من ابن سعود، في الاتفاقية التي ذكرها.

جاء ابن سعود إلى القطيف إجابة لدعوة السبرسي كوركس، فوافاه هذا في جزيرة دارين، وجرت المفاوضة بينهما، وتم الاتفاق، وأُضيت المعاهدة، وهي التي تُعرف باتفاقية دارين. تحتوي على سبع مواد، كلها مجحفة بحقوق ابن سعود، ومن يخلقه. بل كل حرف منها قيد في عنق ابن سعود، فأدخل نفسه تحت الحماية البريطانية، وقيدته وورثاه وخلفاءه عن أي تصرف دون علم بريطانيا وإذنها. حتى ولي عهده يجب أن يكون من الموالين لإنكلترا. ومنعته من الاتصال بأي دولة أجنبية دون علمها، كما منعه أن لا يمنح ولا يعطي أي شبر، ولا يتفق مع أي شركة اقتصادية دون علم بريطانيا.

ولسنا بمدد تنفيذ هذه المعاهدة، لأننا غل من الأغلال. ولكن ابن سعود بذلك الوقت لم يدرك ما فيها من الحيف، إلا بعدما فتح الحجاز، واحتك بالأجانب، وعلم دخائل سياسات الدول، علم خطأ الفاحش بعقد

هذه المعاهدة، التي يدرك ضررها أقل الناس إلماً بالسياسة. فكان أول عمل عمله إلغاء هذه المعاهدة، فأُلغيت بمعاهدة عُقدت سنة ١٣٤٤هـ، استكمل فيها حقوقه، وجعلها معاهدة الند للند.

بعد أن تمَّ الاتفاق على المعاهدة المشؤومة، رجع إلى الرياض في أول ربيع الأول، وكان قصده يتعقب المعجمان لتأديبهم. ولكن السريسي كوكس الذي كان يومئذ يتبع سياسة التفریب بين أمراء العرب تعهّد له أن يتوسط لدى جابر المبارك، ويقتنعه بوجوب إبعاد المعجمان عن الكويت. وكذلك كان، فإن جابراً أبعدهم إجابة لتصانح السريسي كوكس، ورغبة في إرضاء ابن سعود.

العرايف

وفي هذه الأثناء، قدم سلمان بن محمد العرافة إلى الإمام عبد العزيز تائباً، فقبله، وعفى عنه، وأكرمه. وهذا هو آخر من قدّم خضوعه من العرايف. ولا يزالون حتى الآن عند الإمام عبد العزيز على بساط العز والكرامة، كبقية آل سعود. وقد غمرهم بإنعامه، ورتب لهم الرواتب الجزيلة، بعد معاهدة دارين، كتب الإمام عبد العزيز للشریف حسين يخبره باتفاقه والإنكليز، ولم يفك له صورة الاتفاقية. وعرض عليه المازرة في مساعدة الحلفاء، وأرسل الكتاب مع صالح بن عدل، وأرسل معه هدية من الخيل والجيش، فقبل الهدية.

وكان الشریف قد ابتدأ بمفاوضة الإنكليز، فعندما علم باتفاق ابن سعود والإنكليز، خشي أنه قد سبقه لطلب الزعامة التي كان الشریف يسعى لها، فبادر إلى الاتفاق مع الإنكليز، وقبل البنود الخمسة، التي دعاها فيما

بعد بقرارات النهضة، وتم هذا الاتفاق في شهر جماد، أي بعد اتفاق ابن سعود والإنكليز بشهرين فقط ولكن لم يعلن الثورة إلا بعد الاتفاق بأربعة أشهر، أي في ١٠ شعبان من هذه السنة.

ولكن الوالي في مكة غالب باشا قد أحسن ببعض ما يبطنه الشريف، وعلم أن حكومته لا تستطيع أن تمده وهو بدون ذلك لا يستطيع المحافظة على ما بيده، ففضل أن يسلم البلاد إلى ابن سعود، نكاية بالشريف أو على الأقل إيجاد الخلاف بين ابن سعود، والشريف، فتأخر ابن سعود في الأمر، ولشلا يسيء الظن الشريف، جعل إرسال الرسول والكتاب والهدية بواسطة، مدعياً أنه إنما يريد بهذه الهدية مهادنة ابن سعود خوفاً من تحريكاته على الحجاز.

ولكن الشريف أبى الهدية عنده، وأرسل الكتاب إلى ابن سعود، وليه يخبره بأعمال الشريف ومفاوضة الإنكليز لتسليمهم البلاد المقدسة، وجعلها تحت حمايتهم، ويدعوه إلى القدوم ليسلم إليه البلد الحرام، لحفظها وصيانتها من أعداء الإسلام. وقد فعل فخري باشا في المدينة مثل ذلك. ولكن ابن سعود رفض الدهوتين لأمرين:

الأول: أنه لا يريد مثل هذا الأمر بمثل هذه الطريقة، ويرى أن الوقت غير مناسب.

الثاني: أنه يعلم ما وراء ذلك من الصعوبات، أهمها: التحدي للإنكليز، الذي هو في أشد الحاجة إلى مصادقتهم.

أما الحكومة التركية، فقد أخذت تدرك ما يحاوله الشريف، وأرادت تعزيز قواتها في الحجاز، فأرسلت قوة لا تقل عن ثلاثة آلاف مقاتل،

بحجة إرسالها إلى اليمن، فبقيت في المدينة المنورة، وانضمت إلى القوة التي فيها تحت قيادة فخري باشا، وكان الشريف فيصل إذ ذاك في الشام عند جمال باشا السفاح ثم غادر فيصل الشام بحجة قيادة القوة، التي ألفها أبوه لمهاجمة القنّاة. فأرسل جمال باشا إلى المدينة فخري باشا قائدًا عسكريًا بقوات المدينة، زاعمًا أنه، يتوقع ثورة الشريف.

، وكان الأمر كما ظن، فإنه ما كاد يصل الشريف فيصل إلى المدينة حتى انضم إلى أخيه علي، قائد القوات المرابطة في القرب من المدينة، وأعلنت الثورة، وقسم أولاد الشريف قواتهم التي تحت قيادة علي بن الشريف حسين إلى ثلاث كتائب أرسلها إلى جهات مختلفة، إحداها هاجمت السكة الحديدية شمال المدينة، تحاول قطع المواصلات بين المدينة وسوريا.

أما الشريف الحسين، فقد أمضى الأربعة الأشهر التي تقدمت الثورة، والتي تلي اتفاقيته مع الإنكليز بالمفاوضة مع حكومة الترك، ليجد الوسيلة التي يتدرج بها لتبرير ثورته، فطلب من حكومة الأستانة الاعتراف باستقلاله في سائر الحجاز، وجعل إمارته وراثية في ذريته، وأن تعدل الحكومة عن محاكمة أحرار العرب المتبهمين الذين قبض عليهم جمال باشا - جمال المشانق - ، وإعلان العفو العام في سورية والعراق، فلما لم تجر الحكومة التركية هذه المطالب أعلن ثورته في مكة يوم ٩ شعبان وهو اليوم الذي قرره لإشعال الثورة في أنحاء الحجاز، فاستولى على قوات الترك في مكة.

وبالتالي استولى على جدة، وحاصر ابنه عبد الله الطائف حتى

استلمت يوم ٢٦ ذي القعدة، وأسر قائدها غالب باشا، وأركان حربه وجنوده، وسلم أبوه جنود الترك إلى الإنكليز كعربون للصدقة والإخلاص، وأسس حكومته في مكة في ٤ ذي الحجة من هذه السنة، وتقلد ابنه عبد الله وكالة الخارجية، فأرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوروبية والشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة في الحجاز، فسارعت حليفته بريطانيا وفرنسا بالاعتراف به ملكًا على الحجاز فقط. ذلك لأن ابن سعود قد اشترط على الإنكليز أن لا يتكلم الشريف حين عن العرب، وقبل شرطه.

أما المدينة، فقد حاصرها ابنه علي وعبد الله، ولم يتمكنًا من الاستيلاء عليها إلا في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ.

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، جاء الأمر لفخري باشا من حكومته بإخلائها فجاءه الأمر المشدد بوجوب إخلاءها، فسلمها إلى أولاد الشريف.

أما بقية حوادث الحجاز، فقد ضربنا عنها صمخًا لأنه خارج عن موضوعنا؛ ولأن له كنهه المختصة، إلا ما يأتي عرضًا مما له مساس في حوادث نجد.

حوادث نجد

وفي شهر صفر من هذه السنة، خرج ابن رشيد من حائل قاصدًا عنيزة لخلاف بينه وبينهم، فصمدوا له فوقع بينهم مناشات عديدة، واستمر القتال مدة أيام دون أن يدرك منهم نتيجة فرحل عنهم، وقصد أطراف العراق، وأقام هناك إلى شهر شعبان. فأرسل الإمام عبد العزيز ابنه

تركى إلى القصيم ومعه قوة من الحضر والبادية لمراقبة بادية الشمال.
فخرج من بريدة وأغار على شمر في الشعبية وأخذهم وعاد إلى بريدة.

أما الإمام عبد العزيز، فقد خرج من الرياض، وقصد بادية النقرة
وأغار على آل مرة مجتمعين: آل فهيدة ورئيسهم لاهوم بن شريم،
وآل جابر على رئيسهم المرضف وابن همام، وآل بحيج على رئيسهم
متعب الصعاق، وآل عذبة على رئيسهم سعود بن نقادان، وآل غقران على
رئيسهم صالح بوليلة، ومن التف معهم من العجمان الذين لم يلتحقوا
بجماعتهم، وهم: ابن خرصان، والقريني، فأخذ الجميع، ورجع إلى
الحسا. فوقف عليه رؤساء آل مرة، وطلبوا العفو، فاشتراط عليهم أداء
جميع المنهوبات، التي أخذوها من بني هاجر وغيرهم، فأجابوه لذلك
فغنى عنهم، ودخل هو إلى الحسا، بعد أن أُرخص لمن معه من البادية
بالرجوع إلى أهليهم.

العجمان

قد ذكرنا أن العجمان ساروا إلى جهة الشمال، وتخلف عنهم فرق
ضعيفة، دخلوا مع آل مرة. وتخلف عنهم الدامر أيضاً، أقام مع آل مرة،
ثم بدا له أن يلتحق بنجران، ويلجأ إلى بني عمة من بام. وفي مسيره
حصل منه تعديات على رعايا ابن سعود، فأرسل ابن سعود خلفه سرية،
يرأسها عبد العزيز بن عبد الله بن تركي - أبو ذعار - . فلما وصل وادي
الدواسر، فأنضم إليه قوة منهم، وساروا يطلبون الدامر، فأدركوه على
حدود نجران، ففتكوا به وبمن معه، وأخذوا ما معهم ورجعوا في
١٥ رمضان.

ابن رشيد

وفي شهر شعبان، رجع ابن رشيد إلى حاييل، فبلغه أن حملة خارجة من المدينة لأهل القصيم، فاعترضها وأخذها. وكانت الأموال التي مع الحملة لأهل المدينة.

ثم عطف على...^(١)، وأخذ إبلاً لابن سعدي، وأخذها وقتل إلى حاييل، ودخلها في النصف من رمضان.

استدراك

عندما ثار الشريف على حكومة الترك وتدفق عليه ذهب الإنكليز، أخذ ينثره يميناً وشمالاً ليستميل به الأمراء والقبائل، فأرسل لابن سعود دفعتين مجموعها نحو من عشرين ألف جنيه دون أن يكتب له عنها. فاستراب من هذه الهدايا، ولم يعلم ما هو المقصود منها، وكان ابن سعود قد رخص لمن أراد أن يلتحق بالشريف من أهل نجد. فأراد أن يسبر غور الشريف، ويعلم ما يرمي إليه من هذه الهدايا فكتب إليه كتاباً رقيقاً، أوضح له أنه على استعداد لإرسال قرة لمساعدتهم تحت قيادة أحد إخوتي أو أولادي، وأنه مستعد لإزالة ما حصل سابقاً من سوء التفاهم، إذا حددت الحدود بيننا وبينكم.

ولكن حضرته وهو في زهوة الأمل، لم يستطع هضم هذه الجملة نعم إن ابن سعود إما أن يكون سكران، أو مجنون عندما كتب هذه الجملة كما نقله عنه الريحاني في كتابه ولولا أنه متصف بإحدى هذه الخلال، لما

(١) يافس في الأصل.

تجاسران يطلب تحديد الحدود، هي ضمن حدود قد اتفق عليها وحليفته
العظمى.

أما أمين سعيد، فيقول في كتابه «ملوك المسلمين وأمراؤهم
المعاصرون»: أن الشريف أجابه بقوله: كل ما أنت عليه، فهو لك. ونحن
نرجح الجواب الأول، لأنه ينطبق على ما هو معروف عن الشريف، ولأن
الريحاني قد نقل هذه العبارة من كتاب الشريف نفسه، فما كان ابن سعود
ليسمح للريحاني أن ينقل عنه خلاف الحقيقة. ولكن ابن سعود بلعها، كما
بلع غيرها منه، ومن زميله صاحب الكويت، عنى الله عنهما.

افتتحت هذه السنة، واختتمت بهدوء وسكون تامين في نجد إلا
بعض حوادث تافهة، اتخذت لتأديب بعض المشاغبين من البادية. لأن
الحرب الدولية العظمى شغلت الأعداء عن المشاغبات، فالشريف
الحسين، شغلته ثورته على الترك، وانضمامه بجانب الحلفاء الذين ملؤا
مخيلته من الآمال المذهبة، وملؤا يديه من السلاح والذخائر والصناديق
الذهبية، التي أخذ يبعثرها بغير حساب، ليستميل القبائل، ويجند بها
الجنود لتأسيس إمبراطوريته المنتظرة.

أما ابن رشيد، فقد ركن إلى السكون، ولعل أن حكومة الأستانة
أوحى إليه أن يحسن علاقاته مع ابن سعود، إما تقديرًا منها لعمله ووقوفه
على الحياد إزاءها، وعدم انضمامه إلى حركة الشريف. أو أنها ترشح ابن
رشيد للقضاء على حركة الشريف بمساعدة جنودها، أو على الأقل يعرقل
حركاته. وهذا لا يتم إلا إذا كان على صلح وابن سعود. وكان ابن رشيد
لم يزل يتبع إرشاداتها، ويستمد معونتها التي لا زالت تفيض عليه بسخاء
كبير.

وبينما العالم في الشرق والغرب في بركان ثائر كانت نجد في خفض من العيش رغبة، ونعمة من الأمن، لم تتمتع به منذ زمان بعيد، بفضل السياسة الحكيمة التي اتبعها الإمام عبد العزيز فأنصرفت الرعية إلى أعمالهم الزراعية والتجارية، واتسع نطاق التجارة وتأسست الروابط التجارية بين أهل نجد والبلاد المجاورة، وعلى الخصوص مع أهل الكويت، وازدهرت الأعمال ازدهاراً لم يكن مثله فيما سبق ولا أظن أن يعود مثله فيما يأتي.

ذلك لأن خمسين في المائة من أهل نجد أخذ يتعاطى التجارة، ويحلبون الأموال من البلاد المجاورة، كالبحرين، والكويت، ويصدرونها إلى سوريا من طريق البادية، الذين فرضوا لأنفسهم ضرائب فادحة على الأموال، لقاء السماح لهم باجتياز بلادهم، وهكذا يفعل من يليهم إلى أن يصلوا حدود سوريا، فلا يصل التاجر إلا وقد سلم على ماله ضعفي قيمة المال، أو ثلاثة أضعافه.

وبالرغم من هذه الضرائب الفادحة، فلا يكادون يصلون حدود سوريا، حتى يجدون عملاءهم ينتظرونهم، فييسعون منهم الإبل بأحمالها، فيأل المشتري عن أصناف البضاعة التي معه، فيخبره، ثم يسألهم عن القيمة والمصاريف، فيقول: كان معي مثلاً ألف جنيه ذهباً، اشتريت منها هذه البضاعة بجمالها، وأصرف البقية في طريقي فيتنق معه على ضعفي المبلغ أو ثلاثة أضعافه حسب أهمية البضاعة ورواجها، على أنها لا تقل عن ضعفي رأس المال بحال من الأحوال، فينفذه الثمن، ويرجع كل منهما من حيث أتى فيكرر هذا العمل بالسنة ثلاثة مرات، أو أكثر واستمر ذلك إلى أن سقطت سوريا بيد

الإنكليز، بالرغم من كل التدابير التي اتخذها الإنكليز لمنع ذلك في البنادر، أو في البادية.

أما الذين يجلبون على معسكرات أولاد الشريف، فهؤلاء غالبًا لا تزيد أرباحهم عن ٥٠ لقرب المسافة والأثية، وعدم وجود ضرائب وهذه أرباح لا تغري بمثل ذلك الوقت لأنها تعتبر أرباحًا عادية، قد يحصلون على مثلها أهل المدن.

كان السيربرسي كوكس ممثل دولة بريطانيا في الخليج الفارسي قد دعا الإمام عبد العزيز إلى زيارة البصرة على أثر اجتماع العتير، فأجابه.

وفي ٢٠ محرم من هذه السنة، وصل البحرين بطريقه إلى البصرة، ونزل بضفاة الشيخ عيسى ابن علي آل خليفة حاكم البحرين، وأقام عنده يومين، وغادرها على بارجة حربية إنكليزية، وعرج في طريقه على الكويت، لتحية جابر المبارك بأبيه. ثم قادرها إلى البصرة، فلقي هناك حفاوة بالغة، وعناية زائدة من الشعب العراقي على الأخص ومن الحكومة. وأقام فيها أيامًا قليلة، طاف فيها على المعسكرات ومحلات المؤن والدخائر، وما يتعلق بذلك، ثم رجع إلى القطيف، وكان قد رمي عنده وكيل بيت المال يوسف بن عبد العزيز بن سويلم، فاعتقله واستأصل ما عنده وضبط ما لديه من الدفاتر والمكاتب، وأخذ يتبع ماله في الديون فاستحصلها، ثم أفرج عنه. وأضاف وكالة بيت المال إلى عهدة ضامني الجمارك علي بن منصور بن أخوان وعلي بن حسين بن فارس من أهل القطيف. وبيت المال هنا لا يعني بيت المال بالمعنى المفهوم، وإنما هي وكالة على أملاك بيت المال من النخيل المسقنات فقط.

وفاة جابر بن مبارك الصباح

وفي شهر ربيع الثاني توفي الشيخ جابر بن مبارك الصباح فكانت ولايته سنة وشهرين رحمه الله، وتجد ترجمته في آخر حوادث هذه السنة. وتولى بعده أخوه سالم بن مبارك الصباح.

لما رجع الإمام عبد العزيز إلى الرياض أرسل ابنه تركي إلى القصيم ليراقب شؤون القبائل الشمالية التي لا زالت تثقل راحة الرعايا كلما لاحت لها الفرصة. قام مدة قليلة ثم خرج من بريدة وأغار على ابن عجل من شمر، وابن نحيث والحنابلة من حرب ومخلط معهم وأخذهم على (الشرته) ماء من موارد حائل وقفل راجعاً إلى القصيم وعلى أثر هذا التحق قسم بن شمر بابن سعرد، وطلبوا منه أن يعين لهم منازل يسكنونها أسرة بغيرهم من أهل البحر فأجابهم وعين لهم بعض الأمواه ونزلوها وعمروها واستقروا بها ونزل بعضهم في الأوطار فبذلك القسم شمر شطرين بادية، وحاضرة فأما البادية فيقيت على ولايتها لابن رشيد، وأما الذين دينوا وتحضروا فقد دخلوا برعوية ابن سعرد.

حوادث عامة

وفي شهر رجب من هذه السنة تنازل الأمير عبد العزيز العبد الله السليم عن إمارة عنيزة لابن أخيه عبد الله الخالد السليم وذلك رغبة منه بالركون إلى الراحة مراعاة لصحته. والأمر الثاني أن يتمرن عبد الله معاناة منصبه تحت إشراف عمه والحقيقة أنه وإن كان عبد الله هو الأمير فإن روح الإمارة لعمه لأنه هو العقل المفكر والقلب النابض، فلا يصدر أمر ويتم عمل إلا بإرشاده.

الحج في هذا العام

قد مضى سنوات ثلاث أو أربع لم يحج من نجد بسبب تعنت الشريف، وبعد مراجعات عديدة أذن لأهل نجد بالحج، ففي هذه السنة حج محمد بن عبد الرحمن الفيصل وحج معه خلق كثير من جميع نواحي نجد لا يقل عددهم عن خمسين ألفاً وقد أخبرني صالح المنصور أبا الخيل وكان قد حج في هذه السنة فقال: إن الشريف الحسين زار محمد بن عبد الرحمن ثلاث مرات في أيام منى وكان كثير المجاملة والملاطفة في محادثاته مع محمد ومما قاله في أحد أحاديثه أنه أدرك في إمارته ثلاثاً لم يدركهن أحد من الأشراف قبله.

الأولى: استقلال العرب وتوحيد كلمتهم.

«وكان ذلك بعد ثورته بسنة والحرب على أشده بين الدول وهو في زهوة الأمل شديد الثقة بوقاء حليفته. ولما يتذوق مرارة غلدهم ونكتهم يعهودهم له».

الثانية: أنه لم يحج أحد من أمراء العرب الكبار إلا في زمنه هو «لعله يشير إلى محمد بن عبد الرحمن» وإلى الخديوي عباس حلمي الثاني.

الثالثة: قال صالح في خبره: لما كان يوم النزول من منى أرسل محمد بن عبد الرحمن إلى جميع أمراء حجاج أهل نجد وأمرهم أن يتقدموا أنفاليهم وأمتعتهم ومن معهم من النساء إلى مكة وأن يحضروا أهل الجيش من كل بلد على بيرتهم «أي علمهم» فانضم إليه نحو من ستين لواء يبلغ هجانتهم عشرة آلاف تقريباً فلما تكاملوا سار لواء محمد بن عبد الرحمن

(١) لواء

بالمقدمة وحقت به ألوية أهل نجد ومشوا كردوسًا واحدًا، فكان لهم نظر
بديع لفت إليه أنظار سائر الحجاج وأهل مكة على الخصوص فضاقت
الطرق ونوافذ البيوت من المتفرجين على حسن منظر ونظام هذا الجمع
الزاهر الذي لم يروا مثله فيما سبق.

وفاة الشيخ جابر المبارك الصباح أمير الكويت

دخلت هذه السنة والحرب الدولية على أشدها والغور فيها حليف
الألمان وحلفائهم في الميادين الغربية حيث تمزقت روسيا بثورة أهلية
وقام فيها دولة بلشفية انفصلت عن الدول الحلفاء وأصلحت مع دول
الوسط الألمان وحلفائهم: ودالت دولة القياصرة ببيع الأتراك أما في
الميدان الشرقي فقد اندحرت تركيا، وتقدم الإنكليز في العراق واحتلوه،
ولا زالوا يتقدمون في الميادين الشمالية نحو سوريا بمساعدة الشريف
وأبنائه.

أما حملتها على القتال فقد دحرها الإنكليز واشتد نشاط الإنكليز
لحصار تركيا في سوريا من جهة البر كما أنها قد ضيقت عليها الخناق
وحصرتها من البحر وعملت لهذا الغرض وسائل شتى فوضعوا لذلك
حراسة خط يمتد من الكويت إلى الناصرة فلم يجد نفعا فارتبطوا مع بعض
رؤساء العشائر وبذلوا لهم أموالاً طائلة على أن يصادروا ما يجتازهم من
الأموال فالتزموا لهم بذلك فلم يجد هذا العمل نفعا أيضًا، لأن المبرين
أخذوا يبذلون الأموال لرؤساء العشائر بسخاء عظيم فاضطر الإنكليز أن
يحددوا وارد الكويت على مقدار ما كانت عليه قبل الحرب ولكن هذا
التدبير جاء متأخرًا حيث انتهت الحرب بعد ذلك بأشهر قليلة على أنه

بالرغم من ضابط الحصار الذي أقام في الكويت لمراقبة التهريب، فإن ذلك لم يمنع تسرب الأموال بل استمر على ما كان عليه إلى أن سقطت سوريا بيد فيصل الشريف والإنكليز.

وكانت الحكومة الإنكليزية قد أرسلت مستر فليبي، وأقام عند ابن سعود بمهمة من حكومته وهي مراقبة ما يحدث في نجد، وخوفًا من أن يتصل أحد من أعدائها في ابن سعود وحذرًا من أن ابن سعود يعرقل حركات الشريف كما أن حكومة الترك قد جعلت عند ابن رشيد عبد الحميد بك بن إبراهيم باشا سعيد المصري ليمنع الدساتس الأجنبية من التأثير على ابن رشيد، ولأنها ترشحه للقضاء على حركة الشريف. فلما رأت تقدم الشريف فيصل استدعت ابن رشيد وعهدت إليه مهاجمة أولاد الشريف فكانت ثقتها فيه بغير محلها لبي طلبها ولكن شعر لم يجيبوه للقيام بهذه المهمة، فرحل بقوة ضعيفة من أهل حائل وبعض من البادية، ونزل الحجر وأقام فيه ستة أشهر دون أن يعمل عملاً يذكر.

وفي هذه الأثناء خرج ابن سعود قاصدًا شمر فلما قارب أماكنهم وفد إليه رؤساؤهم مقدمين الطاعة فقبل منهم بعد أن تعيدوا له أنه إذ لم ينتق معك ابن رشيد بعد رجوعه أن يفارقوه ويلحقوا برعية ابن سعود فرجع عنهم وبلغ الخبر ابن رشيد من كتب أرسلها له رؤساء شمر ينصحونه إن اتفاقك مع ابن سعود أجدى عليك من عملك مع الترك وأحفظ لكيانك وكياننا. ولكن ابن رشيد رفض هذه النصيحة وأقام بموضعه إلى أن رأى مقدمات انهيار الدولة التركية فرجع في شهر القعدة أي قبل الهدنة بشهر لأن الترك سلموا قبل الألمان بنحو شهر.

وقعة ياطب

ولما بلغ ابن سعود رجوع ابن رشيد من الحجر جهز عليه وخرج في أوائل شهر الحج من الرياض قاصداً قبائل ابن رشيد، فلما وصل الأجفر الماء المعروف أرسل سريتان أحدهما رئيسها ابن معمر وأمره أن يكشف من ياطب إلى حایل والثانية رئيسها فيصل بن حشر رئيس قحطان وأمره أن يكشف ما بين السبعان إلى حائل فسار لمهمتهما وسار ابن سعود على أثرهما ونزل الصدر ماء معروف بأطراف حایل فجاء رسول من ابن حشر يقول: إن ابن شريم [. . .]^(١) ومعه خلط من شمر بالقرب من السبعان ثم جاءه رسول من ابن معمر على أن شمر حايلين دون حایل وأن منازلهم من ضبيح إلى عكاش إلى السفيلين أماكن كلها لا تبعد عن حایل أكثر من ثلاث ساعات فسار من الصدر وصل ياطب الساعة السابعة ليلاً ولما وصل عكاش صلى صلاة الفجر وعصى جيشه.

واختار منهم ثلاثمائة فارس وأربعمائة هجان عليها ثمانمائة مقاتل وأمرهم أن يغيروا على بني يهرف وهم الذين معهم جيش ابن رشيد وبقي هو ومن معه من الجند رداً لهم فأغارت السرية صباحاً وأخذوا ما عندهم من الحلال عدى جيش ابن رشيد لأنه لم يكن مع العرب يوسئ ثم أغاروا على العرب الذين على السفيلين، وأخذوهم، ورجع ابن سعود بالغنائم، ونزل الصدر الساعة الحادية عشر من النهار.

أما ابن رشيد لما بلغه الخبر خرج فازعاً بأهل حایل وبعض البادية الذين أخذوا وأمر أن يتبعه بعض المعدات التي لم يتمكن من أخذها معه

(١) بني شريم رئيس قبيلة في شمر.

من الذخيرة والفنك ولحق ابن سعود وهو على الصدر وكأنه تهب مصادمة ابن سعود قبل أن يتلاحق عليه بقية جنده وذخيرته فسبقه ونزل أعبوج بقعا، ودخل بين الضلع والقصر وتحصن فيه وعقل جيشه، وتمركز في جبل أعبوج بقعا. وبلغ ابن سعود خبره، فأراد أن يهاجمه فرأى أنه لا سبيل إليه وهو في موضعه هذا، فعدل عن ذلك ورحل في الصدر وهو على جزر ونزل بين الصدر ورحبيه، وأحاط الجيش بمراكز استكشافه خوفاً من أن يهاجمهم ابن رشيد ليلاً، فلم يكن شيء من ذلك، لأن ابن رشيد رجع إلى بلاده، فرحل ابن سعود من وضعه ونزل الأجر، ثم رحل منه ونزل قصيّا، ثم رجع إلى بلاده في أواخر الحج من هذه السنة.

طرد ابن صباح تجار أهل نجد من الكويت

وفي هذه السنة طرد سالم الصباح تجار أهل نجد المقيمين في الكويت بحجة أن ابن سعود هو الذي أشار على الإنكليز بتحديد وارد الكويت لما كان عليه قبل الحرب، ووضع ضابط الحصار، ولكنه تبين خطأ رأيه فسمح بروجعهم بعد مدة.

الخلافا بين الشريف خالد بن منصور لؤي

وبين الشريف عبد الله بن الحسين

وفي هذه السنة وقع خلاف بين الشريف عبد الله وخالد بن لؤي، وأسباب ذلك أنه وقع خصام بين خالد بن لؤي وبين فاجر بن شليوب من رؤساء الروقة من عتية وفارس من فرسان المشهورين. فلطم هذا خالداً فاعتقله الشريف عبد الله بضعة أيام، ثم أطلقه فلم ينع خالداً بهذه العتوية على فاجر فأسرهما في نفسه. فلما مضى أيام استأذن في الرحيل إلى بلدة،

فأجابهُ الشريف عبد الله بالرغم من تحذير بعض الأشراف له، فشرط عليه أن يمر بمكة ويزور الملك حسين بطريقه إلى بلدة.

وذلك أن الشريف عبد الله قد كتب إلى والده بمسألة خالد، وأبدى تخوفه من انتفاضة، وأراد أن يكون لوالده ما يرى من التدبير ولكن خالدًا لم يرغب عن باله ما يدبره له الشريف، فرجع تَوًّا إلى بلدة الخرمة فجمع رجاله فيها، وأخبرهم بما كان بينه وبين الشريف، وأخبرهم بما عزم عليه من الخلاف للشريف، فوافقوه على ما أراد، وكاتب الإمام عبد العزيز وأخبره ما كان من أمره مع الشريف، وما اعتزم عليه وأنشأ معه علاقات ودية ثم وفد على ابن سعود في آخر هذه السنة فأكرم الإمام وفادته، واستقبله استقبالا يليق بمقامه، وأغدق عليهما الانعامات الكبيرة. ذلك لأن خالدًا وآباءه وأجداده على صلة حسنة مع آل سعود قديمًا، وكان آل سعود يحفظون لهم هذا الرلاء ويعرفونه لهم، فرجع إلى الخرمة مزودًا بالصلات ومشبعًا من الآمال.

وبعد رجوع خالد من الرياض خامرت الشكوك الملك حسين من نوايا خالد، فكتب إليه بأمره بالحضور لديه. فاعتذر بأسباب تقضي ببقائه فكرر الطلب، فكرر خالد الرفض فأصدر الملك حسين أمرًا بعزله، وعين أحد ابني عمه في مكانه، وهو شريف من أهل الخرمة فلم يعارض خالد بذلك، فوصل الأمير الجديد ولكن لم يبق له نفوذ ولا وجهة، فلم يطق الأمير الجديد البقاء طويلاً، بل كتب إلى الملك حسين يستعفيه ويقول إن خالدًا لم يبق لي كلمة مسموعة، فعلم الملك حين لا يفيد من مثل هذه الأساليب، لجأ إلى القوة فجهز حملة بقيادة الشريف حمود بن زيد بن فواز، ومعها مدافع رشاشة ومدفع جبلي فبلغ خبرها خالدًا، فخرج بقوة

وكمّن لهم في بطن نخل قرب الخرمة، فلما وصلت حملة الشريف وقعت في الكمين، فوضع السيف فيها وفكّ برجائها، وغنم ما معهم من سلاح ومعدات، فكبر ذلك على الملك حسين، وجيّر حملة ثانية ضعفي الحملة الأولى في عددها وعداها، فلما اقتربت هذه الحملة من الخرمة استعد لها خالد بمن عنده، واستنجد بعض البوادي التي حوله، فلما كان قبل الفجر هجدهم في منزلهم، فأبادهم وغنم ما معهم وأصيب قائد الحملة في فخذه، وكان لانتصارات خالد وقع عظيم في البادية، فالتف عليه كثير من البوادي التي حوله.

أما الملك حسين فقد اضطرب من هذا الخذلان الجديد الذي أصابه من هذه الشرذمة القليلة وساءه، وهو ملك العرب الأكران يتجاوز عن هذه الإهانات المتكررة فأمر بإعداد حملة ثالثة، عقد لواءها للشريف شاكر بن زيد، وعهد إليه بالتكيل بهذه العصاية الخارجة عن الطاعة.

سافر الشريف شاكر بقوة يتفاوت عددها بين الثلاثة والأربعة آلاف، ومع قسم من قبيلة عتيبة، فبلغ خالداً مسير هذه لحملة فلم يشأ أن يمهليا حتى تصل حدود بلاده، بل قصر الطريق عليها وهاجمها بعد مبارحتها وإن ما كادت المعركة تبدأ حتى اننزم جيش الشريف وتركوا ما معهم غنيمة لعدوهم، ورجعوا إلى مكة بعد أن ضاعوا جميع ما معهم، فأضاع الملك حسين صوابه وأراد معاندة الأقدار التي حالفت عدوه وأبى إلا أن المضي في هوسه حتى ينتقم من خصمه أفضع انتقام فجهّز على الأثر حملة رابعة جميعها من بوادي الحجاز من بني سفيان، وهذيل وثقيف وبني سعود حرب الحجازية، وعسكر من أهل بيته، وكان عدد الجميع يراوح بين الخمسة والستة آلاف وولى القيادة صهره الشريف عبد الله بن محمد الشريف

شاكر بن زيد، فسارت هذه الحملة، فلما وصلت (حصن) تلقت أمراً من الملك حسين بالتزام موقفها وعدم إجراء حركة قبل وصول الشريف عبد الله بن الحسين الذي جعلت له القيادة العامة، فأقامت بموضعها نحو شهرين، فانتشرت الحمى بين رجالها، ومات منهم عدد كبير، وأصبح الباقون في حالة لا تساعد على الأعمال العسكرية.

هذا آخر ما وجدناه من مسودة تاريخ مقبل بن عبد العزيز الذكير بخطه بيده ويظهر أنه لم يكمل حيث إن حادثة تربيته لم ينتهها وقد استمرت الكتاب من الشيخ سليمان بن عبيد رئيس المحكمة الكبرى بمكة وقد جاءه من محمد الحمد القاضي والمذكور وصل إليه من المؤلف نفسه وقد انتهى نسخته بأمره في سنة ١٣٨٤/٤/٢٢ هـ بمكة المكرمة.

